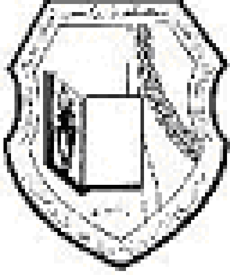
بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية السُّودان

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والنقد

أبُو الحَسَن الحُصْريّ القَـيْروانيّ

" حياتُهُ وشِعْـــــــــرُهُ "

بحث مُقدَّم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالب: البخاري عبدالمحمود الشيخ إبراهيم

إشـــــراف : أ . د . بشـــــير عبـــاس بشـــير

١٤٣٠ هــ ــ ٢٠٠٩م

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	د
الملخص باللغة الإنجليزية	هـ
فهرس المحتويات	و
مقدمة	١
الباب الأوَّل : عصر أبي الحسن الحصري وحياته	**٩**
الفصل الأوَّل : عصر الشاعر أبي الحسن الحصري	١٠
المبحث الأوَّل : مدينة القيروان وبلاد الأندلس	١٠
المبحث الثاني: الأحوال السياسية في القيروان والأندلس	١٣
المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية والدينية في القيروان والأندلس	١٨
المبحث الرابع : الحركة الثقافية والفكرية في القيروان والأندلس	٢٥
الفصل الثاني : حياة الشاعر أبي الحسن الحصري	٣١
المبحث الأوَّل : مولده	٣١
المبحث الثاني : نشأته	٣٩
المبحث الثالث : ثقافته	٤٧
المبحث الرابع : هجرته من القيروان إلى المغرب ومنها إلى الأندلس	٥٣
المبحث الخامس : آثاره ووفاته	٥٨
الباب الثَّاني : الأغراض الشعرية عند أبي الحسن الحصري	**٦٣**
الفصل الأوَّل :الرّثاء	٦٤
المبحث الأوَّل : مفهوم الرثاء	٦٤
المبحث الثاني : رثاء الشاعر أبي الحسن الحصري ابنه عبدالغني	٧٠
المبحث الثالث : رثاء الأمراء ورثاء المدن	٩٠
الفصل الثاني : الغزل	٩٨

المبحث الأوَّل : معشَّرات أبي الحسن الحصري الغزلية	٩٨
المبحث الثّاني : قصيدة (ياليل الصب) ومقدَّمتها الغزلية	١٠٥
الفصل الثالث : المدح	١٠٨
المبحث الأوَّل : مدح الملوك والأمراء	١٠٨
المبحث الثاني : مدح القضاة والعلماء	١١٤
الفصل الرابع : أغراض أخرى	١١٩
المبحث الأوَّل : الشكوى والحنين	١١٩
المبحث الثاني : مناسبات متفرِّقة	١٢٤
الباب الثالث : الخصائص الفنية لشعر أبي الحسن الحصري	**١٢٩**
الفصل الأوَّل : الأوزان والقوافي في شعر أبي الحسن الحصري	١٣٠
المبحث الأوَّل : الأوزان في شعره .	١٣٠
المبحث الثاني : القوافي في شعره .	١٣٩
الفصل الثاني : الأساليب البلاغية في شعر أبي الحسن الحصري	١٥٦
المبحث الأوَّل : ألوان بديعية في شعره	١٥٦
المبحث الثاني : صور بيانية في شعره	١٦٨
الفصل الثالث : بناء القصيدة في شعر أبي الحسن الحصري	١٧٦
المبحث الأوَّل : شكل القصيدة من حيث الاستهلال ، والتخلَّص ، والخاتمة	١٧٦
المبحث الثاني : مضمون القصيدة من حيث وحدة البيت ووحدة الموضوع	١٨٧
ـ الخاتمة	**١٩٥**
المصادر والمراجع	**١٩٨**

مُقَــدِّمة

أحمدُ الله تعالى حمداً يليق بجلاله ، وعظيم سلطانه ، وأصلِّي وأسلِّم على سيّدنا محمّدٍ أزكى صلاة ، وأتمَّ تسليم ، ورضي الله عن صحابته الأبرار الــذين آووه ، ونصــروه ، واتبعوا النّور الذي نزل وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فإنّ العصر الجاهلي ، قد وجــد اهتمامــاً مــن الكُتّــاب ، والبــاحثين الســابقين ، والمعاصرين ،ولا يختلف اثنان ، في أنّ الشعر الجاهلي هو ديوان العرب وسجل أيّامهم ، ووقائعهم ، وأنّ الشاعر الجاهلي هو لسان القبيلة ، وهو الذائدُ عن عزّها ، والمدافع عــن مجدها .

وهل أنا إلّا من غزيّة إن غوت **غويت وإن ترشد غزيّة أرشد (١)

ولرُبَما كان من أسباب العناية بالشعر الجاهلي ؛ أنّ شعر تلك الفترة مَّما يحتجُّ به في اللغة والنحو ، والتفسير ، لفصاحته وجودته .و مهما يكن من أمر فقد تــلا العصــر الجــاهلي عصرُ صدر الإسلام ، ثمّ العصر الأموي ، فالدولة العباسية ، وعنايــة البــاحثين بهــذه العصور لابأس بها ، بدليل الرسائل الجامعية الموجودة بمكتبات الجامعات ، إضافة إلى الكتب المؤلفة فيها . غير أنَّني لاحظت من قراءتي لدليل الرسائل الجامعية في عدد مــن الجامعات ، أنّ أدب المغرب العربي وأدباءَه وكذلك الأندلس ،لم يجد العناية الكافيــة مــن الدارسين والباحثين في السودان . رغماً عن التحوّل الذي طرأ بفتح العــرب للمغــرب والأندلس ، فكان ذلك نواة لدخول الإسلام واللغة العربية ، ومن ثمّ انتشارهما في أجــزاء واسعة من إفريقيا ، وبعض أنحاء أوروبا . ولا يَخْفَى ما نجم بعد ذلك عن تلك الفتوحــات من حضارة وعمران ، وتراث علمي وأدبي ، وآثار كان لها دورها البارز فــي انتشــار الثقافة العربية والإسلامية في الأصقاع البعيدة والبقاع النائية .

لذا فإنِّي أشرُف بأن أقدِّم دراسة أحسبها جديدة لأنّها من الرسائل القليلة إن لم تكــن النادرة التي جمعت بين بيئتي المغرب العربي والأندلس .

فقد أفادني جداً أنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ قد عاش في كلتا البيئتين اللتين حازتا

---

(١) هذا البيت لدريد بن الصّــمة ، انظره ضمن داليته ، في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد بن أبي الخطاب القرشيّ ، حقّــقه وضبطه وزاد في شرحه محمد البجاوي ، (بدون تاريخ) ، ص ٤٦٨.

اهتمامي ، ونالتا إعجابي ، وكان عصرُه هو القرن الخامس الهجري حيث ولد في القيروان ومات في طنجة ودُفن بها (٤٢٠هـ ــ ٤٨٨ هـ)

وشِعْر الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ ، بعد أن جمعه محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى التونسيان في العام ١٩٦٣م ظلّ حبيساً بين دفتي ديوانه طوال هذه السنوات ، ولم يتوفر أحدٌ من الباحثين لدراسته دراسة تفصيلية حسبِ علمي .

وحقيقة الأمر أنِّي أقدِّر ما بذله محقّقا الديوان المرزوقي ، والجيلاني من جهد حفظا به بعض آثار أبي الحسن الحُصْريّ لأنَّ البعض الآخر قد ضاع وقد أقرَّ المحقّقان بذلك ونوَّها إليه .

ورغماً عن الصِّعاب والعقبات التي تمثَّلت في شحِّ المراجع لبعض فصول ومباحث هذه الدراسة ، أضف إلى ذلك ندرة الدراسات السابقة إن لم نقل بانعدامها . رغماً عن ذلك فقد بذلت جهدي للتعريف بهذا الشاعر وشعره ، عسى أن أكون قد أضفت جديداً إلى المكتبة العربية .

وقد حصل المحقِّقان على المخطوطة الوحيدة لديوان الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ " اقتراح القريح واجتراح الجريح " من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، كما تمكّنا من الحصول على مخطوطة ديوان " المعشَّرات " الموجودة بالمكتبة العبدلية (١) بجامع الزيتونة . وقابلاها أو قارناها بنسخة دار الكتب المصرية .

أضف إلى ذلك جمعهما لبعض المتفرِّقات من قصائد أبي الحسن الحُصْريّ ورسائله من مصادر مختلفة . ولعلّ من أهمّها كتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسّام ، كما خصَّصا صفحات من الديوان لقصيدة ياليل الصب والقصائد التي جارى بها الشعراء هذه القصيدة (من صفحة ١٣٨ إلي صفحة ٢٠١).

وعلى كُلّ فقد قدَّما عملاً يستحق التقدير وأقلّ ما يقال : إنّه لولا جمعهما لشعر أبي الحسن الحُصْريّ لما كانت هذه الدراسة .

ولكن لابد لهذا العمل من تتمة ، وتكملة بدراسة الديوان دراسة تحليلية نقدية فنية ، لذا فقد قرأ الباحث قصائد الديوان فوجد أنّ منها ما يستحق الإشادة والإعجاب ودونك رائعته :

---

(١)ذكر محقّقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ ، محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى أنّ المكتبة العبدلية (موجودة حالياً بالجامعة التونسية) ، انظر أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠٣.

ياليل الصَّــبُّ متى غدُهُ ** أقيام الساعة موعدُهُ (١)

هذه القصيدة التي تلقَّفها عدد من الشعراء وأعجبوا بها بدليل القصائد التي نسجها هــؤلاء الشعراء على منوال تلك القصيدة ، ويكفي أنّ عدد المعارضات التي أوردها المحقِّـــقان فقط في حدود أربعين قصيدة.

وعلى أيّة حال فإنّ هذه الدراسة محاولة للخروج عن التقليد المتَّبع عند الكثيرين في التركيز على العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، وما تلاهما من عصــور الشــعر فــي المشرق العربي . ولعلَّ ذلك يلفت نظر الباحثين إلى أنَّ هنالك عصوراً وبيئــات شــعرية أخرى كما أنَّ هنالك شعراء آخرين جديرين بأن يُبْحَث في شعرهم ، خاصة وأنَّنا أحوج ما نكون ، إلى معرفة ما آل إليه الأدب وخاصة الشعر عقب عصور الازدهــار . وعقــد المقارنات بين شعر تلك العصور ، وشعر الشعراء المتأخِّرين ، حتى نقف علــى أوجــه الشبه ، والاختلاف ، ويتسنى لنا التعرّف على التطوَّر الذي طرأ على الشعر ، وذلك مــن خلال النظر في اللغة ، والأساليب ، والشكل ، والمضمون ، وغير ذلك من المعايير التي يمكن أن نستنبطها ونستخلصها في ضوء الدراسة الأدبية والنقدية للأغــراض والصــور الفنية .

كما حاول الباحث أن يربط دراسة الأغراض الشعرية بما نُظِم في العصر الجاهلي ، بإتباع أسلوب المقارنة الذي يبيّن سمات كلّ عصر ، ويوضِّــح ما طرأ من تغيير ، في تعامل الشاعر مع الأغراض الشعرية ، وإن كانت الأغراض التقليدية ثابتة لم تتغيَّر ، ولم تتبدَّل ، ولكن تتغيَّر العصور والأزمان والبيئات ويتغيَّر تبعاً لها أسلوب الشاعر ومعالجته للغرض الشعري ولعلَّه قيل : إنَّ الشاعر ابن بيئته .

كذلك حاولت أن أتلمّس مدى تأثُّر الشاعر بالشعراء سواء أكانوا من المتقدمين عنه ، أو المعاصرين له لعلّ ذلك يُسْــهم في فهم وبيان ثقافة الشاعر ومصادر شعره ، ونزعتــه نحو التقليد أو التجديد .

وتوصَّــل الباحث إلى انطباعات ونتائج معينة عن بعض القضايا المتعلِّقة بشعر أبي الحسن الحُصْريّ سوف تذكر في حينها وموضعها بإذن الله .

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ ، المرزوقي ، والجيلاني ، ص ١٤٣.

أهداف البحث :

وضعت في ذهني قبل أن أكتب هذا البحث عدداً من الأهداف التي آمل أن تتحقَّــق منها:

- أن يتعرّف القارىء على حياة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ والعصر الذي عاش فيه .
- أن تكون تجربة أبي الحسن الحُصْريّ الشــعرية بتفاصــيلها فــي متنــاول الطــلاب والدارسين والباحثين .
- أن يقرأ الناس عن بيئتين كثيراً ما ارتبطتا ببعضهما ، وأنجبتا عدداً لا يستهان به مــن الشعراء ، والنقاد ، والعلماء وهما المغرب العربي والأندلس.
- أن ألفت أنظار عدد من الباحثين خاصة الذين اتجهت جلُّ اهتمامتهم نحــو المشــرق ، إلى التراث العلمي والأدبي في المغرب العربي والأندلس .
- أن تكون هذه المرحلة بالنسبة لي نواة أو خطوة نحو المضيّ قُدُماً في البحث والتنقيب عن الأدب والأدباء المغاربة والأندلسيين .

أسباب اختيار الموضوع :

- الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ لم يجد ديوان شعره حظَّه من الدّراسة ، ولعلَّ هذا البحث أوّل محاولة ــ حسب علمي ــ على الأقلّ في السودان .
- اهتمامي وإعجابي بالأدب المغربي والأندلسيّ ، ولمّا وجدْتُ أنَّ الشاعر قد عاش فــي كلتا البيئتين فقد وافق ذلك منِّي هوى .
- الخلط الحاصل بين أبي الحسن الحُصْريّ وأبي إسحق الحُصْريّ صاحب زهر الآداب وقد بيّــنا أسبابه .
- الشّاعر أبو الحسن الحُصْريّ له قصائد أزعُمُ أنَّها من الروائع سواءً فــي الغــزل ، أو الرّثاء ، أو المدح وقد جذبتني إلى أن أعرف عنه وأعرِّف به .
- تجربة الرثاء المتفرِّدة عند الشاعر أبى الحسن الحُصْري لم تجد عناية مــن البــاحثين والأدباء إذ غفل كثير منهم عن دراستها وتحليلها مع استثناء اثنين أو ثلاثــة ، وقفــت على مقالات لهم عن الشاعر وشعره أثناء بحثي .
- أسلوب البديع المميِّز له عن عدد من الشعراء والذي إن عِيْبَ عليه في بعض المواضع ، فقد استُحْسِنَ في غيرها .

الدِّراسات السَّــــابقة :

- لعلّ أهمّ ما يشار إليه ما بذله محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى التونسيان من جهد مقدّر حيث جمعا كثيراً من شعر أبي الحسن الحُصْريّ من مصادر مختلفة منها المخطوط ، والمطبوع ، وصدَّرا ذلك بحديث طيِّــب عــن حيــاة الشــاعر ، وبيئته ، أعانني كثيراً في الباب الأوّل من دراستي إضافة إلى مــا وجدتــه عــن الشّاعر في كتب التراجم والطبقات .
- رغماً عن أنَّها صفحات معدودة ، حول موضوع محدَّد ، إلا أنَّني استفدتُ منهــا ، وأحببت أن أذكرها في الدِّراسَّــات السابقة لأنَّها أعانتني في دراستي ، وهي مقالة محمد العيساوى الشتوي المنشورة في مجلَّة العرب الجزء الخامس والسادس فــي سنة ١٤٢٢هــــ الموافق ٢٠٠٢م وكان مقاله بعنوان : ل[أبوالحســن الحُصْــريّ القيرواني صاحب (ياليل الصَّــبٌّ متى غدُهُ]
- كتب الدكتور الحبيب العوَّادي أيضاً في مجلَّة دراسات أندلســية العــدد الســادس والثلاثون سنة ١٤٢٧هــ الموافق ٢٠٠٦م مقالاً بعنوان : (نظام القصيدة في رثاء الأبناء ضمن ديوان اقتراح القريح لأبي الحسن الحُصْريّ.)
- وأخيراً وجدت في مجلَّة حوليات الجامعة التونسية الجزء السَّابع والثَّــامن العــدد السَّابع سنة ١٩٧٠م مقالاً للشاذلي بويحيى بعنوان : (من شعر علي الحُصْريّ).

منهج البحث :

وجدت أنّني مضطرّ لاستخدام أكثر من منهج ، اضطرَّني إلــى ذلــك تنــوَّع أبواب ، وفصول ، ومباحث الدراسة .

فالباب الأوّل : عُنِيَ بجوانب تاريخية ، فاخترت له المنهج الذي يلائمه ، وهو المنهج التاريخي الذي يتتبع أقوال المؤرخين ، وآراء الأدباء ، والعلماء ، ويصفها أو يحللها، أو يقارنها ، وأحياناً ألجا إلى أن انتهج نهجاً إحصائياً ، أو أن إســتخدم أشكالاً مثل الجداول ، والخرائط التوضيحية وتجد ذلك في البــابين الأوّل والثَّالــث كما أَحتاجُ لمنهج الاستقراء لجمع المعلومات ، وترتيبها ، وصــياغتها وملخّــص القول :إنَّك تجد أكثر من منهج في هذه الدّراسة .

فروض البحث أو تساؤلاته :

- كيف كانت تجربة الرِّثاء عند الشاعر أبي الحسن الحصري ؟ وهل هنالك تشابه بين قصائده في رثاء ابنه ، ومراثى غيره من الشعراء الذين رثوا أبناءهم .
- تفرّد شعر أبي الحسن الحُصْريّ بعدد من الأساليب التي ميَّزته ماهي تلك الأساليب ؟
- في أيِّ الأغراض الشعرية نظم أبو الحسن الحُصْريّ ؟ وهل كان مقلِّداً أم مجدِّداً ؟ وماهي آثاره العلمية والأدبية ؟

أهميَّة البحث :

- أحسَبُ أنَّ هذا البحث يكتسب أهميّة من عِدَّة وجوه منها:
- أزعم أنّه أوّل رسالة جامعية عن حياة الشاعر أبي الحسن الحصُرْيّ ، وشعره .
- عُنِيَت هذه الدِّراسة بفترة من أهمِّ فترات النهضة الأدبية والعلمية في المغرب والأندلس وهي القرن الخامس الهجري .
- جمعت هذه الدِّراسة بين بيئتين متجاورتين ، وهما المغرب العربي ، والأندلس أَنجبتا أفذاذاً من الأدباء ، والنقاد ، والعلماء أمثال : ابن رشيق ، وابن شرف ، وابن حزم وأبي إسحق الحُصْريّ وإبن زيدون إلى آخر القائمة .
- يعتبر هذا البحث مساهمة من الباحث في الدِّراسات التي عنيت بالأدب والأدباء في المغرب والأندلس .

المصادر والمراجع :

اعتمدتُ على مصادر، ومراجع متنوِّعة بعضها قديم ، وبعضها حديث وركَّزتُ على الكتب الأساسية في البلاغة ، والنقد القديم ، مثل : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، والعمدة لإبن رشيق ، والوساطة للآمدي ، إضافة إلى نقد الشعر لقدامة ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكذلك كتب الأدب وتشمل الدواوين الشعرية وغيرها ، وبعض معاجم اللغة مثل لسان العرب لابن منظور ، كما رجعت إلى مؤلَّفات في التاريخ مثل : تاريخ الطبري ، والحلل السندسية للوزير السراج ، وذخيرة ابن بسّام ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وتجد تفصيلاً أكثر في قائمة المصادر والمراجع التي أثبتها في آخر الرسالة .

وممَّـــا يجدر ذكره أنَّنى رجعت لبعض الدوريات والمجلَّات العلميـــة ، وقليـــل مـــن المواقع الإلكترونية ، والأقراص المدمجة ، وكان ديوان أبي الحسن الحُصْريّ الذي حقَّقـــه محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى موضوع دراستي، والمرجع الرئيس .

هيكل البحث :

يتألَّف من مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

ــ الباب الأوَّل : عصر الشاعر أبي الحَسَن الحُصْريّ وحياته وقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأوّل : عصره .

الفصل الثاني : حياته.

أمَّـــا الباب الثاني فهو : الأغراض الشعرية عند أبي الحسن الحُصْريّ ويحوى أربعـــة فصول :

الفصل الأوّل : الرثاء

الفصل الثاني : الغزل

الفصل الثالث : المدح.

الفصل الرابع : أغراض أخرى .

وقد خصَّـــص الباحث الباب الثالث للخصائص الفنية لشعر أبي الحسن الحُصْريّ وهـــو مكوَّن من ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : الأوزان والقوافي في شعر أبي الحسن الحُصْريّ .

الفصل الثاني : الأساليب البلاغية في شعر أبي الحسن الحُصْريّ .

الفصل الثالث : بناء القصيدة في شعر أبي الحسن الحُصْريّ .

وأسأل الله التوفيق والسّداد ، وأن ينفع بهذه الدراسة وأقرُّ بأنَّها لا تخلو من نقص ، أو سهو ، أو خطأ ، ولايفوتني أن أترحَّم على الأستاذ الدكتور بابكر البدوي دشين رافعاً أكُفَّ الضَّـــراعة للمولى عزّ وجل أن يسكنه فسيح جنَّاته . وأتوجَّه بالشـــكر الجزيـــل مبتـــدئاً بأستاذي ، ومشرفي الأستاذ الدكتور بشير عباس بشير الذي مافتيء يوجَّه ،ويرشد بســـعة صدر ، وطلاقة وجه ، وعلم غزير لم يمنعه من التواضع الجم ، والأدب الرفيع مرحِّبـــاً بي في دارهِ ، ومقرِّ عمله ،إذ لم يتبرّم من المكالمات الهاتفية ، ولم يتذمَّر من الرد على الأسئلة والاستفسارات .

وكذلك أزجى شكري وتقديري للمشرفين الداخلي والخارجي الّذيْن بذلا جهـداً فـي قراءة وتصحيح هذا البحث ووقفا على كلِّ صـغيرة وكبيـرة حتـى يخـرج بالصـورة المرضية بل والمشرِّفة . وشكري موصول للأساتذة بكلية اللغـة العربيـة ، ولمـن قـام بطباعته ،وترتيبه ، وتصويره ، وتغليفه حتى خرج بهذا الشكل .

وجزى الله خيراً الأستاذ التجاني سعيد والذي أهداني النسخة الأصلية لديوان الشاعر أبي الحسن الحصري كما أنَّـني أفدت من مكتبته .

أمّا مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية المركزية فأخصُّـها بشكر موظفيها ،وعمَّالهـا ، وكذلك مجمع اللغة العربية بالخرطوم ، ومكتبة جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية ، وموظفي مكتبة البشير الريح العامة بأم درمان ، ولا أنسى مكتبة قصر الشباب والأطفال ، ومكتبة السودان بالخرطوم .

أما الأمُّ الرؤوم جامعة الدلنج فهي التي بعثتني مُفَرَّغاً لنيل هذه الدرجة فإنِّي أرجو أن أوفَّق في ردِّ الجميل لها تدريساً ، وبحثاً ، وخدمة لمجتمعها متمنياً للجامعـة الاسـتقرار، والتوسّع ، والرُّقي . وأشيد بما تبذله وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمـي بإداراتهـا المختلفة ولاسيما إدارتي التدريب والتمويل من أجل تأهيل الأستاذ الجـامعي ، وتطـوير أدائه وليس أدلّ على ذلك من تكفُّل الوزارة بنفقات هذه الدراسة وغيرها ، ممَّا يُسْهم فـي تنمية، وتطوَّر هذا الوطن الحبيب السودان الذي أرجو أن ينعم بالأمن والوحدة.

وأصدق كلمة وفاء لكلية اللغة العربية بجامعة أم دمان الإسلامية قلعة العلم ومنـارة المعرفة . وشكري موصول لعميد كلية الدراسات العليا بجامعة أم درمـان الإسـلامية ، ونائبه ، ومسجل الكلية ، وموظفيها .

والله أسأل الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال .

الباحث،،،

الباب الأوَّل

عَصْرُ الشاعر أبي الحَسَن الحُصْرىّ وحياتُهُ

الفصل الأوَّل : عَصْرُه

الفصل الثَّاني : حياته

الفصل الأوَّل

عصر الشاعر أبي الحَسَن الحُصْريّ

المبحث الأوَّل :ــ مدينة القيروان وبلاد الأندلس .

اقتصر الباحث في هذا المبحث على التحدُّث بإيجاز عن مدينــة القيــروان، وبــلاد الأندلس، مبيِّــناً تاريخ الإسلام بالمدينة ، وتسميتها، وأهمِّيتها بالمغرب العربي بل وإفريقيا . وكذلك الحال بالنسبة لبلاد الأندلس . والربط بين القيروان ، والأندلس سَبَبُه أنّ الشــاعر عاش جزءاً من حياته في مدينة القيروان (٣٠سنة)تقريباً ، ثمَّ هاجر بعد نكبــة القيــروان (٤٤٩ هــ) إلى مدينة سبتة المغربية ومنها إلى الأندلس.

وعن حُدود المدينة أورَدَ ياقوت الحموي ما نصّه :(والقيروان في الإقلــيم الثالــث ، طولها إحدى وثلاثون درجة وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة وهذه مدينة عظيمــة بافريقية ، غبرت دهراً وليس مدينة أجلّ منها) (١).

أمّا تسمية المدينة بالقيروان فقد أورد ابن خلّكان أنَّ :(القيروان في اللغــة القافلــة ، وهو فارسيّ معرّب ، يُقال : إنّ قافلة نزلت بذلك المكان ، ثمّ بنيت المدينة في موضــعها فسُمِّيت باسمها ، وهو اسم للجيش أيضاً ، وقال ابن القطاع اللغوي القَيْرَوان بفــتح الــراء الجيش وبضمها القافلة)(٢).

وقد أسّس المدينة القائد العربي عقبة بن نافع في عهد معاوية بن أبي سفيان في ســنة ٥٠هـــ ويتحدّث الطبري عن سنة خمسين للهجرة ، ويذكر ماكان فيها مــن الأحــداث فيقول : (وفيها عُزل معاوية بن حُدَيْج عن مصر ووُلِّيَ مسلمة بن مخلد مصر وإفريقيــة وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يُولِّى مسلمة مصر وإفريقية عقبة بــن نــافع الفهري إلى إفريقية ، فافتتحها واختطَّ قيروانها ، وكان موضع غَيْضَة ــ فيما زعم محمــد بن عمر ــ لاترام من السِّباع والحيَّــات ، وغير ذلك من الدّواب . فدعا الله عــزّ وجــل عليها فلم يبق منها شيء إلاّ خرج هارباً ، حتى إنّ السّباع كانت تحمل أولادها)(٣) .

---

(١) انظر تفصيل أكثر عن المدينة في معجم البلدان،للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبــدالله الحمــوي الروحــي البغداديّ ، دار صادر بيروت لبنان ١٩٩١م ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ، أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن بكر بن خلّكان (المتوفى سنة٦٨١هــ) ، الجزء الأول ، دار الكتب العربية بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨م ، ص ٨٠.

(٣) تاريخ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هــ ــ٣١٠هــ) تحقيق محمد أبوالفضل إبــراهيم ، دار المعــارف مصر ١٩٦٣م ، الجزء الخامس ، ص٢٤٠.

وعن أهمّية القيروان ووصف أهلها يقول الوزير السّراج :(والقيروان لم يُعلِم الآن بعد مدينة تونس في الوطن الإفريقي أعظم منها مدينة ، وأهلها أشبه النّاس علماً ، وأكثر حذاقة،وأدرى الناس بتعاطي المتجر ، وأحضر الناس جواباً ،وأحدّهم خطاباً،وأقواهم تجلُّداً على عضِّ الدّهر، وأبصرهم بعواقب الأمور، بينهم عُرى أخُوَّة لم تتهلهل وثبات قدم في الحميّة لم يتزلزل ،ووثوق عهد في الذّبِّ عن أنفسهم لم يتخلخل)(١)

والنص السابق في رأي الباحث فيه مبالغه ، ويتضح ذلك من كثرة أسماء التفضيل الواردة في النص .

وقد ظلَّت القيروان تُحكم من قِبَل ولاة بني أميّة ومن بعدهم العباسيين إلى حين قيام دولة الأغالبة كما ذكر عبدالواحد المراكشيّ إذ يقول :(وهي كانت ــ أعنى القيروان ــ دار ملك المسلمين بإفريقية منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بني أميّة وبني العباس يُوَلُّون عليها الأمراء من قِبَلِهم إلى أن اضطرب أمر بني العبّاس واستبدّ الأغالبة بملك إفريقية بعض الاستبداد ، وهم بنو أغلب بن محمد بن إبراهيم بن أغلب التميميون، فاتخذوا القيروان دار ملكهم)(٢).

والمعروف في التاريخ أنّه خلف الأغالبة على حكم القيروان بنو عبيد وهم الفاطميون ، ولكن لمّا ارتحلوا إلى القاهرة خلَّفوا عليها زيري بن مناد الصُّنهاجي يقول صاحب كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب :(فلم يزل زيري وبنوه ملوكاً عليها إلى أن كان آخرهم الذي أخرجه العرب عنها تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن بلجين بن زيري بن مناد المذكور)(٣) .

وهكذا توالى الحكام والولاة منذ الفتح الإسلامي وحتى عهد المعز بن باديس في أوائل القرن الخامس الهجري . وهو العصر الذي عاش فيه الشاعر أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ حيث نشأ ، وتعلَّم ، وقضى شبابه بمدينة القيروان بيئته الأولى قبل أن يهاجر إلى الأندلس.

وسوف يُفصِّل الباحث الحديث عن حُكْم المعز بن باديس في القرن الخامس الهجري ، وذلك بالحديث عن الحياة السياسية ،والاجتماعية ، والدينية بمدينة القيروان وبلاد الأندلس في تلك الفترة.

---

(١) الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، محمد بن محمد الأندلسيّ الوزير السّراج (ت:١١٤٩هـ) تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الأول ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م ، ص ٢٤٤ ،٢٤٥.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبدالواحد المراكشيّ (ت:٦٤٧هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، الكتاب الثالث ، القاهرة ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م ، ص ٤٤٠.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

أمّا الأندلس ، فهنالك نصّ هام لابن خلّكان عن موقعها ، وأوّل من عمَرها إذ يقول : (والأندلس بفتح الهمزة وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وضم اللام والسين المهملة ، وهى جزيرة متصلة بالبر الطويل والبر الطويل متصل بالقسطنطينية العظمى ، وإنِّما قيل الأندلس جزيرة لأنَّ البحر محيط بها من جهاتها إلاّ الجهة الشمالية ،وهى مثلثة الشكل ، فالركن الشرقي منها متَّصل بجبل يسلك منه إلى افرنجة ولولاه لاختلط البحران. وحُكى أنّ أوّل من عمرها بعد الطّوفان أندلس بن نوح عليه السلام فسُمِّيت باسمه)(١) .

وإن كان حديثه عن أوَّل من عمرها يحتاج إلى أدلّة وبراهين ، كما أنَّه لم يذكر مصدر الحكاية واكتفى باسنادها للمجهول.

ويقول صاحب الحلل السندسية : (أمّا الجزيرة الأندلسية التي كانت العرب يُسمُّون بها هذه البلاد فهي منسوبة إلى "الأندلس" وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ولكنَّ أرجح الأقوال أنَّها مشتقة من اسم "الفاندالس" وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر "الأودر" Oder ونهر " القيستول " Vistule في شرقي ألمانية) (٢) .

أمّا تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس فقد كان متأخِّراً عن فتح مصر والقيروان ، حيث كان الفتح حسب ما ذكرته المراجع التاريخية في أوائل العقد الأخير من القرن الأوّل الهجري ، ومما يؤكِّد ذلك قول عبدالواحد المراكشيّ : (افتتح المسلمون جزيرة الأندلس في رمضان سنة ٩٢ من الهجرة ، وكان فتحها على يد طارق ، قيل ابن زياد ، وقيل ابن عمرو ، وكان والياً على طنجة ــ مدينة من المدن المتصلة ببَرِّ القيروان في أقصى المغرب) (٣).

وهكذا تعاقب الحُكَّام والولاة على الأندلس من قِبَل بني أمّية إلى أن كان الحدث الهام وهو دخول عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان إلى الأندلس في سنة ١٣٨هـ (٤) .

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلّكان ، ج١ ص ٨١.

(٢)الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الاميرشكيب أرسلان، الجزء الأول ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ــ لبنان ، (بدون تاريخ) ، ص ٣٢ .

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبدالواحد المراكشيّ ، الكتاب الثالث ، ص٣٢.

(٤) انظر تفصيل أخبار عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) (صقر قريش) في المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٠ ،٤١ ، الكتاب الثالث.

والذي حكم البلاد أكثر من ثلاثين عاماً . ثم استمر حكم الأندلس في عقبه إلى ولاية هشام المؤيّد بن الحكم المستنصر الذي قتل سنة ٤٠٣هـ بعد أن حاصرته جيوش البربر ، وبتاريخ وفاته نكون قد وصلنا إلى القرن الذي عاش فيه شاعرنا أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ وهو القرن الخامس الهجري . والذي شهد نهاية حكم بنى أُمّية وبداية حكم ملوك الطوائف ، وسوف يفصِّل الباحث الحديث عن حكم الطوائف وذلك في وصف الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في الأندلس في تلك الحقبة.

المبحث الثّاني :ـ الأحوال السياسية في القيروان والأندلس .

القيروان هي بيئة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ الأولى والتي قضى فيها زهاء منتصف سنيّ عمره ، قبل هجرته.

ولعلّ من أهمَّ الأحداث في القرن الخامس الهجري فترة حكم المعز بن باديس ، ونكبة القيروان في عهده ، وما تلاها من أحداث.

فقد وَلِيَ المعز الحُكْم في أوائل القرن الخامس الهجريّ ، بعد وفاة والده باديس بن المنصور في حدود سنة ٤٠٥هـ ويقول صاحب البيان المغرب عن المعز بن باديس : (مولده سنة ٣٩٩ هـ .وولى المُلك سنة ٤٠٧هـ ، وسنّه سبعة أعوام وشهران وتوفي سنة ٤٥٥هـ ، وعمره ثماني وخمسون سنة فكانت مملكته سبعاً وأربعين سنة)(١) .

وعن نظام الدولة في فترة حكمه يحدّثنا محمد المرزوقي ،الجيلاني بن الحاج يحيى محقِّقاً ديوان أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ : (يتكون نظام الدولة في هذا العهد من قسمين أساسيين: قسم شرعيّ ، وقسم سياسيّ)(٢)

ولعلّ في هذا التقسيم العام ما يحتاج إلى تعليق : فالقسم الشرعيّ كل ما يتعلق بالمعاملات ، والأحكام ، والقضاء ، والإمامة وكل مايهُم المجتمع في نواحيه الدينية . أمّا القسم السياسيّ فكما أنّ في عصرنا الحالي توجد تقسيمات سياسية: والى ،وزير، معتمد .... الخ كذلك الحال في القرن الخامس الهجريّ ، فقد كان هنالك تدرُّج سياسيّ ، و إداري للحكم مثل : الإمارة ،والوزارة ، والحجابة ، ورؤساء الدواوين ، مثل : ديوان الجيش ، وديوان

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشيّ ، الجزء الأول ، دار الثقافة .بيروت ــ لبنان ، ١٩٤٨ ، م ، ص ٢٩٥

(٢) أبو الحسن الحصرى القيروانيّ ، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، مطبعة المنار ، تونس ١٩٦٣م ،ص ١٢.

دول الطوائف

والممالك الإسبانية النصرانية

بعد انهيار الخلافة

أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر)

الجباية، وديوان الرسائل ... الخ ولعلّه يتضِّــح من اسم كلِّ ديوان مهامه.

وشهد عهد المعز ازدهاراً علمياً وأدبياً وذلك بتقريبة للعلماء ، والأدبــاء ، وســوف نفصِّــل في ذلك عند الحديث عن الحياة الثقافية ، وإن لم يخلُ عهده من الثورات والفــتن والتي تمكّن من إخمادها.

ومما عجّل بزوال دولته ، ونهاية حكمه ، محاولة الاستقلال عــن الدولــة الفاطميــة بمصر ، والتي كان آباؤه يتبعون ويدينون بالولاء لها . ولمّا علم الفاطميون بذلك ، ألّبُوا عليه القبائل العربية ، وأخذوا يُمنّونهم بحكم ما يستولون عليه فانطلقت قبائل بني هــلال وغيرها تعيث في الأرض قتلاً وخراباً . حتى أسقطوا دولة المعز بن باديس الذي انتقــل من القيروان إلى المهدية إلى أن توفي بها سنة ٤٥٤هــ كما كان للفتن التي نشأت بينه وبين بني عمِّه بني حمّاد اثر في إضعاف دولته بسبب الغارات والحروبات التي كانت بينهم.

ولكنَّ الزَّحفة الهلالية نسبة لقبائل هلال كانت سبباً في دمار القيروان ونهايــة نفــوذ بني حمّاد على المناطق التي كانوا يحكمونها ، ونورد هنا بعض النصــوص عــن نكبــة القيروان يقول عبد الرؤوف مخلوف :

(وهكذا ضعُــف الأخَوَان ، وأظهر المغيرون عليهم من الجرأة ما عجــز المعــز معه عن دفع غاراتهم على القيروان ، فأشار على أصحابه أن يرتحلوا إلى المهدية، وكان عليها ولده تميم في سنة ٤٤٥هـــــ ،أمّا هو فخرج إليها سنة ٤٤٩هـــــ واحتــل الثــوار القيروان وعاثوا فيها تخريباً ، وهَدْماً ، وإحراقاً على جاري عادات القبائل الهمجية)(١).

ويقول محمد العيساوي الشتوي عن دمار القيروان :

(ودُمِّرت القيروان تدميراً شاملاً وكاملاً على أيدي الزحفة الهلالية الجامعة لقبائل : هلال ، ورباح ،وزغبة ، ثم مجموعة بني سليم . وبعد خراب القيروان تفرّق أهلها أيــدي ســبأ كما يقولون) (٢) . وكما استمر حكم المعز بن باديس قرابة نصف قرن من الزمان (٤٧) سنة ، فقد خلفه ابنه تميم بن المعز والذي قضى في الحكم نفس الفترة التي قضاها والــده ويروى لنا ابن عذارى المراكشيّ بعض أوصافه إذ يقول تحت عنوان : بعض أخبار تميم بن المعز : (كان ــ رَحِمَهُ الله ــ شهماً ، شجاعاً ، حازماً ،عازماً ، يستصغر صعاب

---

(١) ابن رشيق القيرواني ، عبدالرؤوف مخلوف ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٤م ، ص ١٢.

(٢) مجلة العرب الجزء الخامس والسادس ، السنة السابعة والثلاثون ، ذو القعدة ، وذو الحجة سنة ١٤٢٢هـــــ (فبراير ــ مارس) سنة ٢٠٠٢م الرياض السعودية ، ص ٢٨٠.

الأمور ، ويستسهل عظائم الخطوب ، ويغلب عليه شدّة البطش والمبـادرة . وهـو أحـد فحول شعراء الملوك ، وذوي السبق والتقدّم في معانيه وبدائعه ، حـوى فيـه الجـودة والكثرة وله ديوان كبير من شعره مشهور)(١). .

أمّا الأندلس فقد شهدت ، اضطراباً سياسياً بعد أن خبا نجم حُكَّام بني أمّية ، فقد بـدأ القرن الخامس الهجري بسليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر الذي اجتمع عليه البربر وكان له لقبان : الظافر بحول الله ، والمستعين بالله ،

وقد دخل قرطبة سنة ٤٠٠هـ (وكانت مُدّة ولاية سليمان منذ دخل قرطبة إلـى أن قُتِل ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وأيَّاماً وكان قد مكلها قبل ذلك ستة أشهر على مـا تقـدّم ، وكانت مدّته ــ منذ قام مع البربر ألى أن قُتل ــ سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأيَّاماً) (٢) .

ثمّ ملك بعد سليمان هذا علي بن حمود من نسل سيِّدنا علي بن أبي طالب ، وكان هو وأخوه القاسم من جند سليمان بن الحكم ، ثم طمع في حكم قرطبة فدخلها وقَتَل سـليمان بن الحكم وأباه الحكم بن سليمان بن الناصر سنة ٤٠٧هـ ، غير أنّ المُلك لـم يُـدم لـه طويلاً حيث قتله الصقالبة سنة ٤٠٨هـ.

وحكم بعده أخوه القاسم بن حمود إلى سنة ٤١٢هـ وكان بينه وبين ابني أخيه يحيى بن علي بن حمود وإدريس بن علي بن حمود غارات وحروبات خلصت السـيطرة فيهـا على الجزيرة الخضراء إلى يحيى بن علي ، وتمكّن أخوه إدريس من بسط نفـوذه علـى سبتة وطنجة (فكانت ولاية القاسم منذ أن تسمّى بالخلافة بقرطبة إلي أن أسَرَه ابن أخيـه ستة أعوام ، ثمّ كان مقبوضاً عليه ستة عشر سنة عند ابني أخيه يحيى وإدريس إلى أن قتل ــ كما ذكرنا ــ في أوّل سنة ٤٣١هـ)(٣)

ولعلَّ أهمّ الفترات السياسية في عصر الشاعر هي فترة حكم ملوك الطوائف ، حيـث انقسمت الأندلس إلى دويلات أو ممالك كلّ دولة يحكمها ملك ، وكان من الممالك التـي اتصل شاعرنا بملوكها ومدحهم : مملكة دانية التي حكمها إقبال الدولة علي بـن مجاهـد العامري ، ومملكة سرقسطة والتي حكمها المقتدر بن هود ، وكان عبدالرحمن بن محمـد بن طاهر أميراً لمرسية ، والمعتصم بن صمادح ، أميراً على المرية ، أما المعتمد بن

---

(١) لبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشيّ ج١ ، ص ٣٠٢.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبدالواحد المراكشيّ ، الكتاب الثالث ، ص ٩١.

(٣) لمرجع السابق ، ص ١٠١.

عباد فقد كان ملكاً لإشبيلية .وعن المعتمد ودولته يقول البنتوني : (وكـان فـي مقدّمـة بلادهم إشبيلية لما كان فيها من واسع العمران وناصع الحضارة وجليل الإمارة في زمـن بني عبّاد ، الذين راجت سوق العلم والأدب في دولتهم لاسيّما أيام المعتمد آخر ملـوكهم. فقد كان أوسعهم حرماً ، وأكبرهم همَماً ، وأكثرهم كرماً، وأعظمهم سلطاناً)(١) .

وفي ظلِّ هذه الأجواء السياسية ، وانقسام الأندلس إلى دويلات ، وفد الشـاعر أبـو الحسن الحصريّ القيروانيّ على الأندلس واتصل ببعض ملوك الطوائف مثل المعتمد بن عبّاد صاحب إشبيلية ، فقد جمع البنتوني ، في نصٍّ بليغ حال السياسـة ، والمجتمـع، والثقافة في دولة بني عبّاد المتحضرة المستقرة إلى عهد المعتمد بن عبّاد ، وتأتي أهمية نص البنتوني في وصفه الدقيق للعصر الذي يتحدّث عنه الباحث والذي يبيِّن الحال التـي كانت عليها إحدى أهمَّ دول الطوائف ، وأوصاف ملكها ، عند وفود الشاعر أبي الحسـن الحُصْريّ القيروانيّ عليها بعد الخمسين وأربعمائة من الهجرة.

أمّا الربع الأخير من القرن الخامس الهجري ، فقد شهد قيام دولة المرابطين ، وقد كان شاعرنا أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ آنذاك في سنوات عمره الأخيـرة ، إذ إنَّـه توفى عام (٤٨٨هـ) فقدّر الله له أن يشهد بدايات حكم المرابطين ، وماكان فـي تلـك الفترة من حروبات وفتن.

ويحدثنا محمد عبدالله عنان عن المرابطين ، وأصلهم فيقول :

(إنّ المرابطين هم من قبيلة لمتونة ، ولمتونة هذه بطن من بطون صنهاجة ، أعظم القبائل البربرية ، وهى بدورها فرع من فروع قبيلة البرانس الكبرى) (٢)

وكان قائد جيوش دولة المرابطين ، وصاحب الفتوحات هو يوسف بـن تاشـفين اللَّمتونى ، والذي استنجد به ملوك الطوائف ومنهم المعتمد بن عبّاد ، لمَّا ضعفت دولتهم ،وأصبحوا غير قادرين على درء خطر النصارى وملوكهم من أسبان ورومان.

---

(١) رحلة الأندلس ، محمد لبيب البنتوني ، الطبعة الأولى ، مطبعة الكشكول ، ١٩٢٧م ، ص ٦٨.

(٢) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطيّ ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة الأولى ، (١٣٨٠هـ ـ١٩٦٠م)، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٢٨٩.

يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق : (ولمّا استصرخ أهل الأندلس بالأمير يوسف ، لبّى نداء الأخوَّة الإسلامية ، وعبر إليهم بجيش المرابطين ، وأنقذهم من عــدوّهم الخــارجي مرتين : الأولى في سنة (٤٧٩هـ /١٠٨٦م)، والثانية فــي سنة(٤٨٣ هـ /١٠٩٠م) وفي هذه المرة قضى على ملوك الطوائف ، وضمّ الأندلس إلى ملكه ، ونفَّذ فيها دستور المرابطين القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية)(١) وكانت وفاة يوسف بن تاشفين فــي بداية القرن السادس الهجري سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) وخلفه ابنه علي بن يوسف وبذلك دخلت بلاد الأندلس في قرن جديد خارج نطاق دراستنا وهو القرن السادس الهجريّ.

المبحث الثَّالث :ــ الحياة الاجتماعية والدينية في القيروان والأندلس .

من أهمّ القضايا التي خصَّصنا لها هذا المبحث ، ذكر القبائــل التــي شــكلت مجتمــع القيروان ، ووصف حياة المجتمع ، وذكر أهمّ الفرق الإسلامية التي كانت سائدة آنــذاك .

ثم نعرض للعناصر المكوِّنة لمجتمع الأندلس ، والتماذج بين هذه العناصر ، والأديان التي وجدت في الأندلس في تلك الفترة .

فقد شكَّل مجتمع القيروان مزيج من القبائل العربية ، وقبائل البربر ، وغيرها مــن القبائل التي هاجرت إلى القيروان . وقد ذُكِرت في مجلّة العرب مجموعة من القبائل التي استوطنت القيروان يقول محمد العيساوي الشتوي: (واجتمع فيها من القبائل العربية إلــى جانب سكان المنطقة القُدماء مثل : صنهاجة ، وزناته ، وهوارة ، ولغزاوة ، ومن العرب كبني تميم ، والأنصار، والأزد ، والقيسيين ، وتنوخ ، وكنانة ، وكندة ، وفِهرْ)(٢). .

ويبدو للباحث أنّ معظم هذه القبائل العربية قد قَدِمت مع الجيش الفاتح جيش عقبــة بن نافع ، أو بعد الفتح ، إضافة إلى القبائل العربية التي هاجرت من المشــرق العربــي سواء أيَّام حُكْم بني أمية و أيَّام الخلافة العباسية ، بجانب الهجرات القديمة لقبائــل الشــام واليمن .

فقد استقرَّت هذه القبائل بالقيروان وبَقِيَ نسلهم يتوالدون إلى أنْ شكَّلوا نسبة كبيــرة من مجتمع القيروان.

---

(١) الأدب العربي في الأندلس ، الدكتور عبدالعزيز عتيق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـــــ ـــ ١٩٧٦م، دار النهضــة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ١٠٥.

(٢) مجلّة العرب ، ج٥ وج٦ ، س٣٧ ، ص٢٨٠.

الدولة المرابطية الكبرى
عقب افتتاح الأندلس

ولم يخلُ مجتمع القيروان في كثير من الفترات ، من حياة الترف واللهو ، وكذلك الحـــال في المجتمع المغربي والأندلسيّ عموماً ، ويؤيِّد ما ذهبنا إليه من ممارسة المجتمع لبعض النشاطات الفنية قول المؤرِّخ التونسي حسن حسني عبدالوهاب: (تكـــاثر عـــدد المغنيـــين والمغنيات بإفريقية في القرن الخامس قبل الزّحفة الهلالية) (١) .

ولكنّ هذه الحياة المترفة ، عكَّر صفوها دمار وخراب القيروان سنة ٤٤٩هـــ، والذي دون شك أثَّـــر تأثيراً ســـالباً على مجتمع القيروان (وقد رأينا الأحداث التـــي أصـــابت القيروان ورأينا رحيل القوم عنها ورأينا الشعراء ومنهم إبن رشيق يرثونهـــا ويصـــفون ماحَلَّ بها ، ويصفون كيف دفعت بهم المصيبة إلى مغادرتها) (٢) .

فقد أثَّرت الحياة السياسية تأثيراً بالغاً على مجتمع القيروان ، وليس أدلّ على ذلك مما ذكرناه عن نكبة القيروان.

أمَّا الحياة الدينية بالقيروان فإنَّ من أهمِّ ما يُميِّزها أنّ عهد المعز بن باديس كـــان نقطـــة تحوّل هامة في مجتمع القيروان ، وما حوله من المذهب الشيعي إلى مذهب أهـــل السُّـــنة والجماعة.

ويعود تاريخ التشيُّع كما هو معلوم في الفكر الإسلامي ، إلى عصر الخلافة الراشـــدة والفتنة بين سيِّدنا على بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما . غير أنّ التشيّع وانتشاره بإفريقيا والمغرب العربي كان واضحاً في عهد الدولة العبيدية الشـــيعية ، والتي اتخذت من مصر قاعدة لها ، وحتى والد المعز بن باديس وجَدُّه كانا علـــى الـــولاء التام ، والتبعية المتأصِّـــلة للفاطميين بمصر معتقداً وحُكْما.

ويصف لنا إبن عذارى المراكشيّ الحال بقوله : (وكانت إفريقية كلّها ، والقيـــروان على مذهب الشيعة ، وعلى خلاف السُّنة والجماعة من وقت تملّك عبيدالله المهديّ لها .
فحرّض ابن أبي الرّجال المعز بن باديس ، وأدّبه ، ودلّه على مذهب مالك وعلى السُّـــنة والجماعة) (٣) .

---

(١) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، حسن حسني عبدالوهاب ، القسم الثاني ، مكتبة المنـــار ، تـــونس ١٩٦٦م ، ص ٢٢٤.

(٢)حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ، الدكتور عبدالرحمن باغي ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الأولى ،١٩٦١م ، ص١٢٣.

(٣) لبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، إبن عذارى المراكشيّ ، ج١،ص ٢٧٣ .

وبلغ أثر المذهب الشيعي بإفريقيا أنَّ الخطباء كانوا يذكرون أسماء بني عبيد حتى بعد أنْ ارتحلوا إلى مصر ، في الخطب ، ويدعون لهم . ولكن بعد محاربة المعز بن باديس للمذهب الشيعي ، أمَرَ الخطباء في المساجد بالدعاء على التشيُّع وأنصاره ، واستبدل العملات التي كانت تكتب عليها أسماء بني عبيد ، ولعلّ من أهمّ الأسباب التي عجَّلت بنهاية حكم المعز بن باديس محاربته للمذهب الشيعي وخلعه الولاء للفاطميين كما مرَّ في الحديث عن الأحوال السياسية.

وقد شكَّلت الدّيانة النصرانية ، وجوداً بشكل أو بآخر في الشمال الإفريقي والقيروان جزء منه ، وسوف يأتي الحديث عن النصرانية بصورة أوضح عندما نتعرض للحياة الدينية في الأندلس ، وكيف تأثَّر المغرب العربي بذلك.

وقد كان لدولة المرابطين في شمال إفريقيا ذات التوجُّه الديني القائم على مبادىء الشريعة الإسلامية أثرُ كبير في دحر العدوان النصراني ، ووقف زحفه نحو شمال إفريقيا ، وذلك عندما استغاث ملوك الطوائف بأمير المسلمين ، وأمير دولة المرابطين يوسف بن تاشفين لصدِّ العدوان النصراني من قِبَل الأسبان.

(وكان أنْ استجاب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى صريخهم ، وعبر إلى شبه الجزيرة في جيوشه المرابطية ، وفي ذلك الوقت بالذات كان ألفونسو ، عقب استيلائه على طليطلة ، قد سار إلى سَرَقُسْطة وحاصرها ، ليرغم أميرها المستعين بن هود على دفع الجزية ، فلمّا سمع بمقدم المرابطين ، غادرها مسرعاً إلى الأندلس ليلقى أعداءه الجُدد. ثم كانت موقعة الزلاقه (رجب ٤٧٩ هـ ـــ أكتوبر ١٠٨١م) وإحراز الجيوش الإسلامية المتحدة لنصرها الباهر على الجيوش النصرانية المتحدة ، وسَحْق قوات ألفونسو السادس وانسحابه في فلوله القليلة مهيضاً مغلوباً) (١) .

وعن الحياة الاجتماعية في الأندلس نعرضُ أوّلاً لمكوّنات مجتمع الأندلس ، فقد كان بجانب العرب الوافدين على البلاد ، عناصر أخرى مثل البربر ، (والعناصر التي سادت الأندلس خمسة : العرب ، والبربر،والموالى ، والمولَّدون ،وأهل الذِّمَّة من نصارى ويهود.) (٢)

---

(١) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطيّ ، محمد عبدالله عنان ، ص ٣٨٤.

(٢) الأدب العربي في الأندلس : الدكتور عبدالعزيز عتيق ، ص ١٣٣.

ثُمَّ فصَّل الدكتور عبدالعزيز عتيق القول بعد ذلك لكُلٍّ من العناصر ، ويرى الباحث أنّ العنصر العربي الإسلامي قد طغا على بَقِيَّة العناصر لعِدَّة أسباب منها : قوّة العرب المسلمين الذين تغلبوا على البلاد ، وكذلك الرغبة الجامحة للبربر المسلمين في تَعلُّم الإسلام ولغته ، فاجتهدوا في تعلّم اللغة وحذقها ، بل التفقُّه في الدِّين حتى لا يشعروا بالدونية أضف إلى ذلك التزاوج بين العرب والبربر وبَقِيَّة الأجناس .

أمّا الدكتور أحمد هيكل فيضيف لنا عناصر أخرى إذ يقول : (كان المجتمع الأندلسيّ مكوَّناً من عناصر شَتّى ، فقد كان فيه أهل البلاد الأصليون ، وفيه الوافدون من عرب ، وبربر ، ثُمَّ فيه الموالي المنسوبون إلى أقطار مختلفة ، والمماليك المجلوبون من بلاد عديدة ، أمّا أهل البلاد الأصليون ،فهم المُسَمُّون بعجم الأندلس وكانوا في أكثريتهم الغالبة من الأسبان.) (١) .

ويُلاحظ الباحث بجانب ما أضافه لنا هيكل من عنصري الأسبان ، والمماليك أنّ هنالك قوميّات ضاربة في القدم باستيطانها الأندلس ، وهم الفينيقيون ، والإغريق ، والرومان وهي شعوب قديمة لكن قد تُشَكِّل سلالاتهم نسبة ولو ضئيلة من سكان الأندلس.

ولاشكَّ أنَّ هذه العناصر المتباينة بعد الامتزاج ببعضها على مرّ العصور والحقب قد شكلت لنا مجتمعاً أندلسياً جديداً.

ويتساءل الباحث هل كان لهذا الامتزاج ، وتلاقح الثقافات ، واختلاف العناصر أيَّ أثر ايجابيّ أم سلبيّ على المجتمع ؟ .

والظاهر أنّ الأثر كان ايجابياً أكثر منه سلبياً لعِدَّة أسباب منها : أنّ كلاً من هذه الأجناس والشعوب قد نقل معه ثقافته ، وعلومه ، ممَّا ينشِّط عملية الترجمة ، فيستفيد كل عنصر، من علوم وتراث العنصر الآخر . أضف إلى ذلك أنّ أهمّ ما أدخله العنصر العربي على شعوب بلاد الأندلس ، هو الإسلام ، واللغة العربية ممَّا وحَّد بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، وألسنتهم هذا بجانب العلوم المختلفة التي أدخلها المسلمو

ولعلّ من ميزات المجتمع الأندلسيّ حبّهم للعلم ، ويبدو للباحث أنَّ هجرات العلماء العرب والمسلمين وغيرهم صوب الأندلس في فترات مختلفة شكلَّت عنصر جذب هام جداً ، وذلك لما ذكرناه من الارتباط بين مجتمع الأندلس والمشرق العربي سواءً الدولة الأمويّة

---

(١) الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الدكتور أحمد هيكل ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٦م ، دار المعارف القاهرة ، ص ٣٠.

أو العباسية ، ومعلوم أنّ العصرين من عصـــور الرّقـــي للثقافـــة والحضـــارة العربيـــة والإسلامية إذ نشطت فيهما الحركة العقلية والفكرية والتي نتج عنها عددُ من المؤلّفات في شتّى ضروب العلم والمعرفة ، وقد نُقِلت أعداد كبيرة من هذه المؤلفات إلى الأندلس عن طريق شراء بعض الملوك والأمراء لكميات ضخمة من الكتب ، وما حمله العلماء معهم ، كلٌّ ذلك أثَّرتأثيراً إيجابياً للغاية في ثقافة مجتمع الأندلس.

أمّا الحديث عن الدّين في الأندلس فلابدّ من الرّبط بين العناصر الســـابق ذكرهـــا والتي شكّلت مجتمع الأندلس وبين ما كانوا يعتقدونه ، ويدينون به ، فمن جملة ما ذكرنـــا من العناصر التي كوّنت مجتمع الأندلس أهل الذّمّة ، فقد كانت الديانة المسيحية ضـــاربة في القدم في أوروبا بصورة عامة ، والأندلس جزء منها لاسيما عند الأسبان ، والرومـــان ،والإغريق . كما شكّلت الديانة اليهودية نسبة من ديانات أهل الأندلس ، وإن لم تبلغ نسبة النّصرانية والإسلام . ويقول الدكتور عبدالعزيز عتيق عن أهل الذمّة : (وهـــم الأســـبان الذين بقوا على مسيحيتهم ، ولم يدخلوا في الإسلام وهـــؤلاء كـــانوا يـــرون أنّ البربـــر والعرب دخلاء عليهم وأنّهم أحقّ بملك بلادهم ، ويندرج مع هـــذا العنصـــر الأســـباني المسيحي يهود البلاد من حيث معاملة المسلمين لهم)(١) .

وهنا يبرز تساؤل عن كيفية التعايش بين هذه الديانات هل كانت حيـــاة تســـامح أم حيـــاة حروبات وغارات ؟ والأقرب عند الباحث إلى الصواب أنّ المسلمين منذ الفتح لم يقحمـــوا أنفسهم في مشاكل عقائدية ولم يلجأوا للحرب إلا إذا اضطروا لذلك ، وهذا هـــو الـــدين الإسلامي الحق الذي يخيِّر بين الإسلام ، والجزية ، والقتال كخيار أخير بجانب الاحتفـــاظ لأهل الكتاب بحرِّيـــتّهم الدينية . إذاً طبيعة الديانة الإسلامية الوافدة على بـــلاد الأنـــدلس ومرونتها مكّنت من إقامة مجتمع يمكن أن نطلق عليه متسامحاً دينياً ، بدليل الحرية فـــي العبادة ، ووجود أدْيرَة لليهود ، وكنائس للنصارى ، ووجود مساجد المسلمين التي امتـــدت وانتشرت في البلاد وشمخت مآذنها تصدح بالنداء للصلاة.

وما ذكرناه هو السِّمة الغالبة منذ الفتح الإسلامي ، واستقرار الحكـــام والـــولاة فـــي فترات مختلفة ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ الوضع كان آمناً تماماً فمع تتابع العصور، وتعاقـــب الحقب ، كانت هنالك غارات وحروبات في بعض الأحيان. وفي القرن الخامس الهجري

---

(١) الأدب العربي في الأندلس ، الدكتور عبدالعزيز عتيق ، ص ١٣٥.

شجَّع تفرُّق دُول الطوائف وما كان بينهم من مشاحنات وغارات شجع ذلك النصارى والفرنج على التطاول على عدد من المدُن الأندلسية ولكن ظلَّت الديانة الإسلامية هي الأرسخ والأعلى قَدَماً ، نتيجة للفترة الطويلة التي قضاها المسلمون ببلاد الأندلس والتي امتدت زهاء الثمانية قرون أضف إلى ذلك أنَّ حكم المسلمين في كثير من الحقب ، شهد استقراراً ، ومديً زمنياً طويلاً في كثير من فترات حكم المسلمين . ومثال لذلك فترة حُكْم عبدالرحمن الداخل ، وأبنائه ، وأحفاده (١٣٨هـ ـ ٤٢٨هـ) فهذه الفترة وحدها غير الفترات السابقة لها أو التي تلتها كافية لتثبيت دعائم الحضارة والثقافة الإسلامية في مجتمع الأندلس.

وهنا يحضرنا قول محمد عبدالمنعم خفاجة : (وقد بلغت الدولة في عهد الأمويين غاية كبيرة من الحضارة ، وخطب وُدّها ملوك الغرب . وأصبحت قرطبة قبلة الملوك ، وكعبة العلماء ، وملاذ الحضارة والثقافة) (١) .

وممَّا يجدر ذكره أنّ المجتمع الإسلامي نفسه بالأندلس ، قد تعدّدت فيه المذاهب ، وشكَّلت الشيعة ، والسُّنة أكبر هذه المذاهب يليها الخوارج ، كما تأثَّر المغرب العربيّ بالتشيّع والأقرب عندي للصواب أن يكون المغرب العربي هو الذي أثَّر في الأندلس ، خاصة في عهد الدولة العبيدية الشيعية (الفاطمية) ، وكثيراً ما تسبّب التعصب للمذهب السّني ، أو الشيعي ، في حروبات وفتن أهلية بين المسلمين في المغرب العربي والقيروان بصفة خاصة وفي بلاد الأندلس كذلك ، وممَّا يؤيِّد ذلك قول صاحب البيان المغرب : (وكان بمدينة القيروان قومُ بحومة تُعرف بدرب المعلّى ، يتسترون بمذهب الشيعة ، من شرار الأمّة ، فانصرفت العامة إليهم من فورهم ، فقتلوا منها خلقاً رجالاً ونساءً ، وانبسطت أيدي العامة على الشيعة ، وانتُهبت دورهم وأموالهم ، وتفاقم الأمر ، وانتهى إلى البُلدان فقتل منهم خلق كثير)(٢).

ونخلص إلى أنَّ مجتمع الأندلس عرف الإسلام كديانة عامة ، مع الاحتفاظ للنصرانية بوزنها ، وللأقلية اليهودية بنسبتها ، وعاش المجتمع متسامحاً وإن لم يَخْلُ في بعض الأحيان من غارات وحروبات ، ويصّور الدكتور أحمد هيكل هذا التسامح بقوله : (وقد بهرت الحضارة الإسلامية هؤلاء المسيحيين الذين كانوا يُعايشون المسلمين في الأندلس ،

---

(١) قصة الأدب في الأندلس ، محمد عبدالمنعم خفاجة ، ص ١٤.

(٢)البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، إبن عذارى المراكشيّ ج١، ص٢٦٨

فاخذوا من هذه الحضارة ، ومن أصحابها الشيء الكثير ، فقلَّدوا المسلمين في لغتهم ، وتعلّموا ثقافتهم ، بل لبسوا ملابسهم وعاشوا إلى حدٍّ كبير على نمط حضارتهم ولذلك سُمّوا بالمستعربين) (١). .

وهكذا نكون قد تحدثنا بصورة عامة عن الدِّين والمجتمع في القيروان والأندلس.

المبحث الرابع :ــ الحركة الثقافية والفكرية في القيروان والأندلس .

بالرغم من الاضطرابات والأحداث السياسية التي مرّ ذكرها في القرن الخامس الهجري ، فإنَّ سوق الأدب، والعلم ،والفكر لم يزل مزدهراً وقد نقل لنا عدد غير قليل من المؤرِّخين أنّ الأدب في فترة حكم ملوك الطوائف من أميز العصور التي مرّت على المغرب العربي وبلاد الأندلس .

و الحديث عن الثقافة ،والفكر في القيروان ، يوجب علينا أن نبيِّن المصادر التي استقى منها مجتمع القيروان ثقافته . وكما هو معلوم ، فقد ظلَّت المساجد منذ فجر الدعوة الإسلامية محلاً للعلم ، واستمرت كذلك ، ولكن اختلف الأمر قليلا مع تطوّر المجتمعات ، وتعاقب العصور فظهرت الكتاتيب القرآنية ، ليتلقى فيها الغلمان مبادىء القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، ومبادىء العلوم ، ثمَّ إذا ما أتمّوا حفظهم ، انتقلوا إلى حلقات العلم بالمساجد وإلى شيوخ ذلك العصر ، فيدرسون عليهم علوم الشريعة واللغة العربية ، من تفسير ، وفقه ، وحديث ونحو وبلاغة ، وأدب ... الخ.ولعلّ هذا النوع من التعليم الديني قد كان سائداً عندنا ، في السودان إلى وقت قريب ، قبل وبعد ظهور الجامعات وتعدُّدها في القرن العشرين ، وكانت تمثِّله الخلاوى والمعاهد العلمية .

كما أنّ بعض الأغنياء وأصحاب النفوذ ، يحرصون على تعليم أبنائهم بجلب معلّمين ومؤدبين لهؤلاء الأبناء ، ويبذلون في سبيل ذلك الأموال ، والأعطيات . لذلك كانت أندية ومجالس الثقافة نشطة في هذا العصر سواء في بلاطات الأمراء والوزراء أو الساحات والأماكن العامة (أمّا حلقات الأدب من شعر ونثر ونقد ، وقصص ، وملح ، فكانت منتشرة انتشاراً عظيماً ، لا في المساجد التي كانت مدارس عظيمة للثقافة العامة فحسب ، بل في الدّور والقصور ، والنوادي ، والدّكاكين ، والساحات العامة ... حيث يصح أنْ

---

(١) الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة ، أحمد هيكل ، ص٣٨.

نقول إنّ الأمِّـــيَّة في ذلك العصر كادت تكون مفقودة في القيـــروان وضـــواحيها نتيجـــة لحضارة باذخة وعمران واسع ، وثروة طائلة ، وازدهار شامل) (١) .
كما تحدّث المرزوقي والجيلاني (٢) عن سكان القيروان مُرَكِّزين على عنصري العرب والبربر والنشاطات التي كانوا يمارسونها من زراعة ، وصناعة ، وتجارة كـــدليل علـــى الحضارة الباذخة ، والعمران الواسع ، والثروة الطائلة التي ذكراها في النص السابق.

ويرى الباحث أنّ العلماء ، والأدباء الذين وفدوا على القيروان ســـواء مـــن بـــلاد الأندلس ، أو المغرب ، أو المشرق العربي كان لهم دور في إثراء ثقافة مجتمع القيـــروان بما حملوه معهم من علم ، وفكر، وأدب .

ولعلّ من أهمّ العوامل التي ساعدت على انتشار الثقافة في القرن الخامس الهجريّ ، في القيروان ما ذكرناه في بداية هذا المبحث مِنْ تشجيع الملوك والحكام والأمراء لـــلأدب والأدباء بل إنَّ عدداً من هؤلاء الملوك والأمراء في هذا القرن كانوا هـــم أنفســـهم أدبـــاء وشعراء يتذوقون الأدب ويقرضون الشعر منهم المعز بن باديس وابنه تميم بن المعز وما بذله المعز بن باديس من جهد في تقريب العلماء والأدباء إليه ، وما أنفقه من أعطيات كلّ ذلك شجعهم على التنافس والقدوم على بلاطه ويذكر ذلك غير واحـــد مـــن المـــؤرِّخين والمؤلِّفين فيقول حسن حسني عبدالوهاب : (ولا يخفي أنّ حاشيته كانت تجمع أكثر مـــن ستين شاعراً على مختلف نحلهم وأذواقهم ، ومن حسن الحظ أن دامت دولته نحو نصـــف قرن (من ٤٠٦ هـــ إلى ٤٥٤هـــ) ازدهـــــــرت فيها البلاد ازدهاراً لم يُعْرَف لـــه نظير في تاريخها) (٣) .

ونجد محمد العيساوي الشتوي يؤكد ما ذُكر آنفاً في مقال له في مجلَّة العرب بعنوان : أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ صاحب {ياليل الصبُّ متى غدُهُ} إذ يقول : (وقد اجتمع بالقيروان في أيّام المعز كبار رجال الأدب مثل ابن أبي الرّجال ، وابن شـــرف ، وابـــن رشيق ، وأبي إسحق الحُصْريّ وهو شيخ الجماعة ، كما يقولون إذ كـــان يجتمـــع عنـــده الأدباء والشعراء ... وقيل إنّ بلاط المعز جمع أكثر من مائة شاعر) (٤) .

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي ، والجيلاني ، ص ٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦،٥
(٣)ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، حسن حسني عبدالوهاب ، القسم الثاني ، ص ٢٢٢.
(٤) مجلة العرب ، ج٥ و ج٦ ص ٢٨١.

ويُلاحظ أنَّ عدد الشعراء قد زاد فقد حدّدهم حسن حسني في النص الذي أوردناه آنفا بأكثر من ستين شاعراً ولكن نجد أنّ العدد قد قفز في نص العيساوي إلى أكثر من مئة شاعر ، وفي كلا الحالين سواء أكانوا أكثر من ستين شاعراً أو أكثر من مائة فهو عدد ليس بالقليل ولأنَّنا لسنا في معرض الإحصاء ، بل أوردنا النصين دلالة على تقريب المعز بن باديس لعدد غير قليل من الأدباء والشعراء وتحفيزهم ممّا أثر أثراً إيجابياً في نهضة ثقافية واسعة في تلك الفترة.

ويجدر بنا الإشارة إلى الاعتناء بالكتب ، وتأليفها ، وجمعها ممَّا يدل على توفر مكتبات حوَت كتبا في شتّي فنون الثقافة وضروب العلم ، فنتج عن ذلك ظهور مجموعة من أميز كتب الأدب ، (وازدهار الحركة العلمية في ذلك العهد وجّه العلماء إلى تأليف الكتب ، وشارك الأمراء والوزراء ، والكبراء في حركة التأليف بالتشجيع المادي والأدبي ، فظهرت الكتب العديدة في الشريعة التي تعتبر اليوم من أضخم المصادر وأحسن المراجع في هذا الباب ، وكتب الأدب وفي مقدّمتها كتاب العمدة لابن رشيق ، وكتاب زهر الآداب لأبي إسحق الحُصْريّ ، والرسائل النقدية لإبن شرف ، وظهرت كتب إبن الجزار في الطب االخ ...) (١) .

وقد أشار الباحث في مطلع هذا المبحث إلى أنَّ من مصادر الثقافة في هذا العصر المساجد وحلقات العلم ، فالاستماع إلى العلماء والأخذ عنهم أيضاً يمثل أداة هامة من أدوات الثقافة ، حيث تتشكل بعد ذلك ثقافة الفرد ، وقدُ يُنْتِج ، ويضيف أو يثرى المكتبة العربية ، وذلك تبعاً لاختلاف قدرات الناس العقلية ، ومقدرتهم على الابتكار والتأليف . ووسائل الثقافة قديماً كانت بالجلوس إلى الشيوخ في تلقى ضروب العلم والأخذ عنهم ، وكذلك قوة الفرد العقلية ، ومقدرته على حفظ وتحليل ونقد ما يسمعه أو يتلقاه ، ويبتكر فيما لم يسبق إليه. (أمَّا الثقافة عند علماء الأدب فهي مقدار ما يحصِّله الفرد من ألوان المعرفة التي تخدم اتجاهه الفكري ، وتأتي للفرد إمَّا من شيوخ يجلس إليهم ، ويتلقَّى عنهم ويروي لهم بعد أنْ يناقش أو يُسَلِمِّ بما يقولون ، وإمّا من شيوخ يأخذ عنهم بطريق غير مباشر وإنَّما بالوساطة ، ونعني بالوساطة في هذا المجال الكتاب أو الرواية إذ لم يكن في القديم غيرهما) (٢) .

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، ص ٩ ، ص١٠.

(٢) ابن رشيق القيروانيّ ، عبد الرؤوف مخلوف ص٤٥.

ولعلّ الابتكار والتأليف قد ظهر في هذا العصر من خلال النماذج التي أوردناها ومن الكتب التي أُلِّفَت . ولعلّ وجود المكتبات ساعدهم على ذلك ، لاهتمام المعز بن باديس بالكتب والمكتبات .(وأوّل من أسّس مكتبة عمومية بالجامع الأعظم بالقيروان الأمراء الأغالبة ، ثمّ قلدّهم الناس فأوقفوا كتباً عديدة على الجوامع والمساجد ، وازدهرت مكتبة الجامع الأعظم في زمن الصنهاجيين وعلى الأخص في عهد درّة تاج دولتهم المعز بن باديس.)(١).

أمّا الأندلس فهنالك عِدَّة عوامل تضافرت وتسبَّبت في ازدهار الأدب والثقافة فيها في هذا القرن منها : أنّ الأندلس حظيت منذ الفتح الإسلامي بأمراء وولاة أدباء وشعراء، يتذوقون الأدب ، ويشجعون الأدباء خاصة في عهد بني أمية ، وعهد ملوك الطوائف ، ممَّا ساعد في نبوغ عدد من أدباء ومفكري ، وعلماء الأندلس في تلك الحقب.

وما حظيت به طبيعة الأندلس من جمال يسبي العقول ، ويشحذ الهمم ، ويلهم الشعراء ، هذا بجانب تقبُّل المجتمع الأندلسيّ للفنون والآداب والعلوم التي نتجت عن تماذج الثّقافات سواء بالترجمة ، أو التزواج بين العناصر التي شكلّت مجتمع الأندلس من عرب ، وبربر ،وأسبان ...الخ .

كما ساعد تحسُّن الأحوال الاقتصادية ، والمعيشية في فترات متعدِّدة على حياة الترف ، ومجالس اللهو ، والغناء ، ومجالس الشعر (كما لحّن الأندلسيون بعض أشعار(محمد بن شرف) ، (وأبي الحسن علي الحُصْريّ) ، (وعبد الكريم الحلواني) ، وكلّهم من مهاجري القيروان إلى الأندلس) (٢) .

وفي هذا النص إشارة إلى عامل يمكن أن يكون من جملة العوامل التي أدّت إلى ازدهار الثقافة والأدب بالأندلس بجانب ما ذكرناه ، والإشارة في قوله : (وكلّهم من مهاجري القيروان إلى الأندلس)

إذاً فإنّ الهجرات سواء من القيروان ، و غيرها خاصة المشرق العربي ونقصد به مراكز حكم الدولة الأموية بدمشق ، والدولة العباسية ببغداد ، هذه الهجرات إلى بلاد الأندلس حمل فيها المهاجرون علومهم المختلفة ، مما هو محفوظ في الذهن ، والذاكرة القوية ، أو مكتوب في الكتب ، وأثروا بها المغرب العربي وبلاد الأندلس ، إذ كثيراً ما مثَّل المشرق العربي بثقافاته وعلومه ، وأدبائه ، ومفكريه ، وحضارته ، أنموذجاً يحتذى لأهل المغرب العربي وبلاد الأندلس عامة.

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، محمد المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠.

(٢) ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، حسن حسني عبدالوها ب ٢٢٦.

وممَّا يؤيِّد ما ذكره الباحث ، عن دور الأمراء وتشجيعهم للأدب والعلم بل والثقافة عموماً مايلي :

يقول الدكتور يوسف فرحات : (أمّا الأدب فقد شهد أرقى مراحل ازدهاره بعدما تحوّلت بلاطات الأمراء إلى منتديات يقصدها الشعراء والكتاب ليفيدوا من الأعطيات. وقد قلَّد الأرستقراطيون الأمراء فحوّلوا قصورهم ومنازلهم إلى مجالس ثقافية) (١) .

ويقول محمد عبدالله عنان : (وإنِّها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف أن يكــون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلمـــاء ، وأن تكــون قصـــورهم منتديات زاهرة ، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون ، وأن يحفل هذا العصر بجمهـــرة كبيرة من العلماء والكتاب والشعراء الممتازين ، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسيّ والفكر الإسلاميّ بصورة عامة) (٢) .

أمّا البنتوني فيخصُّ من ملوك الطوائف المعتمد بن عبّاد قائلاً : (وكان أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة . وأعظمهم ثمادا . وأرفعهم عماداً . ملقى الرحال ، وقبلة الآمال لم يجتمع بباب أحدٍ من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ماكـــان يجتمع ببابه ، وكان المعتمد شاعراً مجيداً)(٣) .

وما أورده الكتاب ، والمؤلفون ، والمؤرِّخون في هذا الصدد لا يتسع المجال لذكره ، وإنِّما أوردنا النصوص السّابقة كنماذج وأمثلة تؤيِّد ما ذكره الباحث عن أحد أُهمّ العوامـــل التي ساعدت على ازدهار الثقافة والحضارة العربية بالأندلس .

وقد سبق القرن الخامس الهجريّ القرنان الهجريان الرابع والثالـــث واللـــذان شـــهدا أنماطاً مميزه للحضارة العربية بالأندلس ، تمثلث في بناء المساجد ذات الطـــراز والفـــن المعماريّ الإسلاميّ الرفيع ، والتي لا تزال آثارها باقية في عدد من مدن المغرب العربي وبلاد الأندلس كالقيروان ، وقرطبة ، ...الخ وكذلك القصـــور ، والأبنيـــة ، والأســـوار ، والحصون ، والقناطر ، والحدائق ، وغيرها من مظاهر الفخامة والتـــرف ولكـــن كـــان للحروبات والغارات أثر كبير في تدمير كثير من معالم الحضارة الإسلامية ، خاصة تلك

---

(١) ديوان ابن زيدون ، شرح الدكتور يوسف فرحات ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـــ ، ١٩٩١م ، ص ١٠.

(٢) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطيّ ، محمد عبدالله عنان ص ٤٠٧.

(٣) رحلة الأندلس ، محمد لبيب البنتوني ، ص ٢٧.

الغارات التي كانت من قِبَل الفرنج والنصارى من روم وأسبان ، ويرى الدكتور السّـيد عبدالعزيز أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية أنَّ هنالك أسباباً دينية أيضا أدّت إلى تقويض آثار الحضارة الإسلامية إذ يقول : (وعلـى الرغم من كثرة المنشآت العظيمة والقصور التي أسَّسها أمراء بني أمية وخلفائهم ، لم يتبق إلّا آثار قصور الزّهراء التي نفض الأثريون الأسبان عن أكفانها ... ويبدو أنّ السبب فـي تخريب هذه القصور يرجع إلى عوامل دينية) (١) .

وبنهاية هذا المبحث يتأكَّد لنا أنَّ الحياة الثقافية في القيروان ، والأندلس فـي القـرن الخامس الهجري ، كانت من أميز الفترات ، ساعد على ذلك تضافر عِدَّة أسـباب تقـدّم ذكرها . بالرغم من أنّ العصر لم يخلُ في بعض الأحيان مـن الاضـطرابات والفـتن والحروب والغارات.

---

(١) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة) الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ،(بدون تاريخ) ص ٥٠٥.

الفصل الثَّاني

حياة الشاعر أبي الحَسَن الحُصْريّ

المبحث الأول :ـــ مولدُهُ .

حاول الباحث جهده أن يعثر على جُلّ المراجع ، والمصـــادر، والـــدوريات التـــي أوردت أخباراً ومعلوماتٍ عن الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ ولكن المفاجأة كانت في قلّـــة المعلومـــات المتوفرة عن الشاعر بالرغم من تعدُّد الكتب ، والدوريات التي ترجمت له .

ولكنّها ترجمة مختصرة لا تعدو صفحة أو صفحتين في معظم الكتب وقد تقل عن ذلك في بعضها فلا تتجاوز أسطراً معدودة. ومع قلة المعلومات ، فإنَّ جُلّ المراجع إنْ لم تكن كلّها قـــد أغفلت تاريخ ميلاد الشاعر ، وركَّزت على وصفه بألفاظ مثل : المقرىء ، الشاعر ، اللغوي ، النحوي ، الضرير ... الخ وتاريخ ميلاد الشاعر أبي الحسن الحصريّ القيروانيّ فيه قـــولان : قول بأنَّه ولد في العام ٤١٥هـــ ، وهو قول صاحب كتاب معجم المؤلفين .

وقول بأنَّه وُلد في العام ٤٢٠ هـــــ ، وهـــو رأي المـــؤرِّخ التونســـي حســـن حســـني عبدالوهاب وهو ما رّجحه محقّقا ديوان الشاعر (المرزوقي والجيلاني) كمـــا أنّ هنالـــك خلافاً حول الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ هل وُلد أعَمِىَ ؟ أم أنَّه عمى بعـــد ولادتـــه ؟ ، وكذلك اختُلِفَ في علاقته بأبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ صاحب كتاب زهر الآداب هـــل هو خاله ؟ أم ابن خالته ؟ وفيمايلى نماذج لأقوال بعض من تـــرجم لـــه تبـــيّن مواضـــع الاختلافات المذكورة:

يقول عمر رضا كحالة : (علي بن عبد الغنـــى الفهـــرىّ ، الحُصْـــريّ ، الضـــرير القيروانيّ (أبو الحسن) مقرىء أديب، شاعر، وُلد أعمى في القيروان فـــي حـــدود ســـنة ٤١٥هــــ) (١) .

ويقول محمد العيساوي الشتوي في مقالة بمجلة العرب بعنوان أبو الحسن الحُصْـــريّ القيروانيّ صاحب (يا ليل الصبُّ متى غدُهُ) : (لم تشر كتب الأدب القديمـــة إلـــى تـــاريخ مولده ، غير حسن حسني عبدالوهاب ، المؤرِّخ التونســـي الـــذي حـــدّد مـــيلاده بســـنة ٤٢٠هــــ ، وعند رضا كحالة ، صاحب معجم المؤلفين ٤١٥هــــ وكلاهما لم يـــذكر ســـنداً لرأيه) (٢) .

---

(١) معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ١٤١٤هــــ ـــ ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ص ٤٥٩.

(٢) مجلة العرب ، ج٥ و ج٦ ،س٣٧ ، ص ٢٨١.

ويرجّح المرزوقي والجيلاني تاريخ ميلاد الشاعر بالعام (٤٢٠هـــ) ، وهو ترجيح مقنع في نظر الباحث وذلك لاستنتاجهما المنطقي لهذا التاريخ من شعر الشاعر نفسه إذ يقولان : (يقول الحصريّ في رثاء ولده:

زكا ابنى في تسع وأربعة له ** ولم أزك في خمسين عاماً ونيف

وسيأتي أنّ ولده توفي سنة ٤٧٥هـــ أو ٤٧٦هـــ فيكون عُمرْ الحُصْريّ عند وفاة ولده ٥٥ أو ٥٦سنة ومن المعروف أنَّ النيف يطلق على العدد المتراوح بين الواحد والتسعة ، وبهذا يصح تقدير الأستاذ*) (١) .

أمّا قضيّة أنَّه وُلد أعمى ، أم عَمِيَ بعد ولادته فلم تذكر كلُّ المراجع التي وقفت عليها تاريخ ميلاده ولاورد فيها لفظ (ولد أعمى) باستثناء ما ذكرنا من قول عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ، والنص الذي أوردناه ، لمحمد العيساوي الشتوي والذي يذكر فيه أن الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب قد حدّد تاريخ ميلاد الشاعر بالعام ٤٢٠هـــ.

ومعظم المراجع وصفت الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ بالضرير مثل :

١. صاحب كتاب جذوة المقتبس المُتَوفَّى سنة ٤٨٨هـــ ، ويلاحظ أنَّ تاريخ وفاته يطابق تاريخ وفاة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ يقول صاحب الكتاب في آخر ترجمته للشاعر متحدِّثاً بما أخبره به أبو الحسن علي بن أحمد العابدي : (وأخبرني أنَّه كان ضريراً، وأنَّه دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائة) (٢) .
٢. وفي نكت الهميان يقول الصّفدي : (علي بن عبد الغنى : أبوالحسن الفهريّ المقري الحصريّ الشاعر الضرير) (٣) .
٣. وفي الأعلام للزركلى (كان ضريراً ، من أهل القيروان ، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة) (٤) .

---

* الأستاذ هو المؤرِّخ التونسي حسن حسني عبدالوهاب ، وقد أورد الباحث تقديره المذكور في النص لمولد الشاعر بالعام ٤٢٠هـــ ، كما نشير إلى وجود ترجمة قيِّمة للأستاذ حسن حسني عبدالوهاب كتبها بنفسه أنظرها في حوليات الجامعة التونسية ، العدد السادس ، ١٩٦٩م الصفحات من ٣٥ إلى ٥٤.

(١) أبوالحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٤.

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبدالله الأزدي ، المتوفي سنة (٤٨٨هـــ) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، (لم يذكر رقم الطبعة) ، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥.

(٣)نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك لصفدى ، المطبعة الجمالية بمصر (١٣٢٩هـــ ـــ١٩١١م) (لم يذكر رقم الطبعة) ، ص ٢١٣ ، ص٢١٤.

(٤) الأعلام ، خير الدين الزّركلي ، الجزء الرابع ، الطبعة السادسة عشر ، كانون الثاني ، يناير ٢٠٠٥م ، دار العلم للملايين ــ بيروت لبنان ، ص ٣٠٠ ، ص٣٠١.

٤ ــ ويقول لسان الدين الخطيب : (وتعرّض له الحُصْريّ القرموني الضرير بخارج طنجة) (١) .

٥ــ وفي معجم الأدباء: (كان من أهل العلم بالنحو وشاعراً مشهوراً وكان ضريراً) (٢) .

٦ــ ويقول الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات : ("الحصريّ المقرىء المغربيّ " علي بن عبد الغني أبو الحسن الفهريّ المقري الحصريّ الشاعر الضرير) (٣) .

٧ــ وفي سير أعلام النبلاء للذهبي : (الأديب العلامة أبوالحسن علي بن عبد الغني الفهري ، القيرواني ، الحصري ، المقري الضرير) (٤)

وما أوردناه من النصوص السابقة عن وصفه بالضرير لمناقشة ما ذكره المُحّققان ، من أنّ الوصف بالضرير لمن عَمِيَ بعد الولادة ، أمّا الوصف بالكفيف أو المكفوف فيكون لمن وُلد أعمى يقول محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى مُحَقّقا ديوان الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ : (لقد عوّدنا المؤرِّخون الذين يتقيَّدون بالمعاني اللغوية أن يصفوا الأعمى بالضرير إذا ذهب بصره بعد ولادته ، ويصفونه بالكفيف أو المكفوف إذا وُلد أعمي) (٥) .

وقد رجّحا أنَّه عَمِيَ بعد الولادة : (وهذا ما يجعلنا نميل إلى أنَّه عَمِي بعد ولادته في زمن تكثر فيه الآفات التي تطمس البصر كالجدري وغيره) (٦) والباحث يذهب إلى ما ذهب إليه المحقِّقان من أنَّه عَمِيَ بعد الولادة أو في سنيّ طفولته الأولي للأسباب التالية: أولاً : معظم من ترجم له وصفه بالضرير وقد أوردنا نماذج لذلك وبيّنا أنّ لفظ ضرير يطلق على من عمي بعد ولادته .

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، المجلَّد الثاني ، الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ، الطبعة الأولي ، (١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م) ص ١١٢، ص ١١٣.

(٢) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزء الرابع عشر ، صفحات ،٣٩، ٤٠، ٤١.

(٣) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين بن خليل بن ايبك الصفديّ (ت:٧٦٤هـ) ، الجزء الحادي والعشرون ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م)، بيروت لبنان ، صفحات ١٦٣ ، ١٦٤، ١٦٥.

(٤)سير أعلام النبلاء ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،المتوفى (٧٤٨هـ)، الجزء التاسع عشر ، الطبعة السابعة ، بيروت مؤسسة الرسالة(١٤١٠هـ ــ١٩٩٠م) ،صفحات ٢٦،٢٧.

(٥) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص٢٤ .

(٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

ثانياً : لم أعثر على لفظ (ولد أعمى) إلَّا عند عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ، ولـم أجد وصف الكفيف أو المكفوف إلَّا عند ابن بسّام في الذخيرة (١).

ثالثاً : عثرت على بعض المراجع التي صرّحت بأنَّه عَمِى بعد ولادته ، وممَّن ذكر ذلـك الدكتور عمر فرّوخ في كتابه تاريخ الأدب العربي إذ يقول تحـت عنـوان : أبوالحسـن الحُصْريّ الضرير القيروانيّ : (هو أبو الحسن علي بن عبد الغنـي الفهـريّ القيروانـيّ الضرير الحصريّ نسبة إلى صناعة الحصر ، ولد فـي القيـروان سـنة ٤٢٠هـــ (١٠٢٩م) في الأغلب وقد توفيّت أمُّه وهو صغير لم يجاوز دور الطفولة بعد ، ثم أضـرّ (عَمِىَ) .)(٢)

ونلاحظ أنّ الدكتور عمر فرّوخ ، وصفة بالضرير أيضاً ، ثمَّ بيَّن مؤكِّداً لوصفه أنَّـه عمى بعد الولادة ، كما ذكر تاريخ ميلاده فيضاف إلى قلَّة المؤلفين الذين ذكـروا تـاريخ ميلاد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ.

كذلك صرّح عادل نويهض ــ في تحقيقه لكتاب الوفيات لابن قنفـذ القسـنطيني ــ بأنَّه عَمِي بعد الولادة ، وذلك عند ذكره للكتب التي ترجمت للشاعر يقـول : " ومعجـم المؤلفين " ج٧ ص١٢٧وفيه أنَّه وُلد أعمى وهو غلط ، والذي أجمع عليه المؤرخون أنَّه عمى بعد ولادته) (٣) .

رابعاً : كما لاحظ الباحث أنّ بعض أشعار أبي الحسن الحصريّ تحسُّ فيها بأنَّ الشـاعر كان مبصراً ثم فقد بصره وذلك مثل قوله :

نبا بصري فناب القلبُ عنه ** وبتّ به ألـحّ ولا أُليح (٤)

---

(١)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسَّام الشنتريني (٥٤٢هــ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان ، الجزء الرابع ، (١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) ، (لم يذكر رقم الطبعة) ، ص ٢٤٥.

(٢)تاريخ الأدب العربي ، الدكتور عمر فرّوخ ، الجزء الرابع ، دار العلم للملايين بيروت ــ لبنان ، الطبعة الرابعـة ، يونيو ١٩٩٧م ، ص ٧٠٧.

(٣) الوفيات ، لأبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب ، الشهير بابن قنفد القسنطينى ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م ، نشر دارالافاق الجديدة بيروت ، ص ٢٥٩ ، ص٢٦٠.

(٤) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ص ٣٠١ قافية الحاء البيت رقم ١٣.

وقوله : وقالوا قد عميت فقلت كلاَّ ** فإنِّي اليوم أبصر من بصير (١)

وقد ركزّ الباحث على هذه النقطة ، لأهمّيتها وأثرها في شخصية الشاعر وشعره، فلاشكَّ أنَّ الذي يفقد بصره بعد أن كان مبصراً ، ونظر إلى الدنيا ، يختلف عن من وُلد أعمى لم ير بياض الدنيا ولا سوادها ، وسوف نرى أثر العمى في شعره لاحقاً.

أمّا علاقة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، بأبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ صاحب زهر الآداب فبيان ذلك من الأهمية بمكان وذلك للخلط الحاصل بين بعض الكتّاب ، والأدباء ، والمؤلفين فبعضهم لا يميِّز بين الحُصْريين ، وحتى لاتنسب أشعار أو مؤلفات أحدهما للآخر كما حدث في نسبة كتاب زهر الآداب إلى الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، وذلك في النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية لديوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح " يقول مُحَقِّقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ : (وهذا الاشتراك بينها في النسبة ، جعل كثيراً من الأدباء لا يُفرِّقون بينهما فينسبون آثار أحدهما للآخر كما وقع في نسخة ديوان " اقتراح القريح" المخطوطة بدار الكتب المصرية ، والمنسوخة بتاريخ ٦٠٧هـ حيث جاء في أوّل صفحاتها مايلى : اقتراح القريح واجتراح الجريح تأليف أبي الحسن علي بن عبد الغني القرويّ الحُصْريّ الأندلسيّ من علماء القرن الخامس وهو مؤلِّف كتاب زهر الآداب سامحه الله) (٢) .

ويعزو الباحث هذا الخلط إلى اشتراك أبي الحسن علي الحُصْريّ وأبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ في عدة أشياء منها ، صلة القرابة ، وقرب العهد بينهما ، وأنَّ كلاهما يُنْسَب إلى الحُصْر، وإلى القَيرْوان ،وإلى قبيلة "فِهْر " .

أمّا صلة القرابة بينهما فنورد بعض الأقوال ثمَّ نحاول أن نرجِّح الأقرب إلى الصواب إنْ وَجَدْنا قرائن وأدلَّة على ذلك.

فمن الذين ذكروا أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ القيروانيّ هو ابن خالة أبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ .

أوّلا: قال ابن خلّكان في وفياته : (قلتُ: وهذا أبوالحسن إبن خالة أبي إسحق الحُصْريّ صاحب زهر الآداب)(٣).

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٢١.

(٣) وفيات الأعيان ، ابن خلّكان ، ج٣ ،ص ٢٩١.

ثانياً : ابن الجزرى في كتابه غاية النهاية : (وهو ابن خالة أبي إسحق إبراهيم الحصريّ صاحب زهر الآداب)(١) .

ثالثاً : الزّركلى في الأعلام : (وهو ابن خالة إبراهيم الحُصْريّ صاحب زهر الآداب) (٢)

رابعاً : الوزير السراج في الحلل السندسية وذلك في ترجمته لأبي إسحق الحصريّ يقول : (وهو ابن خالة علي الحُصْريّ الشاعر) (٣).

خامساً : نقل الصفدي في كتابيه ، الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان قول ابن خلّكان حيث يقول : (قال ابن خلّكان : هو ابن خالة أبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ صاحب زهر الآداب) (٤)..

أمّا ما وقفت عليه من أقوال عن أنّ أبا إسحق إبراهيم الحصريّ (صاحب زهر الآداب) هو خال الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ فبيان ذلك كمايلى :

ذكر صاحب كتاب البلاط الأدبي للمعز بن باديس أنَّ رأي الصفديّ ، وحسن حسني عبدالوهاب أنَّ أبا إسحق إبراهيم الحُصْريّ هو خال الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ (يقررِّ الصفديّ في الغيث المسجم ج١ ، ص ٢٤٤ أنَّ علي بن عبدالغني هو ابن أُخت أبي إسحق إبراهيم وهو مارجَّحه الأستاذ حسن حسني في مجمل تاريخ الأدب االتونسي ، ص ١٥٨) (٥) وقد اجتهدت وكنت حريصاً غاية الحرص على أن أقف على رأي الصفديّ وكذلك رأي حسن حسني ولكن لم أعثر لاعلى كتاب الصفديّ الغيث المسجم ولاعلى كتاب المورِّخ التونسي حسن حسني عبدالوهاب ولعلَّ الدكتور الحبيب العوادي قد استند إلى رأي الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب الذي اشرنا إليه وإن لم يصرِّح بذلك عندما قال : (ويذهب معظم المؤرخين إلى أنَّ تسمية الحُصْريّ نسبة إلى صناعة الحُصْر وقد أُطلقت التسمية أيضا على خاله أبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ صاحب كتاب "زهر الآداب وثمر الالباب ") (٦)

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، الطبعة الأولى (١٣١٥هـ ـــ ١٩٣٢م)، مكتبة الخانجي بمصر ، ص ٥٥٠،٥٥١.

(٢) الأعلام للزّركلي ، ج٤ ، ص ٣٠٠ ،٣٠١

(٣) الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، الوزير السراج ، ج١ ، ص ٢٧٧.

(٤) الوافي بالوفيات ، الصفديّ ، ج٢١ ، ص ١٦٣.

(٥) البلاط الأدبي ، للمعز بن باديس الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض السعودية ، ص ١٩٥.

(٦) مجلة دراسات أندلسية ، العدد السادس والثلاثون (٣٦) جمادي الثاني / ذو الحجة ١٤٢٧هـ ــ جويلية / ديسمبر ٢٠٠٦م) ، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار ، تونس ٢٠٠٦م ، ص٧٧.

وهذه هي الآراء الثلاثة التي وجدت أنَّه تقرر أنَّ الشاعر أبا الحسن علي بن عبدالغني هو ابن أخت أبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ .

ولا يستطيع الباحث أن يحدِّد العلاقة ،أو صلة القرابة بين (الحُصْريين) لأنّني لــم أعثــر على دليل قاطع إذا استثنينا أقوال الكُــتَّــاب وأصحاب التراجم التي سبق ذكرها عــن عن أنَّ والدتيهما أختان والتي تناقلها بعضهم عن بعض بدون ذكر سند أو مرجِّح كمــا أنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْري لم يشر لتلك العلاقة ، ولقد وجدنا خلافاً أيضاً فــي تــاريخ وفاة أبي إسحق الحُصْريّ وهل تُوفِّى سنة ٤٥٣هـــ أم سنة ٤١٣هـــ؟

ووجدت أنّ الراجح في تاريخ وفاة أبي إسحق إبراهيم الحَصْريّ هــو أنَّــه تــوفي سنة٤١٣هـ يقول ابن خلّكان : (توفي أبو إسحق المذكور بالقيروان سنة ثــلاث عشــر وأربعمائة ؛ وقال ابن بسّام في الذخيرة : بلغني أنَّه توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، والأوّل أصح ، رحمهُ الله تعالى) (١). .

ويقول الوزير السراج في الحلل السندسية : (توفي أبو إسحق المذكور بالقيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة)(٢) .

إذاً فقد تُوفِّي أبو إسحق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصْريّ قبل أن يولد الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ.وقد يكون ذلك سبباً لعدم ذكر أبي إسحق لأبي الحســن فــي شعره وآثاره ، إذا إنَّه تُوفِّي قبل أن يولد أبي الحسن الحُصْريّ .

ولم أعثر في شعر أبى الحسن الحُصْريّ على رثاء لأبي إسحق الحُصْريّ ، أوحتى فخــر به ، أو ذكر أخباره ومآثره . وإن كان هناك قول بأنّ أبا إسحق إبراهيم الحصريّ توفي سنة ٤٥٣هـــ ، ولكنَّه ضعيف لأنَّه لا يعقل أن يكون أبو إسحق الحُصْريّ توفي في هذا التاريخ (٤٥٣هـــ) ولانجد أثراً كما ذكرنا لأخبار عن التقاء أبي الحسن الحُصْريّ به ، خاصة بعدما ذكرنا من صلة القرابة بينهما ، فإذا افترضنا صحة تــاريخ وفــاة إبــراهيم الحُصْريّ في هذا التاريخ (٤٥٣هـــ) يكون عمر صاحبنا أبى الحسن الحُصْــريّ عنــد وفاته ثلاثة وثلاثون عاماً (٣٣) سنة فلايمكن ولا يستقيم عقلاً أن لا يتعرض أحدهما

---

(١) وفيات الأعيان لإبن خلّكان ، ج١ ، ص ٧٩.

(٢) الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، محمد بن محمد الأندلسيّ الوزير السراج ، الجزء الأوّل ، أو القسم الأوّل ، ص ٢٧٧.

لعلاقته بالآخر ، وأن لا يُذكر أبو الحسن الحُصْريّ ضمن تلامذة أبي إسحق الحُصْريّ ، والعكس كذلك بألاّ يذكر أبو إسحق الحُصْريّ من ضمن شيوخ وأساتذة أبي الحسن الحُصْريّ ، خاصة وأنّ أبا إسحق الحصريّ كان يُعَدُّ من كبار شيوخ وأساتذة ذلك العصر.
كما أنّ هنالك تساؤل آخر وهو أنّ نكبة القيروان كانت في العام ٤٤٩هـ ، فإذا كان أبو إسحق الحُصْريّ قد توفي في العام (٤٥٣هـ) لعثرنا في شعره على مرثية للقيروان ، أوفي آثاره على إشارة لآثار النكبة، كما رثاها وذكر أحداث نكبتها شعراء وأدباء ذلك

أوفي آثاره على إشارة لآثار النكبة، كما رثاها وذكر أحداث نكبتها شعراء وأدباء ذلك العصر ومن بعدهم ، إذ ليس من المنطق في شيء أن يمرَّ حَدَثُ كهذا ولانجد له ذكراً في آثار أبي إسحق الحُصْريّ .

من كلِّ ما تقدَّم نخلص إلى أنّ الأقرب إلى الصواب في نظر الباحث في القضايا الخلافية الثلاث التي سبق ذكرها:

أنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ولد في حدود سنة ٤٢٠هـ وأصيب بعاهة العمى بعد ولادته في سنيّ طفولته الأولى ، لذا كثرُ وصفه بالضرير ، وأنّ أبا إسحق المتوفى عام (٤١٣هـ) هو خال أو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ كما يبدو للباحث إضافة إلى اشتراكهما في النسبة إلى " القيروان " ، وإلى قبيلة " فهر "وإلى "الحصر" ممَّا جعل كثيراً من الكُتَّاب ، والمؤلِّفين ، والأدباء ، والمؤرخين يخلط بينهما.

المبحث الثاني :ــ نشاتة .

نشأ الشاعر علي بن عبد الغني ويُكَـــنَّى أبو الحسن في مدينة القيروان ، في حيّ يُسَمَّى حيّ الفهريين نسبة إلى قبيلة فهر العربية ، وهي ذات القبيلة التي ينتمـــي إليهـــا فاتح المدينة ومؤسِّسها عقبة بن نافع الفهري.

يقول محقِّــقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ : (في حيّ الفهريين الواقــع بالجهــة الشمالية من جامع عقبة بن نافع ، وفي بيئة عربية خالصة تعتز بنسبتها إلى قــريش ، وإلى قرابتها من القائد عقبة بن نافع الفهريّ مؤسِّس القيروان وفاتح إفريقيــة ، ولــد صاحبنا أبو الحسن علي بن عبدالغني الفهريّ الحُصْريّ)(١)

وعن نسبة الشاعر إلى " الحُصْر" يقول صاحب الحلل السندسية في ترجمتة لأبي إسحق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصْريّ : (والحُصْريّ ــ بضمٍّ الحــاء المهملــة ، وسكون الصاد المهملة وبعدها الراء المهملة ، نسبة إلى عمل الحُصْر أوبيعها) (٢)

ولعلَّ صاحب الحلل السندسية قد نقل هذا النص عن ابن خلّكان أو غيره ممَّن تقدّم عليه من الكُــتَّــاب ، والمؤلِّفين . إذا إنَّني وقفت على مــا ذكــره صــاحب الحلــل السندسية عن النسبة إلى الحُصْر عند ابن خلّكان في وفياته (٣)

وأورد الدكتور عمر فروخ أنّ الحُصْريّ نسبة إلى صناعة الحُصْر يقول : (هــو أبوالحسن علي بن عبدالغني الفهريّ القيروانيّ الضرير الحُصْريّ ، نسبة إلى صــناعة الحُصْر)(٤) وذهب محمد العيساوي الشتوي إلى ما ذهب إليه الدكتور عمر فروخ إذ يقول في مجلة العرب : (وهو منسوب إلى صناعة الحُصْر بالقيروان وكــذلك أبــو إسحاق الحُصْريّ)(٥)

وذكر الحبيب العوَّادي في مقال له بمجلة دراسات أندلسَّية في هامش صفحة ٧٧ قولــه : (ويذهب معظم المؤرخين إلى أنّ تسمية الحُصْريّ نسبة إلى صناعة الحصر)(٦)

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص١٩.

(٢) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسيّ الوزير السراج، ج١، ص٢٧٨.

(٣) انظر وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلّكان ،ص٧٩ تجد النص نفسه الذي ذكرناه لصاحب كتاب الحلل السندسية عن نسبة الحُصْريّ.

(٤) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٤ ، ص ٧٠٧.

(٥) مجلة العرب ، ج٥ و ج٦ ، س٣٧، ص٢٨١.

(٦) مجلة دراسات أندلسية ، العدد السادس والثلاثون (٣٦) ، ٢٠٠٦م ، ص ٧٧.

ويقول محقِّقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ: (ويُعلِّل غالب المؤرِّخين أنَّ الحُصْريّ منسوب إلى صناعة الحُصْر، ويقول بعضهم أنَّ النسبة إلى قرية " حُصْر" وكانت قُرب القيروان) (١). .

ولم يُشِر المحقِّقان إلى المصدر الذي يقول فيه بعض هؤلاء المؤرخين أنَّ النسبة إلى قرية حصر القريبة من القيروان ، ولم يقف الباحث على هذا القول فيما توفَّر من المراجع ، والمشهور في النسبة هو القول الأوَّل ، والذي أوردنا عِدَّة نصوص على شهرته.

أمّا أُسْرة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، فنبدأ بوالديه وإخوانه ، فقد رجَّح محقِّقا الديوان ، وفاة أمّه وهو طفل صغير (٢) ، والحديث عن أمّه مرتبط بعلاقته بأبي إسحق الحُصْريّ ،فعلى القول الثاني ، وهو أنَّ أبا إسحق الحصريّ هو خال أبي الحسن الحُصْريّ ، تكون والدة أبي الحسن الحُصْريّ نسبها معلوم لأنَّها أخت أبي إسحق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصْريّ ، وإنْ لم تذكر لنا المصادر والمراجع اسمها ، ولم يتعرض الشاعر لاسم والدته في شعره.

أمّا على القول الثاني وهو أنّ أبا إسحق الحُصْريّ ابن خالته (فإنَّ أمَّ أبي الحسن الحُصْريّ تصبح مجهولة الأصل عندنا ، فلا نعرف هل هي فهرية من عائلة الحُصْريّ؟ أو من عائلة غيرها عربية أو بربرية)(٣) .

أمّا والده فيرجِّح المرزوقي والجيلاني أنَّه تُوفِّي وابنه الشاعر شاب بلغ سنّ الرجولة أو كاد (نعتقد أنّ هذا الوالد مات وترك أبا الحسن كبيراً يعرف الحزن واللوعة ، ويحسن صياغة ذلك في شعر متين، بل إنَّنا نعتقد أنّ وفاته كانت قبل نكبة القيروان بوقت قصير)(٤) .

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص١٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢، ص ٢٣.

وكما هو معلوم فإنَّ نكبة القيروان كانت في العام ٤٤٩هـ وتاريخ ميلاد الشاعر هو ٤٢٠هـ ، فيكون عمر الشاعر عند وفاة والده مابين العشرين والثمانية وعشرين عاماً ، ومتوسط ذلك أربعة وعشرون عاماً .

وقد رثا الشاعر والده ، ووقف على قبره عند خروجه من القيروان . ولم أجد في رثاء الشاعر لأبيه ما يشير إلى زمن وفاة والده لا من بعيد ولا من قريب لنستعين به في ترجيح تاريخ وفاة والده . وسوف نذكر نماذج من شعره في رثاء والده عند الحديث عن الرثاء في الأغراض الشعرية.

ولم يذكر محقِّقا الديوان شيئاً عن إخوان الشاعر وأخواته ، وأعمامه وعمّاته ، ولم أجد معلوماتٍ أو أخباراً عنهم في المراجع التي ترجمت له والتي وقفت عليها ، ولعلَّ عدم توفر المعلومات عن أقربائه ، هو السبب في عدم ذكر المرزوقي والجيلاني لأخبار هؤلاء الأقرباء وأسمائهم وأعمالهم.

ويبدو للباحث أنَّ أقرباء الشاعر لم يشتهر منهم أحد بالعلم أو الأدب باستثناء أبي إسحق إبراهيم الحُصْريّ ، وإلاّ لوجدنا إشارة إلى ذلك في الكتب ، و التراجم ، والمراجع التي وقفنا عليها ، وكذلك لوجدنا ذكراً ، أو افتخاراً أو حتى إشارة إلى ذلك في شعر الشاعر وآثاره. يقول المرزوقي والجيلاني عن عدم معرفتهما بإخوة الشاعر وأقربائه : (ولا نعرف له أخاً ولا أختاً ولاقريباً أكثر من خاله (أو ابن خالته) إبراهيم الحُصْريّ الذي مات قبل ولادته) .(١)

ويبدو أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ كان في حياته شيء من عدم الاستقرار الأسري والنفسيّ ، ويتَّضح ذلك في فراقه لزوجته ، والتي رجَّح محقّقا الديوان أنّه تزوجها في الأندلس وأنَّها قَيْسيَّة من قبيلة ثقيف . (٢)

وقد عزا الشاعر أسباب فراقه لزوجته . بأنَّها كانت شابه وأنَّه أصابته الشيخوخة مبكراً ، فأحبَّت شاباً بربرياً وهربت معه إلى " تنَّس " في أرض الجزائر ، ولاشكَّ أنَّ الأثر النفسيّ لعدم استقرار الشاعر قد انعكس على شعره وعاطفته فالشاعر توالت عليه نكبات وأحداث بداية بفقد بصره ، وفقد أُمِّه وهو صغير، ثمّ فقد أباه ، ثم ترك

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٣٧.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧٤.

مدينته وموطنه وهاجر إلى مدينة سبتة المغربية ومنها إلى الأندلس ، حيث فارق زوجته ، وتوفي أعزُّ وأحبُّ أبنائه إليه صغيراً لم يتجاوز العاشرة من عمره ، أضف إلى ذلك وفاة عدد من أبنائه ، فكُلّ هذه الأحداث وغيرها ألقت بظلالها على الشاعر ، وأثَّرت عليه تأثيراً كبيراً.

كما أنَّ غدر زوجته به ، وتتابع مصائب الدهر وأحداث الزمان ، وفقد أقرب أبنائه إليه جعله يقسم باعتزال النساء إذ يقول :

ولمَّا دهاني الدّهـــر ، وابنى وأمُّهُ ** بحَرِبَيْن بكر مرة وعـــوانِ

صددتُ عن البيض الرعابيب سلوة ** وأقسمتُ جهداً لاملكنَ عـنانِي (١)

وعن ترك زوجته له ، لكبر سنه ، وتعلِّقها بالشاب يقول :

إلى الحَـدْثِ مالت هــوى ** وملَّت حـديث الجـدَثْ (٢)

ويقول :

شـبّت وشْـبتُ وبغـيـضُ الدّمى ** من أبصـرت في فَوْده الوَ خْطا (٣)

ويصف هروبها ، وتفضيلها للشاب البربريّ على الشيخ العربيّ ، ولأنَّها لا تستقر على رأي لربما أحبَّت رومياً ، أو قبطياً ، ويتمنَّى لو أنَّها ابتعدت عنه أكثر من " تنَّس " بالجزائر وذهبت إلى " قِفْط " بمصر يقول في ذلك الشاعر أبو الحسن الحُصرِيّ:

أجازت البحـر ولوعـوقبت ** بذنـبها لـم تبـلُـغ الشّـطَّا

والبربر اخـتـارت على عُربها ** وسـوف تهـوى الروم والقبطا

لقد شـفـت بالبـعـد لوأنّها ** من (تنّس) صـارت إلى قِفطا (٤)

فالشاعر أبو الحسن الحُصْريّ لتعلُّقه الشديد بزوجته وحبّه لها ، أثَّر تركها له فيه تأثيراً شديداً ، فقد كان يبذل لها العطاء الواسع ، ويداريها ليحافظ عليها ، ولكنّها تمرَّدت عليه ، فأصبح لا يكترث للحب ،ولا التعلُّق بالنساء لأنَّه عرف غدر النساء في زوجته ،

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٧٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٢

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٢.

(٤) المرجع السابق ، ص٣٤١.

ووصل إلى نتيجة وصل إليها الشعراء قبله :

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله ** فــليــس له في ودِّهنَّ نصــيب

ويصف الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ معاملته لزوجته ، وبذله وتضحيته لها وتمرّدها عليه بقوله :

بذلتُ العــطاء الجزل كيما أصونُها ** فباعتك بالأوطـــــار وادّعت المنعا

وكــنتُ أداريها وأرْقــى سِــمَامَها ** على أنّ أفعالي تُسمُّ بها الأفــعــى

عليك حــذار اليُتم حــتى تمــرّدت ** وقيل اتَّرِكــّــها إنَّها حــيَّة تســعى

رأيت ُأحــبّ الغانــيات لبعــلهــا ** إذا شاب لا ترضى وإن غاب لا ترعى

فقل للهوى حســبي بما ملكــت يدي ولوأنّني اســتبدلتُ بالدّرر الجــزعا (١)**

وفي البيت الأخير يتضح اكتفاء الشاعر بأمَته أو إمائه (بما ملكــت يــدي) والأمــة والإماء هي المرأة أو النساء مما ملكت يمينه ، وعدم رغبته في الزواج بعد تجربته التـــي فشلت . فهاهي الأمُّ الحُرَّة تركت ابنها وزوجها ، لو علمت أنَّه يموت ما تركته ، فاعتنت به الإماء إذ يقول في ذلك الحصريّ :

جزى الله أمّاً أيْتَمــتكَ إساءةً ** وجازى الإماء المحسنات بك الصُّنّــعــا(٢)

ويقول :

ولــوَ عــلمَتْ أمــّك ألَّا تــرى ** وجــــــــهك مــا أزمَعَــتِ السّــخــطا (٣)

أمّا أبناؤه فقد ورد ذكرهم وعدد من مات منهم في شعره ، إذ تُوفّي ثلاثة من أبنائه ، ثمّ تُوفي بعدهم الرابع وكان أعزّ أبنائه ، وأحبّهم إليه ، واسمه عبدالغني وهو الذي نظم فيــه ديوانه الشعري في الرثاء بعنوان : " اقتراح القريح واجتراح الجــريح " ، يقــول أبــو الحسن الحُصْريّ عن أبنائه الذين فقدهم :

ثمّ يقول النبىء حقّــاً ** أغثه باخير مســـــتغاث

ثلاثةُ قد أصيب فيهــم ** ووعدي الحقّ في انبعاث (٤)

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلانى، ص٣٩٦.

(٢) المرجع السابق ،ص ٣٩٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤١.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٠.

وعزاؤه في وفاة أبنائه الثلاثة الوعد الحقُّ والأثر الوارد عن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ، يبشِّر من فقد ثلاثة من أبنائه وصبر فاحتسب بالجنة وسوف ويحاول الباحث جاهداً أن يقف على هذه الأحاديث ، ويذكرها في فصل الرّثاء إن ثبتت صحَّتها أو حجِّيَتُها .

وعن هذا المعنى يقول الشاعر أبو الحسن الحصريّ :

فزت يافاقد الثلاثة من ولـ ** دٍ وبالصَّبر الكريم تمسَّكْ (١)

فلمَّا توفى ابنه عبدالغني أصبح عدد أبنائه الذين فقدهم أربعة ، وسنفصّل القول عن هذا الابن ، وعلاقته بأبيه وأثر وفاته على والده في الحديث عن الرثاء وهو أهمّ غرض من الأغراض الشعرية عند الشاعر.

ويقول الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ عن وفاة أبنائه الأربعة:

وأنت يادهرُ لقد ** فجعتَ فهراًغُرَرَك

سلبتني أربعة ** زانوا فكانوا دُرَرَكْ

بالله يادهرُ بهم ** عِظْني أفِدني عِبَرَكْ (٢)

ويقول :

رجوت بموت أربعة ** مُنى نفسي ومأمنها

رسول الله سوف يفي ** بموعدة تضمَّنها(٣)

وبقدر ما أحبَّ الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ ابنه عبد الغني بقدر ما كره ابنه الذي تسبَّب في وفاة ابن الشاعر المدلَّل والذي ورثاه بمراثٍ استغرقت ديواناً كاملاً في الرثاء ، وكانت هذه الأشعار سبباً في ذياع صيته ، وازدياد شهرته.

وعن مرض هذا الإبن ، وسبب وفاته يقول المرزوقي والجيلاني : (يُرجع الحُصْريّ مَرض ولده وموته إلى ثلاثة أسباب : لطمة أخيه ، وفراق أمّه ، وعين الحاسد ، فيقول مرَّة إنَّ أخاه الأكبر " ابن الجارية" قد لطمه في غياب والده فنتج عن تلك اللطمة ، هذا الرعاف الذي قضى عليه)(٤).

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المروزقي والجيلاني ، ص ٣٥٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٣.

(٤) المرجع السابق ، ص٢٤٨.

ويبدو أنَّ هذا الابن الذي كرهه أبوه وغضب عليه كان ابن أمَة ولـم يـذكر لنـا الشاعر اسم ابنه هذا ، ولكن وصفه بالعقوق وبأنَّه هجين ،وابن بغى ، وأنّه طـرده مـن البيت ، وفي حين يصف ابنه عبد الغني بأنَّه (ابن لباة) ، يصفه بأنَّه (ابن أتـان) فكُّـل الدلائل والقرائن تشير إلى أنَّ هذا الأخ لم يكن شقيق عبد الغني وهذا يؤكِّد أنَّ الشاعر أبـا الحسن الحُصْريّ قد اتخذ أمَة أو إماءً وأنجب منهنّ بدليل ما ورد في شعره. يقول الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ عن إبنه العاق وأوصافه :

أتاني رَدَى عبد الغنيِّ فهدَّنى ** على (ابن لباة) خانه (ابن أتان) (١)

ويقول عنهما :

جبر مصـاب الأبرِّ عـندي ** راحـة قلبـي من الأعقِّ

مـات أحـقّ الورى ببِـرِّي ** وعـاش مـن ليـس بالأحـقِّ (٢)

أمّا وصفه لابنه العاق بأنَّه ابن هجين ففى قوله :

صـبّ عـليـك الهجين بغياً ** و لـيـس كالفـضَّـة الرّصاصُ

صـحَّ لـك الفـوز لا أبالي ** بـيـن يَدَيْ ربـِّك القِـصَـاصُ(٣)

ويقول عن طرده له ، وعزمه ألاّ يورثه ماله :

إنّ الحـبـيـب الـذي قـد ** بغـى عـليّ طـردتُـه

اتَّـهـمـتُـه فـوربِّـي ** لـولا التُّـقـى لأقـدتُـه

وكـيـف أورِث مـالـي ** مـن حـلّ مـجـداً عـقـدتُه (٤)

وكان ضرب هذا الإبن العاق لأخيه عبدالغني والذي وصفه أبوه بالبدر ـــ سبباً في دعاء أبيه عليه :

ياضـاربَ الـبـدر أقـسمـ ** تُ لا وطِـئـتَ بـسـاطـي

كـما سـطوتَ عـلى ابـني ** اذهـب بُـلـيـتَ بـساطِ (٥)

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٣٨٠.

(٢) المرجع السابق ، ص٤١٩.

(٣) المرجع السابق ، ص٤٧٧.

(٤) المرجع السابق ، ص٢٨٤.

(٥) المرجع السابق ، ص٣٤٣.

ووصف ابنه العاق هذا أيضاً بأنّه إبن بغِي حيث يقول :

ولمّا تَوفَّي الله من كنــتُ أرتجــي ** وعاش الذي يُشكى الأذى منه والقذَى

نبذت وضِمتُ (ابن البغيّ) وطالما ** شــفعت لــــــه ألَّايُضـــامَ ويُنبــذَا

ثمّ رُزق الشاعر أبو الحسن الحصريّ ببنت بعد وفاة ابنه عبدالغني وكـــان مولـــدُها فيه بعض السَّلوى للشاعر وبعض التنفيس عن أحزانه إذ يذكرها في شعره وفي رســـائله التي جمع محقّــقا ديوانه أجزاءً منها يقول أبو الحسن الحصريّ : (قد سلوتُ بعض السلو بــــــ (أمّ العلو) ، أتتنى بعدك على الكبر ، في زمن العبر فحمدتُ الله ، وعدد تُهـــامن الحسنات ، وذكرت وصيّة النبي صــــــلَّى الله عليه وســـــلَّم . بِّحب البنات) (٢) ولعلَّها هي التي عناها بقوله:

يهبُ الله لمــن شــا ** ء إنـــاثا وذكــــــورا

فإذا أعطاك بنتاً ** فكــن الراضي الشكورا(٣)

وواضح أنَّ المعنى مقتبس من القرآن الكريم .ونختم الحديث عن أبناء الشاعر أبي الحسن الحُصْرىّ بأنّ عددهم ستة ، فَقَدَ أربعةً منهم كما صرّح في شعره بذلك وكان ولده الخامس آنذاك ، حيَّاً ،كما اتَّضح لنا أنَّ ولده السادس بقي على قيد الحياة بعد موت أخيه عبد الغني ، في حين أنَّ الشاعر لم يصرِّح بأسماء أبنائه وبناته في شعره ، إلا باسم إبنه عبد الغني ، وبنته أمِّ العلو.

---

(١) أبوالحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣١٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٨١.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث :ــ ثقافتُهُ .

هنالك ارتباط وثيق بين مكوَّنات ثقافة الشاعر وما كان سائداً من الحركة الثقافية ، والفكرية ، والعلمية ، في عصره ، إذ إنَّه دون أدنى شكٍّ قد أثَّــر وتــأثَّر إيجابــاً أو سلباً بالحياة الثقافية في تلك الحقبة التاريخية (القرن الخامس الهجري) ، ويبــدو هــذا التأثير والتأثُّــر في صور عديدة ممَّا ذكرناه في الحركة الثقافية والفكرية في القيروان والأندلس .

ومثالاً لاحصراً : التعليم الديني الذي كان سائداً في تلك الفترة والأدب والأدباء الذين شجَّعهم وحفَّزهم ملوك الطوائف ، وكبار العلماء والأدباء ، الذين تتلمذ علــيهم أدبــاء وعلماء ذلك العصر، كلٌّ ذلك وغيره أثَّــر في ثقافة شاعرنا أبي الحســن الحُصْــريّ القيروانيّ .

أمّا تعليم الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ ــ وهو أهمّ مكوِّنات ثقافته فقد بدأ بحفــظ القرآن الكريم ، كما ألمَّ بعلم القراءات ، وأصبح فيما بعد أستاذاً يدرِّس هذا العلم ، هذا بجانب العلوم الشرعية الأخرى من لغة، وتفسير، وفقه ، حال التعليم الديني آنــذاك إذ كان المتعلِّم بعد حفظه لكتاب الله تعالى لابد أنْ يُلِمَّ بمبادىء اللغــة العربيــة ،وعلــوم الشريعة الأخرى ، والتي أوردنا نماذج منها .

أمّا أساتذة الشاعر الذين تلقَّى عنهم العلوم ، فقد ذكرت لنا بعض المراجع عــدداً منهم فقد (تلقَّى الحُصْريّ الضرير القراءات وعلوم اللغة والأدب على أســاتذة مــنهم أبوبكر عتيق بن أحمد بن إسحق التميميّ القصري(ت : في شعبان ٤٤٧هــــ) وأبــو علي الحسن بن حسن بن حمدون الجلولي وأبو محمد عبــدالعزيز بــن محمــد بــن عبدالحميد)(١). .

ويقول محمد العيساوي الشتوي في مجلة العرب عن تعليمه : (وكضرير انكــبَّ على قراءة القرآن ، رواية ودراية ، وتبحّر في علوم القراءات إلى جانب اللغة العربية والشعر والنقد والأدب بصورة عامة ، وشاملة)(٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٤ ، ص٧٠٧.

(٢) مجلة العرب ، ج٥ وج٦، س٣٧، ص ٢٨٢.

ويُحدِّثنا مُحقِّــقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ عن شيوخه بشيء من التفصيل غير المُمِل ويذكران عن شيوخه أنَّ أباالحسن الحُصْريّ قد لقي تلامذة ، أبي عبدالله محمــد بن سفيان عالم القراءات وأخذ منهم العلم ، ولم يُسَمَّ المحقَّقان من هؤلاء التلامذة غيــر الثلاثة السابق ذكرهم وهم :

١/ أبوبكر القصري ٢/ الحسن الجلولي ٣/ عبدالعزيز بن محمّد (١) .

ويُوردُ الباحث بعض الأقوال أو النصوص التي ذكرتها بعض المراجع عن تعليم أبي الحسن الحُصْريّ أو ماوُصفَ بحذقه من العلوم ممَّا يدلُّ على ثقافته ، وتفتُّح ذهنه.

ويخبرنا ابن خلّكان أنَّه كان عالماً بالقراءات بل ودرَّس هذا العلم ، ونظم فيه شــعراً تعليمياً وهي قصيدته الرائية ولابأس بذكر الأبيات الأولى من الرائية والتي يقول فيها :

إذا قلتُ أبياتاً حِسَاناً من الشّــعر ** فلا قلتها في وصــف وصِلٍ ولاهجــرِ

ولامدح سلطان ولاذمِّ مســـلــمٍ ** ولاوصف خِلٍ بالـــــــوفاء أو الغدِرِ

ولكنَّــني في ذمّ نفســى أقولــها ** كما فرَّطتُ في ما تقدَّم من عــمــري

ولابدَّ من نظمي قــوافي تحتوي ** فوائد تغني المقرئين عن المــقــري(٢)

يقول ابن خلّكان : (كان عالماً بالقراءات وطرُقها وأقرأ الناس القــرآن الكــريم بســبتة وغيرها .وله قصيدة نظمها في قراءة نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة) (٣)

وقد وردَ وصفه عند ابن دحية بأنَّه مقرىء ، ولغويّ ونحويّ، إضافة إلى شــاعريته يقول في المطرب : (وأنشدني شيخ الإتقان وواحدُ أسانيد الفرقان أبو العباس أحمد بــن عبدالرحمن سبط الأستاذ أبي محمد المعذور قال : أنشدنا الأستاذ المقــرىء ، اللغــويّ ، النحويّ، الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْريّ

يا ناثراً دُرَّ عيني بل عقيق دَمي ** ما بالُ طرفك دوني صحَّ بالســـقَّمِ

ومــا لتفــحاتى خَــدَّيْك أيــنعتا ** فأفطرتْ منهُماَ عيْني وصــَام فَمِــي (٤)

---

(١) انظر أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٦ ، ص٢٧.

(٢)وردت الأبيات في ديوان أبي الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلانــي ، ص ٦٧، فــي حــديث محقِّقي الديوان عن مؤلَّفات الشاعر والتي من ضمنها هذه القصيدة الرائية في القراءات .

(٣) وفيات الأعيان ، إبن خلّكان ، ج٣ ص ٢٩١ .

(٤) المطرب في أشعار أهل المغرب ، ابن دحيَّة ، تحقيق الأستاذ مصطفي عوض الكــريم ، الطبعــة الأولــى ، مطبعة مصر ، الخرطوم سنة ١٩٥٤م ، ص ، ٧٩،٨٠.

وضمن معلومات قليلة لا تتجاوز نصف الصفحة في موقع على الإنترنت من المواقع الموثوقة ويُسمَّى ويكبيديا الموسوعة الحرّة يقول عن الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ : (حفظ القرآن بالروايات وتعلَّم القرآن الكريم على شيوخ عصره) (١)

فالنصوص السابقة تدُلُّ على أنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ تعلَّم ، وتثقَّف بثقافة عصره ، ممَّا مكَّنه من استخدام ذخيرته اللغوية وثقافته الواسعة ، في نظم الشعر ، وسنبيِّنُ عند الحديث عن شعره ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم ،وأثر التعليم الديني الذي يظهر في بعض أشعاره. ويقول المرزوقي والجيلانى عن ثقافة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ : (ولا نشكُّ أنَّه كان متمكِّنا من ثقافة عصره تمكُّناً تاماً ، نستطيع أنَّ نعثر على آثار ذلك في شعره ، فإذا كانت علوم القرآن هي المادة التي اختصَّ فيها فإنَّ ما يتبعها من علوم العصر من عقائد ، وفقه ، وعلوم الأحاديث ، والتفسير . كانت له مشاركة بارزة فيها ، بالإضافة إلى علوم الأخبار والعربية ، وفنون الشَّعر والنثر) (٢) .

ويبقى تساؤل عن شاعرنا أبي الحسن الحُصْريّ القيروانيّ وهو هل اشتهر بأنَّه شاعر في شبابه إبَّان إقامته بموطنه الأوَّل القيروان ؟

فقد بيّنا تعليمه ، وشيوخه، وثقافته ، فهل أثَّرت وانعكست هذه الثقافة على الشاعر فنظم شعراً حتى اشتهر به؟

يرجِّح المرزوقي والجيلاني مُحَقِّقا ديوانه أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ ، كانت له مشاركات في مجتمعه ، وقصائد في فترة شبابه . بالرغم من قِلَّة المعلومات المتوفِّرة عن تلك الفترة من حياته. (ومثلما أهمل المؤرِّخون شعره في شبابه الذي قضاه في القيروان أي نحو ثلاثين عاماً من عمره ، كذلك أغفلوا حياته في هذه الأعوام ، وليس من المعقول أن يقضي هذه المدَّة الطويلة مقتصراً على التلمذة ، وطلب العلم ، بل نعتقد أنَّ الرجل منذ تجاوزه العشرين ، شرع في مشاركة الناس في حياتهم ، فأقرأ القرآن وعلومه ، وقرض الشعر وحّبر الرسائل ، وشارك في المجالس الأدبية) (٣) .

---

(١) http: // ar . wikipedia

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧.

ولم يبق إلاّ إيجاد مبرِّرات لترجيح المرزوقي والجيلاني لنظم الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ للشعر في شبابه وهو بالقيروان قبل النكبة ، وقبل الهجرة إلى مدينة سبتة المغربية ومنها إلى الأندلس فمن الأدلَّة على أنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ القيروانيّ كان ينظم الشعر وهو بالقيروان ، الأبيات التي قالها وهو يودِّع قبر أبيه بعد نكبة القيروان مهاجراً إلى مدينة سبتة المغربية ومنها إلى الأندلس إذ يقول :

أبي نيِّرُ الأيَّامِ بعـــــدك أظلَمَا ** وبنيانُ مَجـدِي يوم مُتَّ تَهدَّمَا

وجسمي الذي أبلاه فقدُك إن أكُن ** رحـــلتُ به فالقلب عندك خيَّمَا

سقى الله عينـــي من تعمّد وقفةً ** بقبرك فاســتســقى له وترحَّمَا

وقال ســلام والثَّــوابُ جزاءُ من ** ألمَّ على قــبــر الغــريب فسلَّمَا(١)

وقوله :

رحلتُ وهاهنا مثوى الحبيب ** فمن يبكيك يا قبر الغريبِ

سأحمل من ترابك في رحالي ** لكي أغنى به عن كلِّ طيبِ (٢)

فهذا الشعر (شعر متين ، قويّ العاطفة ، ناصع الديباجة ، يدلُّ على أنّ قائلـه كان متمكِّنا من الصناعة ، موهوباً يستمدُّ من فيض غزير) (٣) .

وبعد أن أثبت المرزوقي والجيلاني أنَّه نظم الشعر في شبابه بالقيروان ، ذكرا ثلاثة أسباب لعدم ذياع شهرة الشاعر أثناء وجوده بالقيروان ، وإهمال أخباره ، وإغفال شعره في هذه الفترة.

فحسب رأي محقِّقي الديوان أنَّ الحُصْريّ كان صغير السِّنِّ ، وكان بلاط المعز بن باديس يعجُّ بأدباء وشعراء لهم وزنهم فلم يلتفت المؤرِّخون والمؤلِّفون إلى أبي الحسن الحُصْريّ مع وجود هذه الشخصيات في بلاط المعز ،إضافة إلى أنَّ أبا الحسن الحُصْريّ نفسه لم يحاول الاتصال بالبلاط الأدبي للمعز بن باديس (٤) ..

وذَكَرا سبباً آخَراً إذ يقولان : (نعتقد أنَّه مارس قول الشعر في الغزل والهجاء ،وأنَّ الهجاء دفع النَّاس إلى الحذر منه والابتعاد من طريقه ، ودفع الإخباريين بالقيروان ـــ

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٢٩.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨.

وأغلبهم من أهل التقوى والورع ـ إلى إغفال أمره وإهمال تقييد شعره) (١)

ولعلَّ السبب الثالث الذي ذكراه عن إغفال الرواة والأدباء لشعر أبي الحسن الحُصْريّ في فترة شبابه بالقيروان، هو من أهمّ الأسباب في نظر الباحث ، أضِف إلى ذلك (انَّ نكبة القيروان التي اضطرت صاحبنا إلى الهجرة من موطنه كما هاجر غيره كانت السبب الأكبر في ضياع شعره في ذلك العهد ، وإتلاف آثاره) (٢). .

ويؤيِّد هذا ـــ أنَّ ضياع شعره كان أحد أهمّ أسباب إغفال أمره ـ الشاذلي بويحيى في مقال له في مجلة حوليات الجامعة التونسية والمقال بعنوان : " من شعر علي الحُصْريّ " والشاذلي بويحيى يتحدَّث عن ديوان شعر أبي الحسن الحُصْريّ الذي جمعه وحقَّقه المرزوقي والجيلاني ، وعن أنَّ كثيراً من أشعار الشاعر لم تضمَّن في هذا الديوان حيث يقول : (إنَّ ما جُمِع به من شعر علي الحُصْريّ القيروانيّ على غزارته إنَّما هو قليل من كثير لإعراض الشاعر نفسه عمّا كان قاله مِن شعر قبل وفاة إبنه عبد الغني ثمَّ لعبت أيدي الناس والزمان بمعظم هذا الشعر. كما أشرنا إلى أنَّ أشعاراً لعلي الحُصْريّ موجودة في المخطوطات وفي المطبوعات أيضاً لم يضمُّها هذا الكتاب) (٣) .

واستشهد أو دلَّل الشاذلي بويحيى لرأيِهِ ونقده لكتاب المرزوقي والجيلاني ـ الذي جمعا فيه شعر أبي الحسن الحصريّ وحقَّقاه ـ وذلك بإيراد نماذج لبعض الأشعار لأبي الحسن الحُصْريّ لم تُضمَّن في الديوان.

وقد تساءَل الدكتور عبده عبدالعزيز في كتابه البلاط الأدبي للمعز بن باديس لماذا لم يُروَ من شعر أبي الحسن الحُصْريّ الذي قاله بالقيروان إلَّا الأبيات التي قالها مودِّعاً بها قبر أبيه؟ (٤) .

وقد تساءل أيضاً عن عدم اتصاله بالبلاط الأدبي للمعز بن باديس ؟ (٥) وردّ على هذه التساؤلات بقوله : (الجواب : أنَّ الحُصْريّ كان قويّ الشعور بعماهُ ، فانطوى على نفسه ولم يشارك في الحياة الأدبية الراقية التي كانت على بعد خطوة واحدة منه

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) مجلة حوليات الجامعة التونسية ، الجزء السابع والثامن ، العدد السابع ، ١٩٧٠م تونس ص ٢١.

(٤) انظر البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة ، ص ١٩٧.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٨.

وقد جعله ذلك يجترُّ عاهته في أوَّل الأمر ، ثم لم يلبث أن اجترَّ حقده على الناس بعد ذلك.)(١) .

وبعد أن أضاف لنا الدكتور عبده عبدالعزيز هذا السبب لعدم ذياع صيته ، وهو شعوره بعاهة العمى وانطوائه على نفسه ، نجده يذكر أنَّ البلاط الأدبي للمعز بن باديس كان في اكتفاء ذاتي بمن فيه من أدباء ، ورواة ، وأنَّ الشاعر أبا الحسن كان سلبياً لم يحاول التقدُّم ليكون من ضمن هذه الكوكبة.

يقول الدكتور عبده عبدالعزيز : (ولم يحاول هو ذلك لأنَّه كان رهين المحبسين عاهته ، وخشيته من الوقوف في مجتمع الأضواء ، وقد كان البلاط الأدبي للمعز بن باديس هو ذلك المجتمع السَّاطع المشعُّ بمن فيه من نجوم الأدب وكبار النقاد) (٢) .

وممَّا سبق يمكننا أن نخلص إلى أنَّ أبا الحسن الحُصْريّ بعد أن نشأ وتعلّم وتثقَّف ، بالقيروان حيث قضى شبابه ، تشكلّت شاعريته ، ومكَّنته الثلاثون عاماً التي قضاها بالقيروان من أنْ يُلِمَّ بأدوات الثقافة ، والعلوم الإسلامية ، ساعده حفظه لكتاب الله تعالى والعلوم الشرعية التي حذقها في سنيِّ شبابه الأولى فنظم الشعر وأقرأ القرآن ، وأتقن وأجاد علوم اللغة الأخرى ، ولكن لم تنل هذه الفترة من حياته حظَّها من التوثيق ، والعناية ، والتدوين ، للأسباب التي تقدَّم ذكرها.

وممَّا يجدر ذكره كدليل آخر على ثقافة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ وقد يكون هذا الدليل من العوامل التي أضافت إلى ثقافته وأثَّرت في شاعريته ، وهذا الدليل هو أصدقاؤه ، ومعاصروه ،

فقد كان أصدقاء الشاعر كُلُّهم أو جُلُّهم من الطبقة المثقَّفة من علماء ، وقضاة ، وأدباء (وصادق الحُصْريّ مجموعة من العلماء ، والأدباء ، والقضاة منهم : أبو المطرف الشعبيّ ، عالم الأندلس الكبير ،والقاضي أبو مروان بن حسّون ، من فقهاء " مالقة " ، وغانم المخزومي ، من الفقهاء و الأدباء و القراء ، وابن خلصة البصير الشذونيّ ، وأبو العباس البلنسيّ) (٣) .

---

(١) البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، الدكتور عبده عبدالعزيز ، ص ١٩٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٨ ، ١٩٩.

(٣) مجلة العرب ، ج٥ وج٦ ، س٣٧ ، ص ٢٨٤

فهذا الكَمُّ من الأصدقاء الذين ذُكروا ، وغيرهم لاشــكَّ أنَّهــم تبــادلوا الخبــرات والثقافات والعلوم ، مع الشاعر فأثَّر فيهم وتأثَّر بهم أمّا تلامذته فقد آثر الباحــث أن يتحدَّث عنهم في المبحث الخاص بوفاة الشاعر وآثاره ، إذ اعتبرهم الباحث من آثــار الشاعر ، وهكذا نكون قد وصلنا إلى ختام هذا المبحث عن ثقافة الشاعر ، ومكوِّناتها ، والمؤثِّرات التي أثَّرت على ثقافته ، لننتقل مع الشاعر ، حيث انتقل هو إلــى حيــاة جديدة ، وبيئات مختلفة ، وأماكن أخرى ، مهاجراً من وطنه القيروان.

المبحث الرابع :ــ هجرته من القيروان إلى المغرب ومنها إلى الأندلس .

قبل الحديث عن هجرة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ رأينا أن نبحث عن أسباب هذه الهجرة ، وأثرها على مجتمع القيروان.

فقد كانت نكبة القيروان سنة ٤٤٩هـــــــ السبب الرئيس الــذي أدَّى إلــى هجــرة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ وغيره ، من مدينة القيروان .

وتعرَّضنا في مباحث الفصول السّابقة إلى أنَّ الأعراب الذين حَرَّضَــهم الفــاطميون بمصر كانوا هم من دمَّــر وخرَّب القيروان ، وذلك لأنَّ المعز بن باديس خلــع طــاعتهم والولاء لهم واستقل عن الدولة الفاطمية .

إذاً لم يكن أثر هذه النكبة على الشاعر فحسب ولم تكن كذلك سبباً في هجرته وحده ، بل كانت آثارها على المجتمع ،وثقافته ، وحضارته بصورة عامــة . فأصــبح النــاس فريقين : فريق هارب من الخراب والقتل ، وفريق باق مجبر على حياة الإهانة ، والظلم ، والقهر في انتظار الفرصة السانحة للهرب.

وكانت هذه النكبة داهية كبرى ، أُصيبت بها المدينة ومجتمعهــا ، فانــدثرت ثقافــة وحضارة العصر ، وفقدت مجالس العلم والأدب وضاعت أو أُحرقت أو أُتلفــت الكتــب ذات القيمة العلمية والأدبية ، لذلك نجد عدداً من شعراء ذلك العصر قــد رثــا المدينــة ، ووصف ماحَلَّ بها من دمار وخراب ، فقد كان الشعراء والكُتَّاب جزء من المجتمع فوثَّقوا لنا بشعرهم ونثرهم أحداث تلك النكبة . وكان ممَّن رثا مدينة القيــروان ، ووصــف مــا أصاب أهلها ابن رشيق ، وابن شرف وسوف نورد أجزاء من مراثيهم في فصل الرّثــاء وفي المبحث الخاص برثاء المدن تحديداً .

هذا ماكان من أمر نكبة القيروان ، و أنَّها سبب الهجرة وأَثَر النكبـــة علـــى مجتمـــع القيروان ، وما وصف به الشعراء تلك الأحداث رثاءً لمدينة القيروان ، وما كتبه الكُتَّـــاب والمؤلِّفون عن تلك النَّكبة.

إذاً فقد هاجر الشاعر إلى مدينة سبتة المغربية ، غير أنّ المعلومات ضعيفة وقليلـــة جداً عن المُـــدَّة التي قضاها أبو الحسن الحصريَ بمدينة سبتة ، بل تكاد تكون منعدمـــة ، فلانعرف ماكان يعمله أثناء إقامته بهذه المدينة باستثناء تعليم القرآن والقراءات ، وقـــرض الشعر ، وقد رجَّح محقَّـــقا الديوان المُـــدَّة التي قضاها أبو الحسن الحُصْريّ بمدينة ســـبتة بحوالي عشر سنوات ، أو أكثر بقليل ولم يذكرا ما استندا عليه في هذا الترجيح (وعلـــى كلٍّ فالمؤرِّخون لم يحدِّدوا لنا المدة التي قضاها الحُصْريّ في سبتة ، بيد أنَّنا نـــرجِّح أن تكون حوالي عشر سنوات أو أكثر بقليل) (١) وترجيحهما بغير حجة ولا دليل .

ويحدّد محمد العيساوي الشتوي ، المدة التي قضاها أبوالحسن الحُصْريّ بســـبتة بعشـــر سنوات ، وذلك في مجلة العرب ويبدو أنَّه استند إلى رأي المرزوقي والجيلانـــي وإن لـــم يُصرِّح بذلك ، يقول : (وبقى في (سبتة) عشر سنوات ، ثم دخـــل الأنـــدلس) (٢) وقـــد حاولت الحصول على ما يرجِّح ذلك ولم أجد دليلاً . لافي شعر الشاعر ولا في غيره .

ومن أهمّ ما استفاده أبوالحسن الحُصْريّ من وجوده بسَبْتَة بجانب إقبال الناس على علمه وأدبه ، أن سمع به ملوك الطوائف وذلك لوقوع المدينة على الساحل وقربها من الأنـــدلس .(٣) ، إضافة إلى أنَّ أهمّ ما احتفظت لنا به المراجع ــ بالرغم من قِلَّة المعلومات في هذه الفترة من حياته ــ أنَّ الشاعر أبا الحسن
الحُصْريّ كان يدرِّس القرآن وعلومه ، وينظم الشعر وفي ذلك يقول ابن سناء الملـــك : (أقرأ الناس القرآن الكريم بسبتة وغيرها وله ديوان شعر)(٤) .

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤٠.

(٢) مجلة العرب ، ج٥،ج٦، ص ٢٨٩.

(٣) انظر الخريطة في الفصل الأوَّل من الباب الأوَّل " .

(٤) دار الطراز في عمل الموشَّحات ، القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله جعفر بن سناء الملك ، تحقيق الـــدكتور جودت الركابى ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٠ هـــ ـــــ ١٩٨٠م)، ص ٢٠٢.

ويورد الدكتور عمر فروخ نصَّـــاً عن اتصال ملوك الطوائف بـــه واتصــــاله بهـــم ولاسيَّما المعتمد بن عبَّاد (وبعد هجوم العرب (البدو) على القيروان واســـتباحتها ، ســـنة ٤٤٩هــــ ؛ انتقل الحُصْريّ إلى سبتة حيث اشتغل بالتدريس أيضاً ، ولمع نجمــه فـــي عالم الشعر ، فاستدعاه المعتمد بن عبّاد) (١) .

ويؤكِّد المرزوقي والجيلاني ما ذكرناه آنفاً من إقبال الناس عليه ، واتصــــاله بملـــوك الطوائف بقولهما : (وصل الحُصْريّ إلى سبتة واستقر بها حيث وجد إقبالاً من أهل العلم والطلبة ، فانتصب لتدريس القراءات وتخرّج عليه هناك جماعة في هذا الفن . وهنـــاك اتصل بملوك الطوائف في الأندلس ، فراسلهم بالمدائح ، كما اتصل بشـــعراء الأنـــدلس ،وعلمائها وقضاتها ، فاشتهر أمره وذاعت شهرته) (٢) .

وكان من أوائل من اتصل بالشاعر أبي الحسن الحُصْريّ المعتمد بن عبّاد صـــاحب إشبيلية ، والذي تقدّم وصفه ، ووصف دولته ،والتي كانت من أعظم الدول في عصـــر الطوائف . ورد في وفيات الأعيان : (بعث المعتمد بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، إلى أبي العرب الزبيري خمسمائة دينار ، وأمره أن يتجهز بها ويتوجَّه إليه ، وكان بجزيرة صقلية وهو من أهلها وهو أبو العرب مصعب بن محمد بن أبـــي الفـــرات القُرَشـــيّ الزبيـــريّ الشاعر ـــــ وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحُصْريّ وهو بالقيروان ، فكتب إليه الصـــقلي أبو العرب :

لاتعجبنَّ لرأسي كيف شاب أسىً ** واعجب لأسود عيني كيف لم يشبِ

البحرُ للروم لا تجري السفينُ به ** إلَّا على غـــرر والبرّ للعـُــــــــربِ

وكتب الحُصْريّ :

أمرتني بركوب البحـــر أقطعه ** غيري لك لخير فاخصـــصه بذا الداءِ

ما أنت نوح فتنجيني سفينتـــه **ولا المسيح أنا أمشي على المـــــاءِ (٣))(٤)

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٤ ، ص ٧٠٧.

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٠.

(٣) انظر الأبيات في ديوان أبي الحسن الحُصْريّ ص ٨٥ وقد وجدت أنَّ البيتين نُسِبا إلى ابن رشيق وضُمِّنا في ديوانه انظر ديوان ابن رشيق ص ٢٤.

(٤) وفيات الأعيان ، لابن خلّكان ، ج٣ ، ص ٢٩٣ .

وقد أوردت لنا بعض المراجع أنَّ الشاعر اتصل ببني عبّاد في إشـــبيلية ومـــدحهم بقصائد . خاصة المعتمد ومن ذلك قول صاحب دار الطراز :

(وقد مدح الحُصْريّ بني عبّاد الذين حكموا إشبيلية ولاسيَّما المعتمد . ألَّفَ للمعتمد بن عبّاد كتاب "المستحسن من الأشعار" ولحقه إلى طنجة لمَّا زال ملكه بهجوم ابن تاشفين " ٤٧٥/ ١٠٨٢" فوجده سيِّء الحال ، فقدَّم إليه ، مع ذلك الكتاب فقال المعتمد للحُصْريّ " ارفع ذلك البساط فوالله ما أملك غيره " فأخذ ما تبقَّي من المال وذهـــب حزنيـــاً لمصـــير ممدوحه) (١)

غير أنَّ محقِّــقي ديوان أبي الحسن الحُصْريّ يلفتان الأنظار إلى أنَّ عدداً مـــن الأشعار التي مدح بها الُحُصْريّ بنى عبّاد قد ضاعت وخاصة أشعار كتابه المستحسن في مدح المعتمد يقولان : (ولاشكَّ أنَّ الحُصْريّ كان مدح المعتمد بمدائح كثيرة ، بيد أنَّهـــا ضاعت كلَّها فلم يصلنا منها إلَّا جزء يسير) . (٢)

إذاً استجاب الشاعر أبوالحسن الحُصْريّ أخيراً لدعوة المعتمد بن عبّاد ، ووفد عليـــه في إشبيلية ، ولكنه رحل عنه ، متنقلاً بين حواضر ملوك الطوائف ، وكان وفـــوده علـــى المعتمد كما رجَّح المرزوقي والجيلاني في حدود سنة ٤٦٢هــــ (ويغلب على ظنِّنا أنَّـــه خرج من سبتة إلى إشبيلية في بداية ولاية المعتمد بن عبّاد سنة ٤٦٢هــــ ، أو قبل وفـــاة والده بقليل)(٣)

وبالرغم ممَّا ذكره الدكتور عمر فرُّوخ عن أنَّ أسباب رحيل أبي الحسن الحُصْـــريّ غير معلومة إذ يقول : (واتصل ببلاط المعتمد ولكن سرعان ما غـــادره ــــــ لســـبب لا نعرفه ــــ وأخذ يتطوف ببلاطات ملوك الطوائف الآخرين) (٤)

بالرغم من ذلك فقد حاول المرزوقي والجيلاني أن يجدا مبرراتٍ وأسباباً لمغادرتـــه بلاط المعتمد والذي قدَّرا مكوثه به بحوالي ست سنوات يقولان : (إن مكوثه في إشبيلية لم يدم إلَّا حوالي ست سنوات وربما تحوَّل عنها قبل هذا التاريخ لضيقه ببلاط المعتمـــد ، ومافيه من مناورات ودسائس ، أو بإغراء من بعض ملوك الطوائف الآخرين الذين كانوا

---

(١) دار الطراز ، ابن سناء الملك ، ص ٢٠٢، ص٢٠٣.

(٢) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١.

(٤) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٤ ، ص ٧٠٨.

يتزاحمون على إغراء الشعراء للالتحاق بهم . ويبذلون فـــي ذلـــك الجـــوائز الســـنية ، والأموال الطائلة ، خصوصاً بالنسبة للحُصْريّ الذي استطاع أن يخلق لنفسه سمعة داوية في أعوام قليلة.) (١) .

وسواء للأسباب التي ذكرها المحقِّـــقان أو لغيرها ، فقد غادر أبو الحسن الحُصْـــريّ بلاط المعتمد في إشبيلية ، وقد كان موضع التقدير والاحترام عند المعتمد وكثيراً ما قرَّبه إليه وأجزل له العطاء ، ولكنَّ المثل السائر (دوام الحال من المحال) ــ فاتجه إلى ملوك الطوائف الآخرين يمدحهم ويأخذ عطاياهم وجوائزهم وآثرنا ألاّ نورد نماذجاً من مدائحـــه لهؤلاء الملوك والأمراء لسببين : أوَّلاً خشية الإطالة والتكرار . ثانياً : لأنَّنـــا سنفصِّـــــل الحديث عن المديح في باب الأغراض الشعرية ولكن لابأس من أن نذكر أســـماء ملـــوك وأمراء الطوائف الذين تنقَّل بينهم الحُصْريّ ومدحهم وهم : علي بن مجاهـــد العـــامري الملقَّب إقبال الدولة وهو الذي حكم دانية ، إلى أن استولى عليها منه المقتدر بالله أحمد بن هود صاحب سرقسطة ، والذي مدحه أبو الحسن الحُصْريّ أيضاً . ومنهم المعتصـــم بـــن صمادح ، صاحب مملكة المرِيَّة ، وأبوعبدالرحمن محمد بن طاهر صاحب إمارة مرسية (٢)، " هذا بجانب من مدحهم من الوزراء ، والأمراء ، والقضاة ، والعلماء ، والأصدقاء .

وممَّا يؤيِّد ما ذكرناه من مدحه لهؤلاء الملوك ، والأمراء ، قول عمر فرُّوخ :(نـــزل في دانية فمدح أميرها إقبال الدولة بن مجاهد العامري ، ولمّا استولى المقتدر بن هود أمير سرقسطة على دانية وأسَرَ إقبال الدولة ، نحو سنة ٤٦٨هـــ " ١٠٧٥م ـــــ ١٠٧٦م " لم يجد الحُصْريّ ضيراً في أن يمدح المقتدر بن هـــود " ت ٤٧٤هـــــ " . ويبـــدو أنّ الحصريّ مدح بعد ذلك أبا عبدالرحمن محمد بـــن طـــاهر أميـــر مرســـية "٤٥١ ـــــ ٤٧١هـــ " وكذلك مدح المعتصم بن صمادح " ت ٤٨٠هـــ" أمير المرية ولعلّه بقي في المرية متصلاً بأحمد بن المعتصم) (٣) .

ولمّا كان الربع الأخير من القرن الخامس الهجري قد شهد حروبات وغارات بـــين ملوك الطوائف وجيوش المرابطين آثر الشاعر أبو الحسن ، أن يبتعد عـــن هـــذه الفـــتن والاضطرابات إلى مكان آمن يقضي فيه بقية عمره بعد أن تنقّلَ بين مدن الأندلس خاصة

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٤.

(٢) انظرمواقع ممالك الطوائف ومدنهم في الخريطة " الفصل الأول من الباب الأوّل .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٤ ، ص ٧٠٨.

المدن الساحلية وطاف على ملوكها ، فرجع إلى طنجة بالمغرب (وقد حلّ الحُصْريّ بهذه المدينة سنة ٤٨٣"هـــ . قادماً إليها من عواصم الأندلس فراراً من الاضطرابات والفتن حسب المفهوم من شعره) (١) .

وبهذا التاريخ ٤٨٣هـــ يمكننا أن نحصر مجمل السنوات التي قضاها الحصريّ في مدينة سبتة وبلاد الأندلس بـــ (٣٤) عاماً أو أقلَّ من ذلك بقليل.عاد بعدها واستقرّ بطنجـــة (٢) إلى أن توفي بها سنة ٤٨٨هــ.

المبحث الخامس :ـــ آثاره ووفاته .

الحديث عن آثار الشاعر ذو شقين الشِّق الأوَّل : مؤلفاته وكتبه العلميـــة والأدبيـــة ، والشَقِ الثاني : تلامذته الذين أفادوا من علمه وأدبه والذين أرجأنا الحديث عـــنهم عنـــدما تناولنا ثقافة الشاعر إذ نوّه الباحث إلى الحديث عن تلامذته في مبحث آثار الشاعر.

فبا لنسبة للمؤلَّفات ، فقد ذكرت لنا بعض المراجع أسماء مؤلَّفاته ، وكان للمرزوقـــي والجيلاني جهد مقدَّر في التعريف بمؤلَّفاته المخطوطة ، و المفقودة ، والمطبوعة . وممَّن ذكر مؤلَّفاته الزّركلي في كتابه الأعلام ما نصه : (اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمـــد بن عبّاد بقصائد ، وألف له كتاب " المستحسن من الأشعار" وله ديوان شعر بقي بعضه محطوطاً " واقتراح القريح واجتراح الجريح " في الغـــزل والنســـيب علـــى الحـــروف " والقصيدة الحُصْرية " في القراءات ٢١٢ بيتاً)(٣)

ومن مطالعتنا للمراجع التي أوردت شيئاً عن مؤلَّفات أبي الحسن الحُصْريّ وآثـــاره يمكن أن نرتِّبها على النحو التالي :

أوَّلاً : الأشعار

أ ـــ ديوانً " اقتراح القريح واجتراح الجريح " وهو من أهمِّ وأغزر أشعاره نظمـــه فـــي رثاء ابنه عبد الغني . وقدَّم له بثلاث مقدِّمات الأولى : مقدِّمة كلماتها خالية مـــن الـــنقط ، والثانية : كلماتها معجمة " منقوطة " ، والثالثة : مزج فيها بين كلمات معجمة وعاطلـــة وتعتبر مقدِّمة الديوان الأساسية ومنها قوله : (وسمَّـــيت هذا الكتـــاب " اقتـــراح القـــريح واجتراح الجريح " ، وضمَّنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلانى ، ص ٨١ .

(٢) انظر موقع مدينة طنجة وقربها من بلاد الأندلس على الخريطة في الفصل الأوّل من الباب الأوّل .

(٣) الأعلام للزركلى ، ج٤، ص ٣٠٠، ص٣٠١

كالملجَم ، ومقطعات تقفو كلّ قصيدة في قافيتها) (١) والديوان قسمان : أصل وذيل عدد أبيات الأصل (٢١٥٦) متفاوتة في الطول والقصر ، وكل قصيدة قافيتهـا حـرف مـن حروف الهجاء رُتِّـبَت القصائد فيه على ترتيب الحروف الهجائية " الترتيب المغربي" . (٢) أمَّا الذيل فقد رتَّبه ترتيباً يدل على ملكته الشعرية ، فكلُّ قصيدة تحتوي على خمسـة عشر بيتا، مرتَّبةً قوافيها

أيضاً ترتيباً هجائياً ، ولكن الجديد في قصائد الذيل ، أنَّ كلَّ قصيدة تبتدىء بقافية القصيدة السابقة لها ، وعدد أبياته (٤٣٥) فيكون مجموع أبيات ديوان "اقتراح القريح " أصل وذيل (٢٥٩١) بيتا.

ب ـ ديوان المعُشّرات وعدد أبياته (٢٩٠) ، كلُّ قصيدة تحوي عشر أبيات ألزم الشـاعر نفسه أن ينهي كلَّ بيت من القصيدة بنفس الحرف الذي بدأه به وقصائده أيضاً مرتَّبة على الترتيب المغاربي للحروف الهجائية ، وموضوع هذه المعشَّرات هو الغزل أو النسيب.

ج ـ مُستحْسَن الأشعار ، وقد جمع فيه الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ القصائد التي مـدح بها بني عبّاد والمعتمد خاصة ، وهذا الشعر من الشعر المفقود (فنحن نعلم أنّ مـن بـين أشعاره التي لا يوجد لها أثر : ديوان المستحسن من الأشعار الذي أهداه لصديقه المعتمـد بن عبّاد حين مرّ به في طنجة في طريقه إلى منفاه بأغمات ، وقد ذكر المؤرِّخـون أنَّ الحُصْريّ جمع في هذا الديوان مدائحه لبني عبّاد) (٣) .

د ـ الرائية ، وهي منظومة في الشعر التعليميّ نظمها في القراءات وفي قـراءة نـافع تحديداً . وقد أورد محقِّـقا ديوانه أبياتاً منها ، وذكرا بعض شـروحها مثـل : " الفريـدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية " لأبي الحسن محمد بن عبدالرحمن بـن الطفيـل المعروف بابن عظيمة . وعدد أبيات المنظومة الرائية هذه مابين " ٢٠٩ ـ ٢١٥ " وذلك للاختلاف في عدد أبياتها .

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٦٤.

(٢) الترتيب المغاربي للحروف الهجائية يتفق مع الترتيب المعروف لدينا إلى حرف "الزاي" ثمّ يخالفه بعد ذلك وهو على النحو التالي : " أ ، ب،ت،ث، ج ، ح ، خ ،د ، ذ ، ر ، ز ،ط ، ظ ، ك ،ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، لا ، ي " .

(٣) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠٣.

(هـ) المتفرِّقات ، وهي القصائد التي جمع شتاتها محقِّقا ديوانه المرزوقي والجيلاني فأكملا ما بدأه ابن بسَّام (وهذه مجموعة من القصائد والمقطوعات ، احتفظ لنا بها بعض الدارسين للأدب والتاريخ ، استطعنا أن نجمع شتاتها من مختلف المصادر على أنّ غالبها يرجع الفضل في جمعه لإبن بسَّام ، أمّا ما نقل منه عن مجموع مكتبة (الأسكوريال) فقد أمدَّنا به المؤرِّخ حسن حسني عبدالوهاب . وهناك مجموعة قليلة عثرنا عليها من مجموع يوجد بالمكتبة العبدلية) (١).

وموضوعات هذه القصائد متفرِّقة كتفرُّقها فبعضها نسيب وغزل ، ورثاء ومديح ، ومناسبات أخرى وسوف يتَّضح ذلك أكثر في الباب الثاني حيث الأغراض الشعرية.

ثانياً : الرسائل (٢) ولم أعثر على كتاب مستقل جمع رسائله ، ولا أظنُّه يوجد ولكن أورد محقِّقا الديوان المرزوقي والجيلاني بعضاً ونتفاً من هذه الرسائل ، والتي يتَّضح فيها تمكُّنه من اللغة والبلاغة خاصة ألوان البديع ومعظم هذه المراسلات كانت إمّا لأصدقاء ، أو أعداء ، أو ملوك وأمراء، ومنها قوله : (السلام عليك أيها القلبُ الثاني ، والبعيد الداني الراقي في أسماء المعالي ، الواقي من داء لليالي ، أول من عددت ، وأفضل من أعددت ...)

وله رسالة يهجو فيها أبا الحسين ابن الطراوة منها قوله : (وزعم هذا الأهوج الأعوج ، أنَّه لم يعرف رسمي ، ولاسمع باسمي ، كأنَّما وُلد بالأمس. أو بعث من الرمس ، أو عَمِيَ عن الشمس ، ولو علم قدر نفسه لم يجهل العلم ، ولو أراد السّلامة لألقى السِّلمْ)

وكما راسل الحُصْريّ ، فمن الطبيعي أن يكون قد رُوْسل وكُتِبَ إليه سواء ردوداً على رسائله.

أو مدح له وإشادة به كرسالة الأديب غانم إليه ومنها : (ما أفصح لسانك ،وأفسح ميدانك ، وأوضح بيانك ، وأرجح ميزانك ، وأنور صباحك ، وأزهر مصباحك ، أيُّها السابق المتمهّل في ميدان النُبل ، والسّامقُ المتطوّل بفضائل الذكاء والفضل ...) (٣)

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠٣.

(٢) كلُّ الرسائل التى أوردنا نماذج منها انظرها في أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني من صفحة ٩١ إلى صفحة ٩٩.

(٣) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٩٨.

هذا كلُّ ما أمكننا وبلغنا من مؤلَّفات وآثار أبي الحسن الحُصْريّ ، أمّا تلامذته ، فقــد ورد ذكر بعضهم في بعض المراجع ومن ذلك ما أورده صاحب كتاب غاية النهاية في طبقات القراء يقول : (قرأ عليه أبو داوود سليمان بن يحيى المعافري ، وروى عنه أبو القاســم بن الصواب قصيدته) (١).

ويمكن حصر تلامذة الحصريّ من المراجع التي وقفنا عليها بحوالي سبعة ، مع التنويــه إلى أنَّ المراجع التي أوردت تلامذته قليلة و قد لاتكون ذكرت أسماء كُلَّ تلامذته ، فنذهب إلى أنَّهم أكثر من العدد المذكور وهم:

١ـــ أبو القاسم بن صواب.

٢ـــ أبو إسحاق الأديب.

٣ـــ آدم ابن الخير السّرقُسطيّ .

٤ـــ باقي أو بقي بن عبدالله بن إسماعيل الأسلميّ .

٥ـــ محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الأنصاريّ الخزرجيّ .

٦ـــ محمد بن الفرج بن عبدالله البزّار.

٧ـــ أبو داؤود الصغير.

وأخبار عدد من هؤلاء التلامذة إن لم يكن كلُّهم توجد في كتــب التــراجم، والطبقــات ، والأعلام ، وخاصة التي اهتمت بأعلام القرن الخامس الهجري فليرجع إليها مــن شــاء . كما أورد مُحَقِّــقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ أخباراً مختصرة في أسطر عن كلُّ واحــد من هؤلاء التلامذة.

وهكذا ترك لنا شاعرنا أبو الحسن الحُصْريّ آثاره المتمثلة في مؤلَّفاته وتلامذته ، ولم يبق في نهاية هذا المبحث الأخير من الباب الأول إلَّا تحديد تــاريخ وفاتــه ومكانهــا وموضع قبره .

فهنالك شبه إجماع في المراجع على أنّ تاريخ وفاته هو سنة٤٨٨هـــــ إذا اســتثنينا ابن الجزري الذي يقول :(توفي بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة) (٢)

---

(١) غاية النهاية ، لابن الجزرى ص ٥٥٠، ٥٥١

(٢) المرجع السابق ، الصفحات نفسها.

وقد تُوفِّي بمدينة طنجة ودفن بها . ورد في كتاب الصلة لابن بشكوال : (وقـــد وقفـــت على قبره بمدينة بطنجة) (١) وقال رحمه الله وهو بطنجة وفي أواخر عمره :

سئمت حياتي والمقـــــامَ بطنجـــةٍ ** كأنَّ بـــلاد الله غـــيـــر عــــراضِ

سيورقُ عودي إنْ سكـــــنت برَيّةٍ ** ويسْوَدُّ من فوديَّ (٢) كــــلٌّ بــــياضِ (٣)

وبهذين البيتين نكون قد طوينا الصفحة الأخيرة من آخر مبحث في حيـــاة الشـــاعر أبـــي الحسن الحِصْريّ القيرواني ــ رحمه الله تعالى.

---

(١) الصلة لابن بشكوال انظر هامش ص ٤٣٢ ، ٤٣٣.

(٢) فود الرأس : جانباه . يقال : بد الشيب بفوديه . انظر الصحاح للجوهري ، ج ٢ ، ص ١٢٥.

(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٣.

الباب الثَّاني

الأغراض الشِّعرية عند أبي الحَسَن الحُصْريّ

الفصل الأوَّل : الرّثاء

الفصل الثَّاني : الغزل

الفصل الثَّالث : المدح

الفصل الرَّابع : أغراض أخرى

الفصل الأوّل

الرّثاء

المبحث الأول :ــ مفهوم الرّثاء .

بدأت بهذا الغرض " الرّثاء " ، لأنَّه من أوضح الأغراض عاطفــةً ، وأغزرهــا أبياتــاً ، وأكثرها صوراً فنيةً ، في شعر أبي الحسن الحُصْريّ . فقد خصَّــص الشاعر ديواناً كاملاً من مجموع أشعاره لرثاء ابنه سَمَّاه " اقتراح القريح واجتراح الجريح " وسيجيء الحديث عن هذه التسمية في المبحث التالي .

كما حاول الباحث أن يبيِّــن بعض آراء الأدباء ، وأقوال الشعراء متقدّمين ومُحْدَثين فــي الرّثاء . وهل طرأ تغيير أو فلنقل تطوّر على هذا الغرض ؟

وإن لم يكن بالإمكان حصر كلِّ الآراء والأقوال في هذا المبحث . ولكن يمكن أن يُشَكِّل ما نوردُه هنا عن الرّثاء ، ومفهومه من إشارات وإضاءات تمهيداً للوقوف على تجربة الرّثــاء وخاصة رثاء الأبناء ، عند شاعرنا.

وقد رجعت إلى الرّثاء في اللُّغة في عددٍ من المعاجم ، ويدور معنى الرّثــاء فــي اللغــة والاصطلاح في معظم المعاجم والمؤلَّفات التي وقفت عليها ، حول مدح الإنسان والثناء عليــه بعد موته ، وأُلحِق به رثاء المدن ،ورثاء الإنسان نفسه ، إذا شعر بقرب رحيله ، أو أحسَّ بدُنوِّ أجله ، كما فعل بعض الشعراء.(١)

يقول ابن منظور : (ورَثَيْت الميِّت رَثياً ، ورِثَاءً ، ومَرْثاةً ، ومَرْثِيَةً إذا بكيته وعدَّدت محاسنه ، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً)(٢)

وهذا القول ذكره أيضاً صاحبُ الصِّحاح (٣) ، وفي المصباح المنير : (رَثيْتُ الميِّت أرثيه من باب رَمَى (مَرْثِيةً) و(رثَيْتُ) له : ترحَّمْتُ ورَقَقْتُ له) (٤)

---

(١) انظر ما قاله بعض الشعراء في كتاب : رثاء النفس في الشعر الأندلسيّ . الدكتور مقداد رحيم ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٧هــ / ٢٠٠٧م) ، جهنية للنشر والتوزيع ، عمان الأردن .

(٢) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقيّ المصريّ ، المُجَــلَّــد السادس ، دار صادر بيروت ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ص ١٠٠.

(٣) انظر الصِّحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، أبي نصر إســماعيل بــن حمَّــاد الجــوهري المتــوفى سـنة (٣٩٣هـــ) ، تحقيق الدكتور أميل بديع يعقوب والدكتور نبيل الطريفى ، الجزء السادس ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـــ ــ ١٩٩٩ م) ، ص ٣٠٦.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيــومي المتــوفى عام ٧٧٠هـــ تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م ص ٢١٨.

وتحدَّث ابن رشيق في كتابه العمدة عن الرّثاء ، وكان ممّا ذكره عن الرّثاء قوله : (وسبيل الرّثاء أن يكون ظاهر التفجُّع ، بَيِّن الحَسْرة ، مخلوطاً بالتلهُّف والأسف والاستعظام)(١)

أمَّا أحمد الهاشمي فأورد عن الرّثاء ما نصّه : (والرّثاء : وهو تعداد مناقب الميِّت ، وإظهار التفجُّع والتلهُّف عليه ، واستعظام المصيبة فيه) (٢)

وأُلحِقت القصائد التي نظمها الشعراء في بكاء المدن والدول بالرّثاء إذ يقول جبور عبدالنور : (يدخل في عداد الرثاء القصائد التي نظمها الشعراء ، في البكاء على الأمارات ، والدول البائدة ، والعمران الزائل ، والمجد الغابر)(٣)

فهذه بعض الأقوال والآراء في الرّثاء ، فهل بقي الرّثاء منذ العصر الجاهلي وحتى القرن الخامس الهجري ــ وهو العصر الذي عاش فيه الشاعر ــ يدور حول هذه المعاني ؟ أم أنّ هنالك تطوُّر طرأ ؟

فالإجابة على هذا التساؤل تُرجعنا إلى العصر الجاهلي ، ونماذج من الرّثاء في ذلك العصر ، لنر هل أضاف شاعرنا أبو الحسن الحُصْريّ على غرض الرّثاء ؟ أم قلَّد من سبقه من الشعراء ؟

فالرّثاء كما يراه الدكتور شوقي ضيف ، ندب ، وعزاء ، وتأبين ، وهو يرى أنَّ الشاعر الجاهلي قد استوفى هذه الجوانب الثلاثة يقول : (وعلى هذا النحو ألمَّ الشاعر الجاهلي بجوانب الرّثاء الثلاثة من النّدب والتأبين والعزاء)(٤)

وقبل أن نورد نموذجاً للرّثاء في العصر الجاهلي ،لنرى ما قاله الدكتور عبد المجيد عابدين عن جوانب الرّثاء الثلاثة التي سبق ذكرها.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، (٣٩٠ ــ ٤٥٦) من الهجرة ، حقَّقه وفصَّله ، وعلَّق على هوامشه محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيوت ــ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م ، الجزء الأوَّل ، ص ١٢٠.

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، أحمد الهاشمي ، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثلاثون ، ص ٣٤٣ (لم يذكر تاريخ الطبعة) .

(٣) المعجم الأدبي ، جبّور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م ، ص ١٢٠ ، ١٢١.

(٤) تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الجاهلي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الرابعة والعشرون ، دار المعارف القاهرة ، (لم يذكر تاريخ الطبعة) ، ص ٢١٠.

يقول الدكتور عبد المجيد عابدين : (أحدها : ندبُ الميت وهو التهويل بما كان لفقد الميّت ، من أثر أليم في النفس ، واستدرار الدّموع والاستغاثة ، وإظهار التحسُّر . والثاني : تأبين الميّت وفيه الإشادة بخصاله . والثالث : بثُّ العزاء والسّلوى وفيه الدعوة إلى الصبر على الشدائد والتذكير بأنّ كلَّ نفس ذائقة الموت ، والاعتبار بمن مضى ، من مشاهير الأفراد والأمم وإرسال الحكمة والموعظة)(١)

وقد ارتبط الرّثاء في الجاهلية ، بالأفراد سواء كانوا من الأهل والأقارب ، أو رموزاً في القبيلة اتصفوا بصفات مميِّزة لهم ، كالشجاعة ، والكرم ، ... الخ.

وقد حاول الباحث أن يركِّز في النماذج التي يذكرها للرّثاء على رثاء الأهل والأقارب وخاصة رثاء الأبناء ، وذلك لصدق العاطفة فيه أكثر من غيره ، ولأنَّ ثلثي شعر أبي الحسن الحُصْريّ أو يزيد في رثاء ابنه وحتى نتمكن من الوقوف على تجربة رثاء الأبناء عنده مقارنة بمن سبقوه في ذلك.

فقد رثا أبو ذؤيب الهذليّ ــ وهو شاعر جاهليّ مخضرم ــ رثا أبناءه في رائعة من روائع الرّثاء على مَرِّ العصور يقول الدكتور يحيى الجبورى الأستاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر (وليس أشدَّ من فجيعة رجل جاءه نَعْيُ أبنائه الخمسة الذين سقطوا واحداً بعد الآخر ، فقدهم كُـلَّهم في عامٍ واحدٍ ، ذلك هو أبو ذؤيب الهُذليّ ــ خويلد بن خالد .... وليس هناك قصيدة ــ فيما أحسب ــ تفوق هذه القصيدة . بروعة معاينها وعمقها ، وإنسانيتها ، وصدق عاطفتها) (٢)

ونورد من مرثية أبي ذؤيب الأبيات التالية :

أودى بنيّ وأعقبوني غصّـة	**	**بعـد الرُّقاد وعَبْرةً لاتُقلَعُ**
سبقوا هَوَىّ وأعنقوا لهواهم	**	**فتحرِّمُوا ولكلِّ جنبٍ مَصْـرعُ**
فغبرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصِـبٍ	**	**وأخال أنّي لاحـق مُسْـتَتْبعُ**
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم	**	**فإذا المنيّةُ أقْـبلَتْ لا تُـدْفعُ**

---

(١) دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسيّ ، الدكتور عبد المجيد عابدين ، الدار السودانية للكتب طباعة ، نشر ، توزيع ـــ الخرطوم ، ص ٨٨ (بدون تاريخ) .

(٢) الشعر الجاهليّ خصائصه وفنونه ، الدكتور يحيى الجبوري ، الطبعة الرابعة (١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة بيروت ، ص ٣٣٦ .

وإذا المنيّةُ أنشَبَتْ أظــفارها ** ألفيت كــــــلَّ تَمِيْمَةٍ لاتنفعُ (١)

والشاعر أبو ذؤيب الهذليّ كما ذكرنا من الشعراء المخضرمين ، ولكنَّ هذه القصيدة مــن قصائده التي نظمها في الإسلام أو في العصر الإسلامي وممَّن قال بذلك مــن المتــأخرين الدكتور محمد النويهي إذ يقول : (أمّا هذه العينية فقد نُظِمت بعد الهجرة بما يقــرب مــن عقدين من السنين) (٢)

ويمكن أن نؤكِّد في هذا المبحث أنّ عدداً من الشعراء في العصر الجاهلي والشعراء المخضرمين ، قد وُجدت لهم مراثٍ وذكرت في كتــب الأدب كالمفضــليّات ، وجمهــرة أشعار العرب ، وطبقات فحول الشعراء ، والدواوين الشعرية ، وغيرها ، ولكن لمَّا كــان هذا المبحث إضاءات حول مفهوم الرّثاء فإنَّه لا يتَّسع لإيراد كلِّ النماذج ولا بأس أن نذكر بعض الشعراء الذين وُجِدَت لهم قصائد في الرّثاء مثل متمِّــم بن نويرة ، والمهلهــل بــن ربيعة ، ودريد بن الصِّمة ، وأعشى باهلة ، وكلّهم قد رثا أخاه ، إضافة إلى الخنساء.

وبذكر الخنساء فقد كان للنساء في العصر الجاهلي مراث ولِمَا فطرهنَّ الله عليه من عاطفة قوية ، وحنان أنثوي ، فإنّ قدرتهن على البكاء والتفجُّع تفوق الرِّجال ، (والنســاء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدُّهنَّ جزعاً على هالك ، لماركَّب الله عزَّ وجــلَّ فــي طبعهنَّ من الخور وضعف العزيمة) (٣)

ومتى ما ذكرت النساء الشاعرات أو الشواعر تذكر الخنساء خاصة فــي غــرض الرّثاء ، ومن مراثيها لأخيها صخر قولها :

فما عَــــجــُولٍ على بَوٍّ تطيف به ** لها حنينان إعلان وإسرارُ

ترعى إذا نسيت حتى إذا ادَّكَـــرَتْ ** فإنّمـــا هي إقبال وإدبارُ

لاتسمن الدّهر في أرضٍ وإن ربعت ** فإنّما هي تحنان وتــسجار

يوماً بأوجد منىِّ حين فارقـــــني ** ضخر، وللدّهر إحلاء وإمرارُ (٤)

---

(١) انظر القصيدة كاملة وشرحها في كتاب شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السَّكريّ ، حقَّــقه عبد الستار أحمد فرّاج راجعه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة من صفحة ٤ إلــى صــفحة ٤١(بــدون تاريخ).

(٢) الشعر الجاهليّ منهج في دراسته وتقويمه ، الدكتور محمد النويهي الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشــر ، القاهرة ، ص ٦٤٩ (بدون تاريخ) .

(٣) العمدة ، لإبن رشيق ، ج٢ ، ص ١٤٧.

(٤) ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو "ت : ٢٤"هـــ ، بيروت دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ، ص٤٨.

وكما ذكرنا عدداً من الشعراء الذين وجدت لهم مراث ، نذكر بعض مَن رثى مِن النساء مثل ماذُكر عن رثاء بثينة لجميل بن معمر ، وليلى الأخيلية ، ومرثية سعدى بنت الشمردل في أخيها سعد ، وقد ذكر يوسف اليوسف في مقاله عن الرّثاء عدداً من الشاعرات الراثيات تحت عنوان شعر الرّثاء النسوي (١)

كما جمع لويس شيخو شعر النساء في الرّثاء في كتاب سمَّاه رياض الأدب في مراثي شواعر العرب (٢)

وقد بحثتُ عن بعض المراثي في العصور التي تلت العصر الجاهليّ مركِّزاً كما نوّهت على رثاء الأبناء ـــ فوجدت أنَّ المبرّد قد أورد أبياتاً في رثاء الأبناء ، ولكنَّني لم أوفَّق في الحصول على دواوين شعرية لمن ذكرهم حتى أقف على أشعارهم في مصادرها ، يقول المبرّد : (وقال أبو عبد الرحمن العتبي ، وتتابع له بنون :

ما عالج الحُزن والحرارة في الأ ** حشاء من لم يمت له ولدُ

فُجِعتُ باثنين ليس بينهما ** إلَّا ليال ليست لها عددُ

فكلّ حزن يبلى على قدم الدهر ** وحزني يجدُّه الأبدُ (٣)

وقال إبراهيم بن المهدي يرثى إبنه ، وكان مات بالبصرة :

سابكيك ما أبقت دموعي والبكا ** بعينيَّ ماءً يا بُنَيَّ يجيبُ

وما غار نجمُ أو تغنَّت حمامةُ ** أو اخضرَّ من فرع الأراك قضيبُ (٤)

ووقفت على قصيدة لإبن الرومي حين اختار الموت أوسط بنيه يقول في ذلك :

بكاؤ كما يشفي وإن كان لايجدي ** فجودا فقد أودى نظيرُكما عندي

بُنَيَّ الذي أهدته كفَّاي للثَّرى ** فيا عزة المُهدَى ويا حسرة المُهدِي

ألا قاتل الله المنايا ورميها ** من القوم حبَّات القلوب على عَمدِ

توخَّى حِمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي ** فللهِ كيف اختار واسطة العِقدِ

---

(١) انظر مقالات في الشعر الجاهليّ ، يوسف اليوسف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٥م ، دار الحقائق ـــ بيروت ـــ لبنان ، ص ٣٥٥.

(٢) رياض الأدب في مراثي شواعر العرب ، لويس شيخو اليسوعي ، الجزء الأول ، في شواعر الجاهلية ، طبع في بيروت ، سنة ١٨٩٧م (لم يذكر رقم الطبعة).

(٣) انظر الأبيات في الكامل في اللغة والأدب ، للعلاّمة أبي العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرّد النحوي المتوفي سنة ٢٨٥هـ ، الجزء الأول ، مؤسسة المعارف بيروت (بدون تاريخ) ص ٣١٩.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسُها.

على حين شِمتُ الخيرمن لمحاته ** وآنستُ مـــــــن أفعاله آية الرُّشدِ
طواه الرَّدى عنِّي فأضحى مزارهُ ** بعيداً على قـــــرب قريباً على بُعدِ
لقــد أنجزت فيه المنايا وعيدها ** وأخلفت الآمال ماكان من وعــــــدِ (١)

وقد لاحظ الباحث تشابهاً في المعاني بين مرثية ابن الرومي ومرثية الشـاعر أبـي الحسن الحُصْريّ ،وسيتضح ذلك في المبحث الثاني عند الحديث عن رثاء الشاعر لإبنه.

نخلص من هذه الآراء والأقوال ، والنماذج للمراثي في العصر الجاهليّ (٢) وماتلاه من عصور إلى أنّ الرّثاء كان يدور حول الأشخاص ، والصفات كما أسلفنا ، ويؤيِّد ذلك قول جبّور عبد النور في حديثه عن مراثي الشعراء في الجاهلية : (فقد كـان الشـعراء يشاركون قبائلهم في الجاهلية ومجتمعهم الحضري من بعد في أحزانه ، ويُعَبِّـرون عـن عواطفهم ، بقصائد يعرضون فيها لما تحلَّى به الميِّت من مـآثِر كـالكرم ، والشـجاعة ، أوسعة العلم ، أو التقوى ، أو الحِلم)(٣)

وممَّا تجدر الإشارة إليه في ختام هذا المبحث أنّ الرّثاء قد بدأ تطوّره منذ العصـور العباسية ، وازدهر في الأندلس وذلك بظهور لونية جديدة تمثَّلت في رثاء المدن والدول ، والتوثيق للأحداث التاريخية في هذه المراثي ، ودعوة المسلمين وولاة أمورهم إلى استعادة أمجادهم وتراثهم . ويزعم الباحث أنَّ من الدراسات المتفرِّدة والمتميِّزة جدًّاً في رثاء المدن والدول رسالة دكتوراة (٤) لم أعثر على غيرها من الدراسات التي تخصَّـصَت في هـذا الموضوع . ولكن توجد إشارات ، ومقالات ، ودراسات عامة ، عن هذا النوع من الرّثاء

---

(١) ديوان ابن الرومي ، شرح فاروق أسلم ، المُجَلَّـد الثاني ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٨ م) ص ٣١٩.

(٢) من المراجع القليلة التي تحصَّل الباحث عليها ، والتي تحدَّثت عن الرّثاء عمومـاً ، وقصـائد الرّثـاء فـي الجاهلية وصدر الإسلام كتاب عنوانه : قصيدة الرّثاء جذور وأطوار دراسة تحليلية في مراثىالجاهلية وصدر الإسلام ، الدكتور حسين جمعة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دار النمير للطباعـة والنشـر والتوزيـع ،دمشق ــ سوريا ، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ــ سوريا . وقد أحبَّ الباحث أن ينـوِّه بهـذا المؤلَّف ، لقلَّة المصادر والمراجع حول موضوع الرّثاء بصفة عامة ، وأنواع الرّثاء بصفة خاصة ، كذلك لمن أراد أن يتوسع ، أويستزيد ،أو يعرف أكثر عن موضوع الرثاء والمراثي..

(٣) المعجم الأدبي ، جبّـور عبد النور ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١.

(٤) رسالة الدكتوراة هذه وجدتها بمكتبة السودان بالخرطوم ، وهى بعنوان : رثاء المدُن فـي الشـعر الأندلسـيّ (٤٠٠هـ ـــ ٩٠٠هـ) ، إعداد عبد الرحمن بله علي ، إشراف الدكتور الحبر يوسف نور الدائم ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، العام (١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م)

في ثنايا بعض المراجع والمصادر والكُتُب بصورة عامة .

وهذا كلّ ما أمكننا في هذا المبحث عن مفهوم الرّثاء لعلَّه يكون ركيزة نعتمد عليها في المباحث التالية عن الرّثاء في شعر أبي الحسن الحُصْريّ.

المبحث الثاني :ــ رثاء الشاعر أبي الحَسَن الحُصْريّ لابنه عبد الغني .

كانت النماذج التي أوردناها في المبحث الأوّل في مفهوم الرّثاء ، تمهيداً لنقف على رثاء أبي الحسن الحُصْريّ لإبنه عبد الغني.

فقد خصَّص الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ ديواناً كاملاً ملحقاً به ذيلُ في رثاء أحبِّ وأقرب أبنائه إليه ، ويمثِّل غرض الرّثاء أكثر من ثلثي أشعاره ، بل إنَّ مراثيه قد تصل إلى ثلاثة أرباع شعره وبالنسبة المئوية ٧٥% من جملة شعره في الرّثاء والذي جمعه وحقَّقه محمد المرزوقي والجيلانى بن الحاج يحيى التونسيان.

ويشتمل ديوانه في رثاء ابنه " اقتراح القريح واجتراح الجريح " وذيله على (٢٥٩١) بيتاً (واحد وتسعين وخمسمائة وألفين) من أبيات الشعر تفصيلها كمايلي :

أ- عدد أبيات الديوان : (٢١٥٦) ستة وخمسون ومائة وألفان.

ب- عدد أبيات الذيل : (٤٣٥) خمسة وثلاثون وأربعمائة .

لذا فإنَّ هذا الغرض سوف يجد حظَّه ، من العناية والتأنِّي في دراسته لاستيفاء كافة جوانبه بحجم نسبته التي يمثِّلها من مجموع شعر ديوانه . ولا غرابة في أن يكون هذا الفصل عن الرّثاء ومباحثه ، أطول من بقية الفصول والمباحث في الأغراض الشعرية الأخرى.

وأوّل وقفة لنا مع مراثي أبي الحسن الحُصْريّ أو ديوانه في الرّثاء على الأصح ، مع تسمية الديوان فقد اختار له اسماً تُشْعِر معاني ألفاظه ، وسجعاتها بحجم الفجيعة والابتلاء الذي تعرّض له الشاعر بفقد عدد من أبنائه ولاسيّما عبدالغني فسبَّب له ذلك جراحاً غائرات وقروحاً لم تلتئم. فقد سَمَّى ديوانه في الرّثاء : " اقتراح القريح واجتراح الجريح " فأصل كلماته "قُرْح" و "جُرْح " فاشتقَّ منهما مصدرين للفعلين المزيدين : اقْتَرَحَ واجْتَرَحَ ، والمصدران على وزن " افتعال " وهما : " اقتراح " و " اجتراح " ثمَّ اشتقَّ لفظين على وزن فعيل بمعنى مفعول ، وهما : (جريح ، وقريح) .

ويقول الشاعر في خطبة عن ديوانه هذا (فَجَرَّحتنى أنياب النوائب ، وقَرَّحتني أوصاب المصائب ، نثرت شاكياً ما اجترحت إلى فاطري ، ونظمت باكياً ما اقترحت على

خاطري ... وسمَّيت هذا الكتاب " اقتراح القريح ، واجتراح الجريح " وضمَّنتُه قصـــائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان كالمُلْجَم ، ومقطَّعات تقفو كلّ قصـــيدة فـــي قافيتها ، على أنَّها مثيرة الأحزان غير شافيتها .)(١)

وقد ألهمته قريحته لتأبين ابنه ، كما نرى ذلك في شعره حيث يقول :

فلمّا مات مُتُّ أسىً عليه ** كأنِّي كنت جسماً وهو روحُ

فناديت القـــــريحة أبِّنيه ** فقالت نعم ما اقترح القريحُ (٢)

ومثله قوله :

مسني القَرْحُ واستضامني البغــ يُ لفقدان بغيتي واقتراحي (٣)**

مع ملاحظة ومراعاة أنَّ هذه الأبيات قد اشتملت على لفظ من الألفاظ التي سمَّى بها ديوانه واشتقَّ منه عِدَّة اشتقاقات مثل : القَرح ، اقترح ، اقتراح ، القريح ممَّا يدلُّ علـــى الآلام ، والقروح ، والجروح التي سببها فقد الابن .

ولنقف مع الشاعر في مأساة ابنه التي قصَّها لنا في شعره ، مبتدئاً بذكر أسباب الوفاة ، وماقاساه الابن من آلام ، وأعراض المرض عليه قبل وأثناء احتضاره ، ثـمَّ ماحاولـه الشاعر لعلاج ابنه وإنقاذه من الموت .

وعن أسباب مرض ابنه ووفاته ، (يرجع الحُصْريّ مرض ولده إلى ثلاثة أســباب ؛ لطمة أخية ، وفراق أمّه ، وعين الحاسد) . (٤)

ويؤيِّد ذلك ما ورد في شعر الحُصْريّ إذ يقول عن ضربة أو لطمة هذا الأخ لأخيه :

يا ضارب البدر أقْسَمــــْ ** تَ لا وطئتَ بساطي

كما سطـــــوت على ابني ** اذهب بُلِيْتَ بساطِ (٥)

ويقول أيضاً :

وباكية تقــول بغــى ** عــلى ابنك صـــنوُهُ وسطَا

فليت أخاه حين عــدا ** غـــدا من رأســه وسَطَا (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٦٤.

(٢) لمرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) لمرجع السابق ، ص٣٠٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٨.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٤٣.

(٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ويتمنّى الشاعرُ في البيت الثاني لو لم تكُن ضربة الأخ لأخيه في رأسه فليته ضربه في وسط جسده ، لأن هذه اللَّطمة في الرأس سبَّبت له الرُّعاف والنزيف الذي قضى عليه .

أمّا فراق أمّه حيث إنَّ زوجة الحُصْريّ تركته وتركت إبنها أيضاً ـ كما تقدَّم الحديث عن ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني ـ فنورد من شعر أبي الحسن الحُصْري في ذلك قوله :

نهكته عِلَّةُ مبدؤها ** وحشة الأمِّ متى تُذكر تشُقْ (١)

وقوله :

تناءت وهو في شوق إليها ** على جمر الغضا لكن تغاضى

أمّا السبب الثالث وهو عين الحاسد فقد وُجد أيضاً في شعره مثل قوله :

رَمَتك سهام العين والله أنفذا ** وما أخذت حتى قضى فيك مأخذا (٢)

وقوله كذلك :

قُل للعدا أوعدوه ** إنْ شئتمُ أوعدوهُ

قتلتموهُ بعينٍ ** إذ قال لي أوع دوهُ (٣)

ويتضح ذلك أيضاً في قوله :

كان في عبدالغني غنىً ** عنه حتى حسَّه الحَسَدُ

طرقتْنى العين فيه وقد ** عاص واشتدت به العضُدُ (٤)

ونراهُ يجيبُ على تساؤلات الناس عن مَرَض ابنه وسبب رعافه بقوله :

يسألني الناس ما دهاه ولِمْ ** أُرْعِفَ حتى كأنَّه دُمِغَا

استغفر الله كيف قلتُ لهم ** بعض الأعادي على الحبيب بغى

ولو هدى الله قُلْتُ إذ سألوا ** سنوهُ تمُّت ورزقه فرغا (٥)

وقد ذكر الرعاف والآلام التي سببها لإبنه عدة مرات مثل قوله :

جرى دمُه حتى جرت فيه نفسه ** وأقسم ظنِّي إنّه لقتيلُ (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤١١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٠١.

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٦١.

وقوله :

سالت حشاشة نفسه مـــــن أنفه ** فشهدتُ منه مصرع الشهداءِ

ونظرت في قطع الرّعاف فلم تــمط ** حِكَمُ المنيَّة حيلة الحــــكماءِ (١)

ويقول أيضاً :

فــكيف الصــّبُر أم كــيف التَّــعزِّي ** ومـــن عــرنينه ولدي ذبيــحُ

رقــيــتُ رُعــافه فأبــى رقـــوءاً ** ودام ومــزجُه دمـــي السّفـُوحُ (٢)

ثـُمَّ يعرض الشاعر أبو الحسن الحَصْريّ في قصة محزنة ، وعاطفةٍ مُؤثِّرة ــ كما يتضح ذلك في عدد من مراثيه ــ يعرض آلام الطّفل وأثر الرعاف والمرض عليه حيث يقول :

وقــد رابه مــنّي تورُّم نــرجــس ** غضيض ونســرين وورد مضعّفِ

ونـــثـــر عــقــيــق ذاب فيه دماؤه ** جرى مـــــثل دمعي ثم لم يتوقفِ (٣)

وذكر هذا التورُّم الذي أصاب وجهه أيضاً في قوله :

ولو شاء عافى وجهك الحسن الذي ** تورَّمَ حتى خفتُ أنْ يتحذَّذا (٤)

ويصور آلام إبنه والكرب الذي عاناه حتى تقرَّحت له الأجفان فهو ما يلبــث أن يســتيقظ حتى تعاوده الآلام :

كربه من كــــرب كانت به ** تترك الأجــفان قــرحى بالأرَقْ

ولقد كان على أوصــــابه ** ربما نـــام ثلاثاً في نسَــــــقْ

وإذا اســتيقــظ مــن نومته ** زادت الأوصابُ واشتدَّ القلَــــــقْ (٥)

وقد اشتدَّت به الآلام حتى منعته الأكل ، ولم يستطع الكلام ويُصــوِّر ذلــك قــول والـــده الشاعر :

عرضــت له تــفاحة تــفاحة ** بعض الإماء فَرَدَّ بالإيماءِ

ولو استطاع القول قال مشافهاً ** تفَّاح جنَّات الخلود شفائي (٦)

---

(١) أبوالحسن الحصري القيرواني ،المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٧٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٨

(٤) المرجع السابق ، ص٣١٣.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤١٢.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٧٥.

ولكّن الشاعر لم تُجدِ كلَّ محاولاته ، فهو بعطف الأب ، ولهفته على ابنه سعى لعلاج إبنه بشتَّى السُّبل ، فقد حاول أن يرقيه ، وأنْ يحضر أمهر الأطبَّاء ، ولكنَّ كلَّ ذلك لــم يــدفع الموت عن ابنه ، ويحضُرنا قول أبي ذؤيب الهذليّ :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهمُ ** فإذا المنيّة أقبلت لا تُــدْفعُ

وإذا المنيَّةُ أنشــبت أظفارها ** ألفيتَ كــــلَّ تميمة لاتنفَعُ (١)

وكأنَّ الشاعر نظر إلى قول أبي ذؤيب هذا حين قال :

رقيُتك يا ابنى والحــِمام مقدَّر ** إذا جاء لم تنفع رقى كلّ مُدْنفِ (٢)

ويستمرُّ في محاولاته لعلاج ابنه ، ولكن لا أَثَر للدواء ، ولم يهتدِ الطبيب إلى مداواة فلــذة كبده وصوَّر ذلك بقوله :

وإذا أراد الله ميتةَ مــــــدنف ** أخفى على الآسي دواء الداءِ

داواه مــن أدواه حتى قال لي ** لاتأتني مــن ذا الرّدى بدواءِ (٣)

وقوله :

طلّ قتيل الرّدى رعافُ ** دام وما اسطعتُ أن يماطا

طرفُ المُــداوي عم وإلَّا ** فأين برهانُ ما تعاطــــى

طبيبه لا ســـــلمت مالي ** أحســبُه يذبح اشــتحاطا (٤)

ومثله قوله :

جعلتُ أداوي علَّتيك تعِلَّة ** عسى الدمُّ يرقى والتورُّم ينفشُّ

سألت أطباء المريّة عنهما ** وقــرطبة حتى الذي دارُه أَلَشُ (٥)

ولعلَّ هذا الموقف الذي تعرّض له الشاعر في علّة ابنه ، وأعراض المرض عليه ، عانى منه الشعراء قبله ، فهاهو ابن الرومي يتعرّض ابنه للعلّة نفسها ، والأعراض ذاتِهــا فينزف ويصفرُّ لونه ويقول ابن الرومي في ذلك :

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ، السَّكريّ ، صفحة ٤ وما بعدها من صفحات .

(٢) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلانى ، ص ٤٠٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٣٠.

ألحَّ عليه النزفُ حتى أحاله ** إلى صفرة الجادىِّ عن حمرة الوردِ

وظلَّ على الأيدي تساقط نفسه ** ويذوي كما يذوي القضيب من الرّندِ

فيا لك من نفس تساقط أنفساً ** تساقط دُرٍّ في نظام بلا عـــــقدِ (١)

إذا فهنالك تشابه في بعض المعاني بين مرثية أبي الحسن الحُصْري لابنه ، ومرثية إبن الرومي أيضاً ، ولعلَّ من أسباب ذلك أنّ علَّة ابن ـــ كُلٍّ من الشاعرين واحدة كما أن الوحدة الموضوعية من أسباب هذا التشابه .ويبدو التشابه في أنَّ كلا الشاعرين يـذكر المرض الذي أُصيب به ابنه وهو النزيف أو الرعاف ويصف أثره على الابن .

وبعد أنْ تعرّضنا لأسباب المرض وآلامه ، وأثره على ابنه ، ومحاولة الشاعر علاج ابنه ، نقف مع أكثر اللحظات صعوبة وهى لحظة الاحتضار التي أعقبتها وفاة الابن .

يقول أبو الحسن الحُصْريّ :

شهقته والجبين يندى ** والنّفسُ من حُسْنِه تُنَاشُ

شِـدَّة كربٍ ولا ذنوب ولاحـــساب ولا نِقَاشُ (٢)**

فهو ينازع الموت بشهقاته هذه ، ويتصبَّبُ جبينه عرقاً ، وكأنَّما الشاعر يتعجَّبُ من هذا الكرب الذي اشتدَّ به ، وهو غلام صغير لم تكتب عليه ذنوب وهـا هـو ذا يصـف أعراض الاحتضار ومنها جحوظُ العينين :

وقـــد جحظت مُزورَّتان ** جحوظهما حتى أُسيلَ أَسيلُ (٣)

مؤثَّرة فيه الجراحة مثلما ** يفلّلُ سيف الهند وهو صقيلُ (٤)

إلى أن حانت ليلة الوفاة وساعتها ، والإبن لا يزال يندى جبينه : وقد نادى أباه ، وقبَّل رأسه وعانقه عناق مفارق :

ليلة الموت دعاني فدعا ** لي وقد قبَّل رأسي واعتنَـقْ

وهو يندى عرقاً مَنْ شَمّهُ ** قال هـــــذا ماءُ وردٍ لاعَرَقْ (٥)

---

(١) ديوان ابن الرومي ، شرح فارق أسلم ، المجلَّد الثاني ، ص ٣٢٠.

(٢) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٨٥.

(٣) أسيل : رجلٌ أسيل الخدِّ ، إذا كان ليِّن الخدِّ طويله . انظر الصحاح ، الجوهري ، ج٤ ، ص ٤١٠.

(٤) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ،ص ٣٦١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣.

أمّا لحظة الصَّــمت الأبدي ، فقد عرضها لنا الشاعر في أبيات وصور متعدَّدة منها قوله :

فشجا إذ لا الجفون انطبقت ** منه تغميضاً ولافـــــوه نطَقْ

قلـــَّص النشيج منه شفة ** عـــــن شتيت كلّما افترَّ برَقْ

ضاعفت حزني عليه مِيْتَةُ ُ ** ظلَّت الأغصانُ منها في نزَقْ (١)

ويصوّر الشاعر لحظة الوفاة وأثرها عليه ، بأنَّه لم يستطع أنْ يتحرَّك كأنّما تجمَّد :

مات فما اسطعت من تشنُّجه ** أطبقُ أجفانه ولافاه (٢)

قبل أنْ يحدِّثنا الشاعر عن يوم الوفاة ، نراه يقرِّر أنَّ ابنه ، مات مُوَحِّداً ناطقاً بالشهادتين وذلك في قوله :

وهو على كربة السِّياق معي ** يشهد أن لا إله إلا هُو (٣)

ثم يذكر يوم الاحتضار ، ويوم الوفاة ، ويوم الــدفن ، فالصَّـــبي احتضـــر يـــوم الخميس وما قبله وتوفى يوم الجمعة ، ودُفن يوم السبت وذلك في البيتين التاليين :

يتنفَّس الصعداء يوم خميسه ** همّا كذلك همَّةُ السُّعـداءِ

فكأنَّه يوم العُـــروبة موثق ** أسراً ويوم السبت يوم فداءِ (٤)

كما اهتدى محقِّــقا ديوانه إلى شهر وفاته والسَّــنة التي توفي فيها من شعره إذ يقولان : (ويحدِّد الحُصْريّ سنة وفاة الطفل بقوله :

وإذا صحَّ أنَّ خمـــس مِيءٍ ما ** يلبث المصطفى دفيناً فوشَكْ

ما البواقي منهـــــنَّ إلَّا ثلاثون ** وخمس ليس في البعث شَكْ

وبعملية حسابية بسيطة يتبيَّــن لنا أنّه مات سنة (٤٧٥هـــ) أو(٤٧٦ هـــ) لأنَّنـــا إذا طرحنا(٣٥) من (٥٠٠) يبقى لدينا (٤٦٥) يضاف لها (١٠) سنوات التي مضـــت مـــن الهجرة إلى وفاة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تكون النتيجة ما أشرنا إليه).(٥)

---

(١) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٥.

(٣) المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

أمّا شهر الوفاة فهو (آب) أو أغسطس ، وقد صرّح به الشاعر في قوله :

غاب في (آب) عن مصلّاه مغنى ** فتفاعلتُ طامعاً أن يؤوبا (١)

ثمّ بيّن لنا الشاعر أنّ عمر ابنه حين توفى كان يناهز العشر سنوات ، وبتحديد أكثر كان عمره تسع سنوات وأربعة أشهر في حين كان هو في الخمسينيات وذلك في قوله :

زكا ابنى في تسع وأربعة له ** ولم أزك في خمسين عاماً ونيفِ (٢)

وكما وصف الشاعر احتضار اينه ، وساعة وفاته ، وجدنا أنَّ أبا تمام قد فعل ذلــك فــي رثاء ابنه في معانٍ متشابهة أيضاً كما رأينا ذلك عند إبن الرومي يقول أبو تمام :

آخر عهدي به صريعاً ** للمــــوت بالداء مستكينا

إذا شكا غصّــة وكرباً ** لاحــــــظ أوراجع الأنينا

يدُير في رجعه لســاناً ** يمنعه المــــوت أن يبينا

يشخص طـــــوراً بناظريه ** وتارة يطــبق الجــفــونا (٣)

وقد بينَّا أنَّ وحدة الموضوع ، وتواردُ الخواطر هما السببُ في هذا التشابه ، وقد يكــون الحُصْريّ اطَّــلع على مراثي هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وقد بدا التشابه في مواضع عِــدَّة مثل : وصف لحظة الاحتضار ، وذكر علاماته ، وغير ذلك.

ويتَّضح ممَّا سبق أنَّ الشاعر قد صوَّر لنا في أبيات مؤثِّرة مأساة ابنـــه ، ابتــداءً بالمرض وأسبابه ، ومروراً بالآلام التي سبَّــبها له هذا المرض ، وفترة احتضار الابن ، وانتهاءً بلحظة الوفاة .

أمَّا ماأعقب موت الابن فقد حاول الباحث أن يتتبع الأفكار والموضــوعات التـــي طرقها الشاعر في مراثيه لتكون مناقشة ، وتحليل النصوص الشعرية ، وفقاً لهذه الأفكـــار كما حاول الباحث أن يقرنُها ، ويرتِّبها على الجوانب التي تشكِّل أضلاعاً لمثلـــث الرّثـــاء وهى : ، التأبين ، و الندبُ ، و العزاء.

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلانى ، ص ٢٧٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦.

(٣) ديوان أبي تمام ، تقديم وشرح الدكتور محي الدين صبحي ، المجلَّد الثاني ، دار صادر ، بيروت ــ لبنـــان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، ص ٣٣٥.

تأبين الشاعر أبي الحَسَن الحُصْري لابنه :

وقد بيَّن الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ مكانه ابنه عنده ، وبم نال هذه المكانة وذلــك في عدّة أبيات منها قوله :

كان عبدالغــني للعين نوراً ** ولقلبي هــدىً وللعيش طيبا

وكان شــيبي به شباباً فلمَّا ** بان عــنِّي ردّ الشباب مشيبا

كنت في غربتي كأنِّي به في ** وطني فانقضى فــعُدت غريبا

لم يدع فقده لمغناي معنى ** فخلا آهلاً وضــــــاق رحيبا (١)

ولعلّ من الأبيات التي توضِّح مكانة الابن عند والده ، البيت الذي يذكر فيه أنَّ ابنه كان فؤاده ، وبصره ، وإذا علمنا أنَّ الشاعر أعمى ، فيكون ابنه كأنَّه نور بصيرته الذي فقده فأصبحت حياته بلا معنى ، وهذه المعاني يجمعها البيت التالي :

ومات ابني فها أنا لافؤادُ ** ولابصر ولاموتُ مُريحُ (٢)

ونجده كذلك يواصل الحديث عن محاسن ابنه ، ومزاياه ، والثنــاء عليــه ، ولعــلَّ هــذه المحاسن والمزايا التي اختُص بها ابنه ، هي التي بوَّأته هذه المكانة ، فتعاظم اهتمام والده به وزادت محبته عنده دون غيره من إخوته ، فقد نشأ ابنه نشأة دينية مبرِّزاً فــي علــوم عصره ، ولاسيَّما القرآن وعلومه ، يقول الشاعر عن ابنه :

يغدو لمسجده ، فيغدو سابقاً ** كالصُّبح أَفْلَتَ من يد الظَّــلماءِ

مستــوضحاً لجنــينه متَرنِّما ** بالذكر قــــبل ترنُّــم الــورقاءِ

بالليل يقــرأ والنَّهــار كأنَّما ** يتجنــبُ الإغــفاء للاغــفــاءِ (٣)

وهو بجانب ذلك ، نجيب فاق الكهول ، رغماً عن صغر سنِّه ، ولا غرابة فهو ينتمي إلى قبيلة " فهر" التي يفخر بها :

أعبد الغني ابني شـــــــذذت نجابة ** ومازالت الأنجابُ مثلك شذّذَا

بذَذْتَ الكهول الغــرّ حلماً وســؤدداً ** كذاك عهدنا فهر للناس بذَّذَا

كأنك تتلو الــــــــذكر متَّعظاً به ** ترتِّله والناس يتلون هــذَّذَا (٤)

---

(١) أبوالحسن الحُصْري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٧٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٢.

(٣) لمرجع السابق ، ص ٢٧٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣١٥.

وقد ذكر المرزوقي والجيلانى عدداً من الأسباب ،التي جعلت الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ يُحِبُّ ابنه عبدالغني أكثر من بقية إخوته ، ولعلَّ ذات الأسباب هي التي جعلته ينال هذه المكانة الرفيعة عند والده ، وممَّا ذكره محقِّقا الديوان من هذه الأسباب أنّ عبدالغني كان ولده الوحيد من زوجته التي فارقته ، وأنه كان ذكياً ، ملازماً لأبيه ، وموته بالرعاف أو النزيف ممّا استدر عطف الشاعر وشفقته ، وغير ذلك من الأسباب .(١)

ويُصرِّح الحُصْري باهتمامه بتأبين ابنه ، وتعداد مآثره ، حتى إنَّ رثاءه له جعله لا يهتم بالنظم في الأغراض الأخرى من مدح ، ونسيب ، .... الخ ، بل حتى رثاءه لوالده ، نجد أنَّ الشاعر مُقِلّ فيه ، فلم يضمِّن مراثيه لابنه إلَّا أبياتاً قلائل فيها إشارة لفقد والده يقول :

لم أُ طِق فيه حيلةً غير أنِّي ** مذ قضى نَحْبَهُ ألفتُ النحيبا

إنّ تأبينه الذي هو دأبي ** حرّم المَدْحَ بعده والنسيبا (٢)

ولعلّ ممّا جعل الوالد ، يتألَّم ، ويتأثَّر بموت ابنه ، ماكان يرجوه له من مستقبل ، ويتوقَّعه له من مجد ، لِمَا رآه فيه من صفات النبوغ ، وسمات التميُّز ، فنراه يُردِّد أنّ ابنه ــ لوعاش ــ سيكون عَلَماً من الأعلام ، تُضْربُ إليه أكباد الإبل ، وذلك لِمَا حذقه من العلوم في تسع سنوات وفيمايلي عدد من أبياته الشعرية التي تتضح فيها هذه المعاني منها :

تسعى الرِّجال فلاتنال بحرصها ** مانال في تسع من العلياءِ

فلو انتهى العشرين سَمَّتْهُ العُلا ** عَلَم العلوم وكافي الأكفاء (٣)

إلى أن يقول :

صغير السَّنِّ لو دامت سِنوُهُ ** عقدتُ على السِّماك به لوائي (٤)

ومنها قوله أيضا :

---

(١) أبوالحسن الحُصْري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٧٨ ، ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٧

لوكان عمرك خمسَ عشرة حِجَّة ** لسطا على الأعداء منك خميسُ

ودعتك أعــلام العــلوم إمــامها ** وتيمَّمتك مـــــن العِراق العيسُ (١)

ويشابهه قوله في البيت التالي :

وأقسمُ لو أوفى على التسع مثلها ** عنا كل أستاذٍ له فتتلمذا (٢)

كما كان الشاعر يتمنَّى أن يكون ابنه مثله عالماً بالقراءات ، ناظمــاً للشــعر ولا تخلــو الأبيات من فخر :

كـــــــم تمنَّيت أن أراه ** علىّ يقـــــرا لكلّ راوِ

وينظم الشِّعر مثل نظمـــي ** فينتهي غايتي وشاوي (٣)

وممَّــا تقدَّم يتَّضح لنا أنَّ مدح الشاعر لإبنه ، وثناءَه عليه مؤبِّناً يصدق عليه وصف الــدكتور شوقي ضيف في حديثه عن التأبين إذ يقول :

(وليس التأبين نواحاً ولا نشيجا على هذا النحو ، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلـــى الحــزن الخالص ... ولذلك يسجِّــل فضائله ، ويلحّ في هذا التسجيل وكأنَّه يُريد أن يحفرها في ذاكــرة التاريخ حفراً حتى لا تنسى على مَرِّ الزمن) (٤)

فقد وجدنا الثناء ، والألحاح في ذكر الفضائل في عدد كبير من قصائد الشاعر أبي الحسن الحصري في رثاء ابنه .

ندْبُ الشاعر لإبنه :ـــ

أمّا عن النَّدب فإنَّ الشاعر قد أظهر معاناته ، وتفجُّعه ، وحسرته ، وماحلّ به بعــد فقد ابنه ، كما يتِّضح ذلك في عِدَّة أبيات منها :

وَيح عيني سُلِبَت قرَّتُها ** وخـــــبا نـــيِّرها لمّــا ائتلــَقْ

ولدي فارقت لا بل كبدي ** فالذي استجمع من شملي افترَقْ

لا أبالي بعــد أن فارقته ** بغراب البين إن قــيل نعــَــقْ (٥)

فقد عاش الشاعر بعد فقد ابنه في كرب شديد ، وحلَّت به الكارثة ، فأصبح كأرضٍ جرداء بعد أن كانت مخضرَّة ، وذلك في قوله :

---

(١) أبوالحسن الحُصْري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٥.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٧.

(٤) الرّثاء ، شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ص ٦ ، (بدون تاريخ).

(٥) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤١١.

تُوفِّى الخَلَفُ الزّاكي وعِشْتُ كما ** ترضى العِدا عيش مكروب ومكروثِ
حتَّى أعاف شراباً لستُ أمزجه ** بعَبْرتي وطعاماً غير مغلوثِ(١)
وكنت في جنَّةٍ حُفَّت وانبها ** بالزّرع والنَّخْل والأعناب والتوثِ(٢)
فأصبحت يوم أودى وهى خاوية ** جرداء من كلِّ مغروس ومحروثِ (٣)

فالشاعر لا يرقأ له دمع فهو يبكى ولده ، ويصوِّر معاناته بعد فقده ، وقلبه المحترق الذي كلّما بكا ابنه ازداد اشتعالُ نيرانه .

ومثال ذلك قوله :

ضجَّ أبوك الكظيم ممَّا ** نالك والدّمعُ لا يغيضُ
ضاعف أحزانه بلاء ** كلُّ صحيح له مريضُ
ضرَّمت في قلبه وهيجاً ** يهيجه الدّمعُ والقريضُ
ضحاي حتى أراك ليل ** وسودُ رأسي عليك بيضُ
خلعت سُبلاً وخنت عهداً ** إن لم تبت عَبْرتي تفيضُ(٤)

وقد تغيَّرت معالم الأشياء بعد فقد الشاعر لإبنه ، فأصبح النَّهار وكأنَّه ليل ، والأرض ذات الأزهار والنَّدى ،قفر في نظر الشاعر ، وقد همّ الشاعر بنبش قبر ابنه لعلَّه يشفى حزنه وجراحه ، فقد أصبح كطائر مهيض الجناح ، فقد عُشَّه وفراخه ، لذا فإنَّ دمعه لايُكفكف ، وأرقه لا يتوقَّف ، وهذه المعاني تجسدها الأبيات التالية :

يخيَّل لي أنَّ الضُّحَى بعدك الدُّجى ** وأنَّ النَّديَّ القفر والأَنَسَ الوحشُ
أهمّ بنبشي قبرك الطيِّب الثرى ** لعلِّيَ أستشفي وإن حُرِّم النبشُ
كأنيّ وقد أودعتُك القبر طائر ** كسير جناح لافراخ ولاعشُّ
محلٌ لعيني دمعُها وسُهادها ** وحُرم على جنبيّ الأسرَّة والفرشُ (٥)

---

(١) الغَلْث : الخلط يقال : غلثت البر بالشعير ، أغلثه بالكسر فهو مغلوث وغليث.
(٢) التوث : لغة في التوت .
(٣) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢٨٩.
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٧٨.
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٨.

والشاعر أبو الحسن الحُصْريّ في ندبه لأبنائه الآخرين الذين غيَّبَهمُ الموت يكتفي فقط بإشارات محدودة ، دون تفصيل كما فصَّل القول عن ابنه عبدالغني وقد تقدَّم الحديث عن أسباب ذلك ــ فهو يذكر عدد من فقده من أبنائه ، وأحياناً أماكن فقدهم ، فقد توفِّي اثنان من أبنائه بدانية وسبتة (١).

ثم توفى ثلاثة من أبنائه ، وبموت عبدالغني صار عدد من مات من أبنائه أربعة فنراه يذكر ذلك بقوله :

أستودع الله لي بدانية ** وسبتة فلذتين من كبدي (٢)

وقوله :

ثلاثة قد أصيب فيهم ** ووعدي الحقُّ في انبعاث (٣)

ومثله قوله :

وأنت يا دهر لقد ** فجعت فهراً غررك
سلبتني أربعة ** زانوا فكانوا دُررك (٤)

وقد بلغ منه ندبه لابنه مبلغاً عظيماً ، ألجأه للدعاء ، ومحاولة الصبر أوالتصبُّر وحديثه في ذلك أقرب إلى العزاء منه إلى الندب.

عزاءُ الشاعر أبي الحَسَن الحُصْريّ في ابنه عبدالغني :

ورغماً عن كلِّ هذا الجزع نجد الشاعر يتحدَّث عن الصَّبر وحديثه فيه تناقض بين ما يدعو إليه الدِّين من الصَّبر والاحتساب ، وما تمليه عليه عاطفته وشعوره والجزع من المصاب . واخترنا من شعره الذي يتحدَّث فيه عن صعوبة الصَّبر عليه بل واستحالته أحياناً ، الأبيات التاليه :

اذهب بحسن عزائي ** فليس عنك اصطبارُ
حلال صبري حرامُ ** وسرُّ ثكلي جهارُ (٥)

---

(١) ودانية من مدن الأندلس ، أمّا سبتة فهي مدينة مغربية تناظرمدينة طنجة التي توفِّي بها الشاعر ، وهما مطلِّتان على مضيق جبل طارق انظر موقع المدينتين على الخريطة في الفصل الأول من الباب الأول . .

(٢) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٧٧.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٠.

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٧.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢٥.

وقوله :

فكيف صبري وأنا موقن ** أن ليس يدنو بعدما شطَّا (١)

ويظهر التناقض في قوله :

لأجره لو صبرت خير ** كَمْ عاض بالصبر كم أنالَا

لا أدّعي الصبر إنَّ قلبي ** كان من الصَّخْر فاستحالَا (٢)

ثم نراه يذكر أنَّه صبر على نوائب الدّهر في كثير من الأحداث التي مــرّت بـــه ولكنَّـــه عصى الصبر أو استعصى عليه عند موت ابنه عبدالغني :

أطعت الصبر في نُوَب ** علىّ الــــــدّهر لوَّنها

وفي عــــبدالغني ابني ** عصيت الصَّبر حين نهى (٣)

وقريب من ذلك قوله :

أيّ صبر عنك أقـــوى ** ومحــلِّي مــنك أقــوى

خافت الأيَّام عـــــتبي ** فأسرَّت فــيك نجــوى (٤)

كما توقَّف الباحث عند الدُّعاء الذي يورده الشاعر في مراثيه كثيراً فهو تارة يدعو علـــى نفسه ، وتارة أخرى يدعو لها ، وأكثر دعائه أن يشفع له موت ابنه أو أبنائه ، وأن يكون عبدالغني ذخراً له في الجنَّة هو ومن فقده من بقية أبنائه .

فمن دعائه على نفسه استهلَّ قصيدته الدالية مثلاً بقوله :

لاجلا أحزاني الجَلَدُ ** لاخـــلا من ذكـــرك الخَلَدَ

لاهنى عينيَّ نومها ** وهـــناك الحـــزن والخلد (٥)

أمّا دعاؤه لنفسه فمنه قوله :

ربّ مالي سواك ربّ ** رُدَّ رقادي أقِــلْ عِثارِي

رُدّ رقـــادي ونجِّ إنِّى ** غرقت في الأدمُع الغزارِ (٦)

---

(١) أبو الحسن الحَصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٣٤١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ، ٤٣٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ، ٣٠٨.

(٦) المرجع السابق ، ص ، ٤٦٧ .

وأكثر دعائه لابنه راجياً شفاعته ، كما صرّح بذلك في أكثر من مرّة مثل قوله :

أعبد الغني اشفعــن لي غداً ** ليجمعنا الله في مُتَّكا

على الرّفرف الخضرفي جنَّة ** تزفُّ لنا العُرب الفُلكا (١)

وكثيراً ما يعزِّى نفسه بحديث الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم وتبشيره لمن فقد ثلاثــة مــن أبنائه فصبر واحتسب بالجنَّة والحديث في صحيح البخاري باب فضل من مات لــه ولــد فاحتسب كمايلي :

حدّثنا أبو مَعْمرَ حدَّثنا عبدالوارث حدّثنا عبدالعزيز عن أنس رضي الله عنــه قــال : قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : (مامن الناس من مسلم يُتوفى له ثلاثُ ُ لم يبلغوا الحِنث إلَّا أدْخَلَهَ الله الجَنّة بفضل رحمته إيَّاهم) (٢)

والحديث الثاني : حدّثنا عليُّ حدّثنا سفيانُ قال : سمعت الزُّهــريَّ عــن ســعيد بــن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قــال : (لا يمــوت لمسلم ثلاثة من الولَدِ فيلج النار إلَّا تَحِلَّة القَسَم) (٣)

ولعلَّنا قد نوَّهنا إلى أنَّ في شعر الشاعر ما يؤكِّد حذقه ، لعلــوم القــرآن ، وعلــوم الحديث والدليل اقتباساته ومعانيه المستمدة من القرآن في عدد من قصائده ، كما أنَّــه قــد ضمَّن معنى الحديثين السابقين وبعض ألفاظهما في شعره حيث يقول :

فزت يافاقد الثلاثة من ولد ** وبالصــــَّبر الكريم تمسَّكْ

ليس إلَّا تَحِلَّة القســم النّار ** كما جاء في الحديث تمسَّكْ (٤)

أمّا تمنّيه مغفرة ذنوبه ، وأن يكون موت إبنه ، شفاعة ورحمة له فنجده في الأبيات التالية :

أعبدالغنيِّ ابني إلى ربِّك الرُّجعى ** فكن شافعي عندِ الذي أخرج المرعَى

فقد أوثقتني السَــــــيِّئات وبزَّنِي ** مُغارُ مــــــلمّات أثــرنَ به نقْــعَــا (٥)

ومثله قوله :

---

(١) أبو الحسن الحَصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٥٧.

(٢) صحيح البخاري ، الجزء الأوّل ، جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسَّنَن والمسانيد ، جمعية المكنز الإسلامي ١٤٢١هــــ ، ص ٢٣٥.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسُها.

(٤) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٥٧.

(٥) المرجع السابق ، ٣٩٦.

عسى عبدالغنيِّ يكون ذخري ** فيسقيني إذا وردَ الحـــياضا

ويخفض لي هناك جناح عزّ ** عهدت له من الرّحم انخفاضا

فتغفرُ فـــي شفاعته ذُنوبي ** وأســكُنُ راضــياً معه الرِّياضا (١)

وهذه المعاني التي تقدَّم الحديث عنها ، والتي تتكرر كثيراً في شعره نختمُها بقوله :

أنت حيث المقـــــرَّبون فأبشر ** وســلِ الله أن أراك قــريبا

واسقني الماء يوم تروى وأصدى ** نصبا من خطيئتى ولغــوبا

كبدي اشفع لسائر الجســم أسْلمْ ** من لظى يوم يستطير لهيبا

ما أظنُّ الكريم يرضى ــ إذا أنــعم ** بعضي ــ لبعضيَ التعذيبا (٢)

وبعد كلِ ما تقدَّم نجد أنّ الشاعر يلجأ إلى العزاء بذكر الموت ، وأنّه راضٍ بقضـــاء الله وقدره ، ويلجؤه حزنه إلى الحديث عن الزّهد في الدّنيا ، والتأسي بالحكم والمـــواعظ كيف لا ، وموت ابنه أبلغ العظات :

وعظتني الدّنيا مواعــظ شــتَّى ** وأقلّ العــظات تكفي اللبيبا

فصحاء الخطاب من الخَطْب تعيا ** وكفى أعجم الخطوب خطيبا

أبلغ الوعــظ أن ترى اليوم عيني ** خَلِقَاً من رأته أمس قشيبا (٣)

لذا فإنَّ الزّهد في الحياة أفضل من الرغبة فيها كما في قوله :

زاهــدُ في الحــياة أفــضل عند ** الله ممّن يكون فيها رغيبا

ما أغــرَّ الحياة للمرء ما أبـــ ** ـعد آماله وأدنى شعــوبا

ما أقلّ الوفــاء ما أضــعــف ** الطالب في الزّمان والمطلوبا (٤)

ثُمَّ انظر إلى الحِكَم والمواعظ في قوله :

كلّ مــحــبــوب يُــمــلُّ ســوى ** مــأيــلــي الإنسان أو يلد

إنِّــمــا الأبــنــاء إن نجــبــوا ** عُــددُ الآباء والــعَـــــدَدُ

وإذا كـــان الفــتـــى خَـــلَـــفَـــاً ** فَــحُلَى أجــداده جـــُـــدُدُ (٥)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ، ٣٩٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ، ص ٢٨١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٥)لمرجع السابق ، ص ٣١٠.

ثم يتحدّث الشاعر أبوالحسن الحُصْريّ عن رضائه بقضاء الله وقدره إذ يقول :

أنا راضٍ بما قــضــى الله عدلاً ** لستُ ممّا يشاء بالمشمئزّ

وكذاك الحليم يثبت في الجُلَّـــــ ** ى إذا زلَّ الجاهل المتنزّي (١)

ويؤكِّد ذلك بقوله :

رضــاً بــحــكــم الله لا سخطا ** بعـد له يأخــذ ما أعــطى (٢)

ويبدو أحياناً التناقض فهو رغم شكواه من الدّهر التي نجدها في عدد من أبياته مثل قوله :

لــحــا الله دهــراً لايزال يمــين ** وينقُضُ عهـــداً أكَّدَته يمينُ

أيســلبُ نفــس الحُرِّ وهى كريمة ** ويقطع كفَّ المجد وهى يمينُ (٣)

وتحذيره من الدّهر ونوائبه :

واحذر من الدّهر طارقات ** لم يخلُ منها ذرىً وقيْعهَ

وقائع الدّهـــر فيَّ شَــتَّى ** وهذه شَـــرُّها وقــيعه (٤)

وفي موضع آخر :

هو الدَّهر لا يرعى الكريم فيرعوي ** ولاصرفُه يكتفُّ عنه فيكتفي (٥)

رغماً عن هذه الأبيات التي تقدَّمت في الشكوى من الدّهر ونوائبــه نجــده يؤكِّـد أنّ الدّهر ليس له يد فيما حدث لابنه أو أبنائه بل قضاء الله وقدره وذلك في قوله :

ما عقَّني الدّهر ولا عاقني ** الله أبلى وقضى القِسْطَا (٦)

وكذلك في حديثه الذي تقدَّم عن الصَّبر ، فأحياناً يعجز عنه ، وأحياناً يذكر صبره ، وكلّ ذلك قد يُغفرُ للشاعر إذا وضَعنا في الأذهان حالته النفسية السيئة ، بسبب فقد أبنائــه وخاصة عبدالغني ، وفراق زوجته ، وهجرته من وطنه ، وموت أبيه ، وعاهة العمــى ، وغير ذلك ممّا ذكرناه عن عدم استقراره النفسي والأسري بسبب النوائب والابتلاءات التي توالت عليه .

---

(١)أبو الحسن الحَصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٣٤.

(٢) المرجع السابق ، ٣٣٩.

(٣) المرجع السايق ، ٣٨٦.

(٤)المرجع السابق ، ص ٣٩٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٠٦.

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٣٩.

ولكنَّ الشاعر مقتنع بالفناء ، إذ لا أمان من الموت فهو يُقرِّرُ ذلك في قوله :

أين نوح وأين يافث من بعد * * نجاة وأين حام وسامُ

لا أمان من المنون لمن فرَّ ** ولو حازه الأشمَّ شمامُ (١)

فلو كُتِبَ لأحد الخلود ، لما مات نوح نبيُّ الله بعد أن عُمِّر طويلاً ألف سنة إلّاخمسين عاماً (٩٥٠) سنة وبالرغم من ذلك مات ويعلمُ الشاعر ذلك لذا قال :

على تعمير نوح مات نوح ** فنائحة لأمرٍ ماتنوحُ (٢)

وبذكر الموت والعزاء يحضرنا ما نقله لنا المبرّد من عزاء جميل إذ يقول : (وعزّى رجلُ رجُلاً عن ابنه فقال : أكان يغيبُ عنك ؟ قال : كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فأنز له غائباً عنك ، فإنَّه إن لم يقدُم عليك قَدِمتَ عليه) (٣)

ولكن أنَّى لشاعرنا أبي الحسن أنّ يُعزّى بمثل هذا العزاء وهو الذي لايحتمل غياب ابنه عنه طرفة عين :

كنتُ إذا ما غاب مقدار ما ** يرتدُّ طرفي قلتُ قد أبطا

فكيف صبري وأنا موقن ** أن ليس يدنو بعدما شطَّا (٤)

ويذكر أبو الحسن الحُصْريّ الحُسَّاد والشامتين في شعره ، وفى مراثيه خاصة مثل قوله :

شمت الحاسدون بي ** فيك مُذ شطَّت النّوى

قيل ينوون كيدهم ** قلتُ للمرء ما نوى

حال بيني وبينهم ** فالقُ الحبِّ والنَّوى (٥)

ومثله قوله يذكر أنّ موت ابنه شفى حُسَّاده وأعداءه :

شفى موتك الحُسَّاد منِّى والعِدَا ** ولكن نسوني فاسترحت أن ارعووا

وكنتُ إذا أقبلت مدّوا عيونهم ** وإن قالت الدنيا لنجمي أَنر عَوَوا (٦)

---

(١) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني،ص ٣٧١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٣) الكامل ، المبرد ، ج١ ، ص ٣١٣ ، ص ٣١٤.

(٤) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٤٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣.

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٣.

ولمّا كان حديث الشاعر وشكواه من الأعداء يتكرّر في شعره ، آثـرت أنْ أخصَّـه بمبحث عنوانه شكوى وحنين في الفصل الخاص بأغراض أخرى.

ولم يبقَ إلَّا أن نلحق بهذا المبحث بعض الإشارات القليلة والنَّادرة جداً والتي ذكرنـا أنّ أبا الحسن الحُصْريّ أشار فيها إلى فقد أبيه ، فهو وإن لم توجد له قصـائد خاصـة برثاء أبيه ، ولكنَّه يذكره عرضاً في رثائه لإبنه في أبيات قليلة كما ذكرنا منها قوله :

غـير أنّي نـهنهتني الـرزايا ** في أب بـرٍّ وفـي ابن ذكيِّ

شقَّني فـقـد أبي حـين أودى ** فشفى قلبي وجود السميِّ

ثُمَّ لمّا جبرت فهـرُ هـيضت ** بمُضِيّ من هلال مـضيِّ

أفلا أبـكـي عـلى ابن نجيب ** كأبي صـعبِ المرامِ أبيِّ (١)

ويقرن رثاء أبيه مع رثاء ابنه في بيتين آخرين إذ إنَّ ابنه سَميُّ أبيه كما في قوله :

عبدالغنيِّ أبي وابني فقدتهما ** فضامني الدّهر حتى ارتعت بالظام

كانا هما حَرَماي الآمنان فيا ** ويلاه أبدلت إحـلالي بإحرامي (٢)

إضافة إلى الأبيات التى ذكرناها كأدِلَّة على أنّ الشاعر كان ينظم الشعر وهو بالقيروان ـ وذلك في المبحث الخاص بثقافة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ ـ وهـذه الأبيـات رثـاء ووداع لقبر والده قبل أن يرتحل إلى الأندلس ومطلعُها :

أبي نيِّـر الأيَّام بعدك أظلَمَا ** وبنيان مجدي يوم مُتَّ تهدَّمَا (٣)

وفي ختام هذا المبحث فإنَّ فنَّ الرثاء قد برّز فيه الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ فهـو لـم ينظم قصيدة أو قصيدتين في رثاء ابنه وإنّما ديواناً كاملاً رغم صعوبة الـنظم فـي هـذا الموضوع والذي أكَّده ابن رشيق بقوله : (ومن أشدِّ الرّثاء صعوبة علـى الشـاعر ، أن يرثي طفلاً أو امرأة ، لضيق الكلام عليه فيهما ، وقِلَّة الصفات) (٤)

إذاً فهذا ليس رأي الباحث فحسب ، بل هو إصدار حُكْم من أميز النّقاد فـي عصـر الشاعر بل على مرّ العصور .

---

(١) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩.

(٤) العمدة ، إبن رشيق ، ج٢ ، ص ١٥٤.

كما تبيَّن لنا أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْري قد ولَّد وركَّب معاني سامية ، في رثائـــه لابنه ، فهو لم يكتفِ بذكر الصفات والمخايل ، والحزن والتفجّع كما يرى ابن رشـــيق إذ يقول : (ورثاء الأطفال أن يذكر مخايلهم ، وما كانت الفراسة تعطيه فـــيهم مـــع تحـــزُّنٍ لمصابِهم ، وتفجُّع بهم) (١)

بل ذهب شاعرُنا إلى أبعد من ذلك ، ولعلَّ ذلك قد بـــدا جليـــاً مـــن الموضـــوعات والأفكار التي ذكرناها وناقشناها في بداية هذا المبحث . فالشاعر في نظر الباحث يستحق أن يكون في مصافِّ شعراء الرّثاء عموماً وفي مقدِّمة الشعراء الذين رثوا أبناءهم. وحبَّذا لو توفَّرَ باحث لدراسة الرّثاء عند أبي الحسن الحُصْري . حتى يفصِّـــل القـــول أكثـــر ويكتشف أشياء قد تكون غابت عنّا . لاسيّما وأنِّي قد لاحظت وأنا بصـــدد البحـــث عـــن المصادر والمراجع والرسائل لهذا المبحث قلة المعلومات وندرتها خاصة في مـــا يتعلَّـــق برثاء الأبناء ، ورثاء المدن والدول .

(١) العمدة ، إبن رشيق ، ج٢ ، ص ١٥٨.

المبحث الثالث :ــ رثاء الأمراء ورثاء المدن

رثاء الأمراء : كان كلُّ رثاء الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ أوجُلّه لابنه عبــدالغني إذ إنَّ حزنه عليه ملأ قلبه ، وشغل فؤاده . غير أنَّ محقِّــقي ديوانه قد أوردا له قصــيدتين في الرّثاء . ولم تُذْكَرِ القصيدتان في ديوان " اقتراح القريح واجتــراح الجــريح " الــذي خصّصه لرثاء ابنه كما تقدّم ، وإنّما ذُكِرَتا في قسم الرّثاء ضمن أشعاره المتفرّقــة التــي جَمَعَاها من مصادر مختلفة.

وهاتان القصيدتان وإن كانتا في الرّثاء غير أنّ كلَّ واحــدة منهمــا تختلــف عــن الأخرى .

فالقصيدةُ الأولى نلحقها برثاء الأمراء لأنَّه رثا بها المقتدر بن هود وهو أحمــد بــن سليمان بن هود صاحب سَرَقُسْطة ولقبه المقتدر بالله . وقد التقى الشاعر بالمقتــدر بــالله عندما استولى على دانية ، والظاهر أنّ علاقة الشاعر أبي الحسن الحُصْــريّ بالمقتــدر بالله أحمد بن سليمان بن هود ، كانت من أقوى علاقاته بملوك وأمراء الطوائــف إن لــم تكن أقواها على الإطلاق ، فقد أجزل المقتدر بالله للشاعر العطاء ، وأخلص له صــاحبنا أبو الحسن الحُصْريّ في الولاء . حتى إنَّه تَذَكَّره في رثائه لإبنه عبدالغني في بيــت لا يخلو من مدح إذ نجده يقول :

أين ملك العزيز قد ما وإن تذ ** كر قريباً فأين ملك المعــــزِّ

وابن هودٍ ولاترى كابن هــــود ** كـــان ليث الثغــور يغزو ويُغزي (١)

ويبدو أنَّه قد رثاه بعِدَّة قصائد غير القصيدة التي ذكرناها ، لأنَّ محقِّقى الديوان قــد أوردا نتفاً وأجزاءً من هذه القصائد في رثائه له.

كما أنَّه قد مدحه بقصائد وسنفصِّــل القول عن هذه القصائد في الحديث عن غــرض المدح ونورد هنا بيتاً واحداً هو قوله :

وفــي سَــرَقُــسطةٍ لك دار ملك ** زريت بها على ذات العمادِ (٢)

وقد توفي المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود ســنة (٤٧٤هــــــ) ، فرثــاه الشــاعر أبوالحسن الحُصْري ، ولكن يبدو أنَّ محقّقى ديوان الشاعر لم يعثرا على القصيدة كاملــة فأوردا منها أحد عشر بيتاً .

---

(١) أبو الحسن الحَصْري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٣٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٧.

وقد تذكَّر الشاعر أبو الحسن الحُصْري الملوك القدماء ، والأمم الغابرة وزوال ملكهم ، وفنائهم مثل عاد ، وتبّع ، وتدمُر ، وكسرى ، وقيصر.

وقد جرى أبو الحسن الحُصْري على عادة القدماء في هذه الأبيات (ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال بالملوك والأ عزَّة والأمم السالفة)(١)

ومن ذلك قوله :

وإحدى بناتُ الدّهر تنسفُ أحْدَه ** وتهـدم بالتـدمـير بـنيان تدمُرِ

نبا ناب عادٍ وهو كالليث عادياً ** وماتت مُنَى كسرى الملوك وقيـصـرِ

وما درأت عـن تبّع تبّع له ** صـروف الـرّدى الجـاري علـى كـلِّ قسورِ(٢)

والشاعر أبو الحسن الحُصْري يؤبِّنه في الأبيات التالية ، ويذكر أوصـافه ، ومحاسـنه ، ومجده الذي ورثه عن آبائه وأجداده :

أصمّ وأصمى ثغرة الثغـر حادث ** تحـدُّثناعنه الثقات فتمتري

هو البحر في ذا الخطب أعطاك دُرّه فقل للسان انظم وللدّمع فانثرِ**

أجدُّك بزّ الدّهر شـهب بزاته ** وعزّ معزّ الدولة بن المظفَّـرِ

أعزَّ من اقتاد الخميس إلى الوغى ** وأكرم من يُدعْى له فوق مِنبْرِ (٣)

كما يتعجَّب الشاعر لعدم حركة الأرض وميلها ، وتفطُّر السماء وتشقُّـقها حزناً عليه :

مضيت فما للأرض بعدك لم تمد ** وما لسماء المجد لم تتفطَّرِ (٤)

كما أورد المُحَقِّقان له أبياتاً من قصيدة أخرى في رثاء آل هود والمقتدر بالله أيضاً منها :

فغبت عَنْ مجلـس العزاء على ** رغمي وإن كان مقولي حضره

يا أهـل هـودٍ إذا الورى حُسبوا ** من صَـدَف البحر كنتم دُرره

يا كـرماء الـزمان لسـت أرى ** حجوله غيركم ولا غـرره (٥)

---

(١) العمدة ، لإبن رشيق ، ج٢ ، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، الشركة الدولية للطباعة والنشر ، ص ٨٣٦، (بدون تاريخ).

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٨.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٩.

فهو في الأبيات السابقة يعزّيهم ويمدحهم . واصفاً آل هود بدُرَرِ البحر ، وأنَّهم كرمـــاء ، وأنهم غرّ محجلون فهم أعلامُ زمانهم ومـمَّا ورد في ديوانه أيضاً جــزءً مــن قصــيدته البائية في رثاء المقتدر بن هود أيضاً والتي يقول فيها :

تنزّه عــــن تبعات الملوك ** فخــفّ عــلى الملك الكاتبِ

فقــدنا الربيع أبا جعفـــر ** فلادرَّ خلـــــف على حالبِ

لبست البياض ولولا الخلاف ** لســوّدت ثــوبي كالــرَّاهبِ (١)

وفي البيت الأخير يتَّضح أنَّ البياض هو لباس الحزن عند الأندلسيين ، ولــذلك لا يريــد الشاعر لبس السواد حتى لا يخالفهم.

ويُقرُّ الشاعر في رثائه للمقتدر بالله بفضله عليه وأن صنائعه لا تُحْصَى يقول :

ففضلُك من لي بإ حصائه ** وفي بعضه علّة الحاسب (٢)

وأورد المحقِّــقان بيتين قالهما الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ في بني عبَّاد ـــ ملوك إشبيلية ـــــ وكنَّا قد نوّهنا إلى أنَّ شعره في بني عبّاد حُكَّام إشبيلية وخاصة المعتمد قد أخذته يدُ الضياع . والبيتان اللّذان قالهما في موت المعتضد وولاية المعتمد وهما :

مات عبّاد ولكن ** بقي الفرعُ الكريم

فكأنَّ الميت حيّ ** غير أنّ الضاد ميم (٣)

هذا ماكان من رثاء الشاعر أبي الحسن الحُصْري للملوك والأمراء ، ويجدر بنـــا أن ننوّه إلى أنّ هذا النوع من الرّثاء كان شائعاً في عصر الشاعر (القرن الخامس الهجري) وما سبقه عند شعراء المشرق وشعراء الأندلس .

رثاء المدن :ـــ

أمّا القصيدة الثانية في الرّثاء فهي ملحقة برثاء المدن ، ومكمِّلة لهذا المبحث ، إذ إنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ يندُبُ فيها مدينة القيروان ، ويصف ماحلَّ بها وبأهلهـــا بعــد نكبتها وتخريبها على يد الأعراب سنة (٤٤٩هــــ) وقد تقدَّم الحديث عــن ذلــك فــي المبحث الثاني من الفصل الأوَّل وهو عصر الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ .

---

(١) أبوالحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

ورثاء المُدن والدُول وإن كان الدكتور شوقي ضيف يرى أنّه قد تحدّث عنه الشعراء ، قبلَ شعراء الأندلس ، ووجد في الأدب العربي وهو محقّ في ذلك إلّا أنَّ الباحث يـــرى أنَّ هذه اللونية من الرّثاء قد تطوَّرت ، وازدهرت ، وانتشرت بفضل شعراء الأندلس .

يقول الدكتور شوقي ضيف : (وليس هذا الضربُ من الرّثــاء جديــداً فقــد بكـــى الخريمي وغيره بغداد حين رماها طاهر بن الحسين قائد المأمون بالمجانيق فـــي حربـــه لأخيه الأمين ... وبكاء ابن الرومي للبصرة حين خرّبها الزّنج وسفكوا دماء أهلها ذائـــع مشهور) (١)

هذا النص من حديث الدكتور شوقي ضيف في رثاء المدُن أمّا رثاء الدُول فهو يـــرى أنَّه قديم حيث يقول :

(وبكاء الدُول الزائلة قديم في الشعر العربي ، منذ الأسود بن يعفر الشاعر الجاهليّ وبكائه على المناذرة أمراء الحيرة ، وبكاء البحتري للفرس في سينيته مشهور) (٢)

ولكن عند شعراء الأندلس نجد أنّ هذا الضَّـــرب من الشعر ظاهر حتى يكاد يكـــون غرضاً منفصلاً عن الرّثاء ، وإذا ما ذهبنا نحصي الشعراء الذين رثوا المدُن أو الدول قد يدخلنا ذلك في حرج بأن لا تسعفنا الذاكرة لذكرهم جمعياً ، ولا بأس من ذكر عدد مـــنهم كنماذج لا على سبيل الحصر ، فقد رثا ابن رشيق وابن شرف مدينة القيروان ، ونونيـــة أبي البقاء الرّندى في رثاء الأندلس مشهورة كما رثا ابن عبدون بنـــي الأفطـــس ، وابـــن اللبانة بني عبّاد ، وإذا رجعت إلى دواوين هؤلاء الشعراء تتبـــيّن صـــدق مـــا ذكرنـــاه ، وكنموذج لذلك نذكر أبياتاً من رثاء ابن شهيد لقرطبة :

فلمثل قـــرطبةٍ يقلُّ بكاء من ** يبكي وبعينٍ دمـــعها متفجِّرُ

دارُ أقال الله عـــــــثرة أهلها ** فتبربروا وتعـــرَّبوا وتمصَّروا

في كلّ ناحية فـــــريق منهم ** متفـــــــطِّر لفـــراقها متحَيِّرُ

عهدي بهم والشمل فيها جامعُ ** من أهلها والعيش فيها أخضرُ (٣)

---

(١) فصول في الشعر ونقده ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثانيـــة ، (بـــدون تـــاريخ) ، ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١.

(٣) ديوان ابن شهيد ، جمعه وحقَّقه يعقوب زكي ، راجعه الدكتور محمود علي مكـــي ، دار الكتـــاب العربـــي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ١٠٩ ، ص ١١٠، (بدون تاريخ) .

وعدد من ذكرناهم من الشعراء الأندلسيين الذين رثوا مُدنا أو دولاً كافٍ للدّلالة على أنّ ظهور هذا النوع من الرّثاء وُجد في الأندلس أكثر من وجوده في أيِّ مكان آخر . ولعلَّ من أسباب ذلك ما يراه الدّارس لتاريخ الأندلس من صراعات وحروب وغارات خاصة بين العرب المسلمين والأسبان النصارى لاسيما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وما تلاهما بعد ذلك من استحواذ الأسبان على مُدن الفردوس المفقود مدينة تلو الأخرى. بعد أن دامَ ملك المسلمين بها زهاء الثمانية قرون .

ولمَّا كان ابن رشيق ، وابن شرف من أبرز أدباء ذلك العصر ، فلابأس أن نورد أبياتاً من رثائهم للمدينة ، ووصف مأصاب أهلها ، لعلَّ ذلك يعيننا في المقارنة بين مراثي أدباء معاصرين للحصري ، ومرثيته هو في رثاء القيروان :

يقول ابن رشيق في وصف علماء القيروان وذوي الفضل والتُّقى متحسِّراً عليهم :

كم كان فيها من كرامٍ سادةٍ ** بيضِ الوجوهِ شوامخِ الإيمانِ

متعاونين على الديانةِ والتُقى ** للهِ في الإسرارِ والإعلانِ

ومهذَّبٍ جمِّ الفضائلِ باذلٍ ** لنوالهِ ولعرضهِ صَوّانِ

وأئمةٍ جمعوا العلومَ وهذَّبوا ** سنَنَ الحديثِ ومُشْكلَ القرآنِ

علماء إن ساءلتهم كشفو العمي ** بفقاهةٍ وفصاحةٍ وبيانِ (١)

ويصف خروج أهل القيروان ، والحال التي كانوا فيها :

خرجوا حفاةً عائذين بربِّهم ** من خوفهم ومصائبَ الألوانِ

هربوا بكلِّ وليدةٍ وفطيمةٍ ** وبكلِّ أرملةٍ وكلِّ حَصَانِ(٢)

ويقارن بين ما كانت عليه القيروان ، وما صار إليه حالها بعد الخراب :

كانت تُعَدُّ القيروانُ بهم إذا ** عُدَّ المنابرُ زهرة البلدان

وزهت على مصر وحُقَّ لها كما ** تزهو بهم وغدت على بغدان (٣)

إلى أنَّ يقول :

---

(١) ديوان ابن رشيق القيروانيّ ، جمع وترتيب الدكتور عبدالرحمن باغي ، دار الثقافة بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٠٦ ، ص ٢٠٧.

أترى الليالي بعدما صنعت بنـــــا ** تقضـــي لنا بتوا صـــلٍ وتَدَانِ

وتعيد أرض القيروان كعـــهـــدها ** فيما مضى من سالف الأزمانِ

من بعـــدما سلبت نضـــائر حسنها ** الأيَّامُ واختلفـــــــت بها فئتانِ

وغـــدت كأن لم تغـــن قطّ ولم تكن ** حــــرماً عزيز النّصر غير مهانِ

أمســت وقد لعب الزمان بأهـــلها ** وتقطَّـــعت بهـــــم عُرا الأقرانِ

فتفرّقوا أيدي سبـــــا وتـــشتَّـــتُوا ** بعد اجتماعهـــــــم على الأوطانِ (١)

أمّا إبن شرف فقد رثا القيروان أيضاً في شعره ونورد من مرثياته للقيروان قوله :

آه للقـــيروان أنَّة شـــجـــــــو ** عن فؤاد بجاحم الحزن يَصُـــلَى

حيـــن عـــادت به الديار قـــبوراً ** بل أقول : الدّيار منهُــــنَّ أَخْلَىَ (٢)

وقال في الحنين للقيروان ، ووصف ما أصابها وحلّ بأهلها من هوان ومذلة :

ياقيروانُ وددْت أنّي طـــــائر ** فأراك رؤية باحـــــــــــثٍ متأمِّلِ

آهاً وأيّةُ آهةٍ تشفـــى جَـــوَى ** قلبٍ بنيران الصـــــــــبابة مْصْطلِي

أبدت مفاتيحُ الخطوب عـــجائباً ** كانت كوامن تحت غـــيـــب مقـــفـــلِ (٣)

وقال يصف خراب القيروان على أيدي الأعراب :

ترُى سيئات القيروان تعاظمت ** فجلَّت عن الغفران والله غافرُ

تراها أُصيبت بالكبائر وحـــدها ** ألم تكُ قِدْماً في البلاد الكبـــائرُ

ترحَّـــل عنها قاطنوها فلاترى ** سوى سائرٍ أو قاطن وهو سائرُ(٤)

إلى أن يقول :

فياليت شعري القيروان مواطني ** أعائـــدة فيـــهـــا الليالي القصائرُ

وياروحـــتى بالقـــيروان وبكرتيٍ ** أراجـــعـــة روْحـــاتها والبـــــواكرُ

كأن لم تكُـــن أيَّامنا فيكَ طْلقَة ** وأوجُـــهُ أيَّـــام الســـرور ســـوافرُ

كأن لم يكن كلّ ولا كان بعضه ** سيمضي به عصر ويمضي المعِاصرُ (٥)

---

(١) ديوان ابن رشيق القيروانيّ ، جمع وترتيب الدكتور عبدالرحمن باغي ، ص ٢١١ ، ص ٢١٢.

(٢) ديوان ابن شرف القيرواني ، محمد بن سعيد (ت ٤٦٠هـــ) ، تحقيق حسن ذكرى حسن ، ص٨٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢.

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٣.

أمّا رثاء الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ لمدينة القيروان فقد استهلّه بقوله :

موت الكرام حياة في مواطنهم ** فإن همُ اغتربوا ماتوا وما ماتُوا

يا أهــل وُدِّي لا والله ما انتكثت ** عندي عهودُ ولا ضاقت مودَّاتُ (١)

ويذهب في أبيات القصيدة مبيِّناً ، ما يكنُّه في دواخله للقيروان وأهلهــا مــن حــبّ وود ، متذكراً أيَّامه بالقيروان ، متغزِّلاً بحسناواتها وذلك في قوله :

كأنَّني لم أذقْ بالقــيروان جنىً ** ولم أقُل ها لأحبابي ولا هاتُوا

ولم تشقني الخدود الحمر في يققٍ ** ولا العيون المراضُ البابلياتُ

أبَعْــدَ أيَّامِنا البيضِ التي ســلفت ** تروقني غــــدوات أوعشيَّاتُ (٢)

ثم نراه يذكر ما تميَّزت به مدينة القيروان ، ويصف لنا طبيعتها ويتَّضح فــي الأبيــات مكانة القيروان في قلب الشاعر من وصفه لها ، إذ لم تكن مسقط رأسه فحسب ، يقول :

ألا سقى الله أرض القيروان حياً ** كأنَّه عبراتي المستهــــــلاتُ

فإنَّها لدَة الجــــــــنَّات تربتها ** مسكيَّةُ وحصاها جوهــرياتُ

إلاَّ تكن في رباها روضــة أنُفُ ** فإنِّما أوجُه الأحباب روضاتُ

أولا يكن نهــــر عذبُ يسيل بها ** فإنَّ أنهارها أيد كــريمــاتُ

أرض أريضةُ أقطــار مباركــة ** لله فيها براهــــــين وآياتُ (٣)

فلا يشمت الأعداء من ما تعرضت له القيروان من دمار ، فإنّ الشَّمس أحياناً تختفي ثم تظهر مرة أخرى . متمنِّــياً أن تعود القيروان لسيرتها الأولى ، ولسابق عهدها ، **ومــا** جاورها من مناطق مثل : صبرة ، والمعلَّى .... الخ

لا يشمتنَّ بها الأعداءُ إن رُزئت ** إنَّ الكسوف له في الشَّمس أوقاتُ

ولم يزل قابض الدنيا وباســطها ** فيما يشــــاء له محــو وإثباتُ

هل مطمع أن تردَّ القــيروان لنا ** وصــبرةُ والمُــعَلَّى فالحــنيّاتُ (٤)

وإذا تأمَّلت في مراثي ابن رشيق وابن شرف التي أوردنا أبياتــاً منهــا ، وقارنتهــا بمرثية أبي الحسن الحصري ، وجدت تشابهاً خاصة في الأبيات التي يتحدَّث فيها هؤلاء

---

(١) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٥.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسُها .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٦.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

الشعراء عن أيامهم بالقيروان ، ووصف طبيعتها ، وكذلك الأبيات التي بيَّنوا فيها ما أُصيبت به المدينة من أحداث ، وهم يتمنون أن تعود للقيروان أيَّام مجدها وعزها.

وهكذا نكون قد وصلنا ، إلي ختام حديثنا عن الرّثاء عند أبي الحسن الحُصْريّ وهو من أهمِّ الأغراض في نظر الباحث ، وأوفرها مادة ، لذا لم تخلُ دراسته من إطالة قصدنا بذلك أن نستوفي جميع جوانب هذا الغرض المهم ما أمكننا ذلك . ولايُخْفِي الباحث وهو بصدد البحث عن المراجع والمصادر لهذا الفصل ، ندرة الدراسات المتخصِّصة سواء كتب أو رسائل جامعية حول الرّثاء عامة ورثاء المدن والدول بصفة خاصة وكذلك رثاء الأبناء . ممَّا يستدعي بذل جهود أكبر ودراسات أكثر حول هذا الموضوع . والشاعر قد أجاد في مرثياته ، ساعده صدق عاطفته وثقافته الدينية ، التي اتَّضحت في اقتباسات معاني الآيات والأحاديث وقد تلمّس الشاعر خُطى من سبقوه ، ولعلّه اطّلعَ على ما نُظم من الرّثاء عامة ورثاء الأبناء بصفة خاصة ، فإنَّ بعض المعاني والأساليب قد وجدت عند أبي تمام ، وإبن الرومي ، وأبي ذؤيب الهذلي ، والمعرِّي ، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه . كما ندب الشاعر مسقط رأسه القيروان ، واصفاً ماحلَّ بها وما أصابه في اغترابه عنها من شوق وحنين للقيروان وأهلها . كما وجدنا له أجزاء من قصيدتين أو ثلاث في رثاء المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود أمير سَرَقُسْطه في عصر ملوك الطوائف بالأندلس .

الفصل الثاني

الغزل

المبحث الأوّل :ــ معشَّرات أبي الحَسَن الحُصْريّ الغزليّة .

النقاد القدامى والمحدثون جعلوا للشِّعر أركاناً وقواعد ، والغزل أحدُ هذه الأركان ومن قواعده الطربُ كما يرى ابن رشيق إذ يقول : (وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بنُي الشِّعر على أربعة أركان وهى : المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والرّثاء) (١)

ويقول : (وقالوا : دواعي الشِّعر أربعة : الرّغبة ، والرّهبة ، والطرب ، والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشّوق ورقَّة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء ، والتوعُّد والعتاب الموجع) (٢)

غير أنّ الغزل لا يقوم على الطرب وحده ، فالإعجاب مثلاً سواء بجمال المحبوبة وأوصافها الخَلْقيَّة ، أوصفاتها الخُلُقيَّة كثيراً ما ألهم الشعراء ، والأدباء ، ولعلَّ ذلك كان نواة للانقسام إلى شعر عذريٍّ عفيف ، وشعر في الغزل الفاضح الصريح .

وقد آثر الباحث أن يتحدَّث عن قصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ الغزلية ، مقسِّماً أسلوب العرض والتحليل إلى قسمين :

القسم الأوَّل : عَرض وتحليل إجمالي لقصائد أبي الحسن الحُصْريّ في الغزل ، مع محاولة إلقاء نظرة على الغزل في عصره ، وهل وُجِدَ من تخصّص من الأندلسيين في الغزل ؟ كما وجد ذلك عند شعراء المشرق ؟

القسم الثَّاني : خُصّص لقصيدة (ياليل الصَّب) ومقدِّمتها الغزلية وسيأتي ذكر الأسباب التي دعتنا إلى تخصيص هذه القصيدة دون غيرها .

وقصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ الغزلية ، المضمَّنَة في ديوانه أكثر من قصائده في المدح ، غير أنَّه اتَّبع في قصائده الغزلية طريقة قيَّد بها نفسه بأن ينظم عشرة أبيات في كلِّ قصيدة ، وهذه القصائد مرتَّبة على الحروف الهجائية ، فالقصيدة الأولى يبدأ كلُّ بيت من أبياتها ، بحرف الألف وينتهي بالحرف نفسه ، والقصيدة الثانية يبدؤها بحرف الباء ، وينهيها بالحرف نفسه ، وهكذا إلى نهاية الحروف الهجائية ، ورُتِّبت القصائد هذه المرَّة على الترتيب الهجائي المشرقي المعروف ، وليس على الترتيب المغربي كما رأينا في ديوانه في الرّثاء. وبهذا الترتيب لقصائده في الغزل . يكون للشاعر أبي الحسن

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ،ج١ ، ص ١٢٠.

(٢) المرجع السابق ، الجزء نفسه ، والصفحة نفسها.

الحُصْريّ ديوان مصَغّر في الغزل يحوي مُعشّراته ، يمكن أن يطلق عليه ديوان المعشّرات . وقد اشتمل ديوان المعشّرات هذا على تسع وعشرين قصيدة على عدد حروف الهجاء ، لأنّه عدَّ لام الألف " لا " حرفاً ، وكلُّ قصيدة فيه تحتوي على عشرة أبيات في موضوع واحد هو الغزل أو النسيب .

وأوّلُ معَشّراته مثلاً يبدؤها بحرف الألف فيقول :

أمالك يا داء المحبِّ دواءُ ** بلى عند بعض النّاس منك شفاءُ

أسير العدا بالمال يفديه أهله وما لأسير الغانيات فداءُ**

أسود الشرى في الحرب تحمي نفوسها ** بنجدتها مالم تَعِنَّ ظباءُ (١)

ويستمرُّ في القصيدة مبيِّنا أنّ الهوى والعشق لايمكن مغالبتهما كما أنّه لا قدرة له على الصَّبر ، ومفارقة من يُحب ، وأنَّ قلبه في يد من يُحِبُّه ، يقلِّبه كيف يشاء ، وندم على أنّه كان يلوم العشاق ، لأنّه لمّا أحَبَّ عرف ما يفعله الهوى بالعاشقين .

أمّا البائية وهى القصيدة الثانية والتي يبدأ كلُّ بيت منها بحرف الباء وينتهي بالحرف نفسه فيقول فيها :

بكت رحمةً للصبّ عين عدوِّه ** فما لحبيب القلب لا يرحم الصَّبَّا

بخيلٌ بأنْ يحيا القتيل بلحظه ** وأن يرد الظمآن بارِدَهُ العذبَا (٢)

وهو يصف في هذه القصيدة نفسها عيني محبوبته ، ويشبِّهها بالظبي وذلك في قوله :

بعينين هاروتيتين كأنّما ** يجرِّد نحوي منهما صارماً عَضْبَا

براني هوى الظبي الغرير وقادني ذليلاً وكم راض الهوى جامحاً صَعْبَا (٣)**

وفي مطلع أو مقدِّمة إحدى معشّراته هذه يمزج الحب بالشكر مبيِّنا حُبَّه لهذه المحبوبة لدرجة الثمالة ، وأنّه أُعْجِبَ بثلاثة أشياء فيها بردفيها الممتلئتين وخصرها النحيل ، وسحر عينيها :

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢١٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٣.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ثملتُ بذكراها وطبتُ كشارب ** لها بالمثاني تارةً والمــثالثِ

ثلاث سلبنَ القلب حسن عزائه ** وألبسْنِى ثوبي خــليع وناكثِ

ثقالة ردفيها ، ورقَّة خصــرها ** وسِعْرُ العيون القاتلات البواعثِ (١)

والباحث عند ما يجد مثل هذه الأوصاف الحسية الدقيقة ، يتساءل كيف ذلك وقد كــان الشاعر أعمى ؟ فالغزل في شعر العميان ، أمثلته كثيرة . فهم كثيراً ما يردِّدون أنَّهــم يرون الحياة بما فيها ببصائرهم لا بأبصارهم ، (وقد تحدَّث بعض الشعراء العميــان عن انتقال حاسة البصر إلى البصيرة في سياق افتخارهم بالعمى ومن هؤلاء الشــاعر بشار بن برُد حيث يقول (٢):

إذا وُلِدَ المولود أعمى وجدته ** وجدّك أهدى من بصير وأحولاَ

عميت جنيناً والذكاء من العمى ** فجئت عجيب الظنّ للعلم معقلا (٣)

ومن ذلك قول أبي العلاء المعرِّى :

سوادُ العين زاد سواد قلبي ** ليتَّــفقا على فهم الأمور (٤)

وأخذ أبو الحسن الحُصْري نفسه هذا البيت من المعرِّى ولم يبدل فيه إلَّا كلمة واحدة فقد جعل " يجتمعا " مكان " يتَّــفقا "

يقول :

سواد العين زاد سواد قلبي ** ليجتمعا على فهم الأمور (٥)

ويضع الباحث عِدّة احتمالات للوصف الحسّى الدقيق لمفاتن المحبوبة عند الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ رُغم عماه :

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢١٥.

(٢) انظر النص والأبيات في قراءات في الشعر الأندلسيّ، الأستاذ الدكتور صلاح جرّار ، الطبعــة الأولــى ، (٢٠٠٧م ــــ ١٤٢٧هــــ)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمّان ــ الأردن ، ص ١٩٤.

(٣) ديوان بشّار بن بُرد ، شرح حسين حموي ، المُجَلّد الثاني ، دار الجيل بيروت ، الطبعــة الأولــى ، (١٤١٦ ــــ ١٩٩٦م) ، ص ٤٧٢.

(٤) أورد هذا البيت صاحب كتاب قراءات في الشعر الأندلسيّ ، الدكتور صلاح جرّار ، ص ١٩٤ ونسبه للمعرِّي وبحثت عنه في سقط الزند ولزوم مالا يلزم للمعرّي ولم أجده.

(٥) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٣٥.

أولها : تشعرنا بعض القصائد أحياناً بأنَّ إحدى هؤلاء المحبوبات اللائي يتحدَّث عنهنَّ قد تكون زوجته ، التي أحبَّها ، وحاول الحفاظ عليها ، ولكنَّها تركتــه وأحبَّــت شــاباً بربرياً ، خاصة عندما يتحدث الشاعر عن الغدر ، والخيانــة ، والفــراق ، والبعــد ، الشوق وغير ذلك . ولكنّه لم يصرِّح باسمها وربما أرد أن يخفي نسبها.

ثانياً : أن يكون الشاعر قد استخدم حاسة اللّمس ، حتى تعــرّف علــى ثقــل أرداف المحبوبة ، ورقة خصرها ، وغير ذلك من المفاتن ، والأوصــاف الحِسِّــية ، ولكــنَّ الباحث لا يجزم بذلك وإن وجد في شعره مايشير إليه مثل قوله :

ولمّا أينعـــت رمانتاها ** ونادى الوصلُ حيّ على القطافِ

تأذَّت فيهما بفمي فقالت ** شمائل عاشـــقٍ وفعال جافِ (١)

لأنَّه قد وجد في شعره أيضاً ما يشير إلى ورعه وأدبه مثل قوله :

وهممــتُ لكن قال لي أدبي ** بالله من شيطانك استعذِ

قالت : عَفَفْتَ فعفت قلتُ لها ** مذ شبت باللذات لم ألذِ (٢)

ثالثاً : الخيال الواسع وماوعاه ، وحفظه ، من أوصاف الشعراء في الغــزل ، كيــف يصفون ؟ وبم يصفون ؟

ولا يخلو شعر أبي الحسن الحصريّ من بعض الأبيات ، التي تُشَمُّ منها رائحــةُ الغزل الصريح ولكنَّها قليلة وغير فاحشة وألفاظها غير نابية ولا بذيئة فنجد الشــاعر يصف ما يدور بينه وبين محبوبته ، مصــــرِّحاً بمفاتنها وما ناله أو حاول أن ينالــه منها مثل قوله :

لمي شفة المحبوب أو ورد خدِّهِ ** مدى أملي لو تمَّ لي ما أؤمِّلُ

لعمري لو قبَّلتهُ كيف أشــتهي ** لأعـــــــطيتُه دنياي لوكان يقبلُ

لهوت به لهو التريف بكأســـــه ** يُولّي بتـــــوقيع المدُام ويَعْزِلُ (٣)

ومثله قوله الذي صرّح فيه بقبيلة محبوبته ، وهو من الأبيــات النــادرة ، إذ نجــد أنَّ الشاعر في غزله يكتفي بالأوصاف الحسِّــيَّة أو الصــفات المعنوية ، أمّا المعلومــات الشخصية كاسم المحبوبة ، وقبيلتها فتكاد تكون معدومة عدا بيتين بقول في أحدهما :

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٢.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٤.

تميميّة ترقي الضجيع بريقها ** إذا عقرب منها على الصَّدْغ دبَّتِ (١)

فهو وإن لم يُصرِّح باسم المحبوبة ، فقد ذكر أنَّها من قبيلة تميم ، وقد ذكرنا في حديثنا عن حياة الشاعر، أنّ زوجته كانت قيسيّة من قبيلة ثقيف مِمَّا يدُلّ على أنّ الشاعر قد أحبّ غير زوجته .

أمّا تصريحه باسم إحدى محبوباته وهى "هند " فقد ورد في قوله :

قالت هي الشيبة وقِّرتُها ** وشيبة المرء تُرى دينه

فقلتُ إنِّي لأريدُ الصِّـبا ** إن كنتِ يا هَندُ تريدينه (٢)

ويتَّضح في أواخر البيتين ولعه بالبديع .حيث جانس بين قوله " ترى دينه" وقوله "تريدينه "

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الغزل عند شعراء الأندلس ، نجد أنّ شعر أبـي الحسـن الحُصْري لم يشذّ عنهم ، ولم يتميَّز إلَّا في الشَّكل والأسلوب أحياناً حيث ذكرنا شـكل قصائده أو معشَّراته والأسلوب الذي اتَّبعه فيها ، كما أنَّنا لم نجد شاعراً بعينه تخصّص في الغزل كما وجد في العصرالأموي أوالعباسي مثلاً . يقول الدكتور سعد إسـماعيل شلبى ، (ولم يقف الشعراء غزلهم على إنسانة معينة ، بل تنقَّـلوا به بين الفتيات تنقُّل الفراش بين الأزهار) (٣)

ولعلّ ذلك قد وجد عند شاعرنا أبي الحسن الحُصْريّ حيث رأينا في أشعاره أنَّـه يتحدَّث عن أكثر من محبوبة .

ويقول الدكتور سعد أيضاً : (ولم يتخصّص شاعر للغزل الأندلسيّ كما تخصّـص شعراء بني عذرة في العصر الأموي ، أو كما تخصّصَ العباس بـن الأحنـف فـي العصر العباسي وأتى ــ أغلبه ــ في الأندلس حسياً يردّد الأوصاف المشرقية) (٤)

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسيّ ، الدكتور سعد إسماعيل شلبى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ، (بدون تاريخ) ، ص ١٣٨.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

كما تعلَّق أبو عبدالله بن الحدّاد شاعر المريّة زمن المعتصم بن صمادح بفتـــاة نصـــرانية اسمها (نويرة) . كما تجد في عدد من دواوين شعراء الأندلس قصائد غزليـــة متعـــدِّدة ، ينطبق على أكثرها الأوصاف المتقدِّمة ، ومن قراءتي لكلِّ معشَّرات الشاعر أبي الحســـن الحُصْريّ في الغزل ، يمكن أن نطلق عليها حُكْماً إجمالياً عاماً وهـــو أنّ غزلـــه غـــزلاً عذرياً يتحدَّث فيه عن الحبِّ والهوى ، وما عاناه هو من هذا العشق ، أو مبيّنا أوصـــاف محبوبته أو محبوباته على الأصح لأنّه تحدّث عن أكثر من محبوبة ، كما تحـــدّث عـــن الصدّ والهجران ، والإقبال في بعض الأحيان . وما أصابه ممَّا يصيب العاشقين عامة من أرق وسهر ، وفكرٍ دائم ، وفؤادٍ مشغولٍ بهوى المحبوبة ــ كما صَرَّحَ فـــي عـــدد مـــن الأبيات بأوصاف خَلْقِيَّة أو جسدية لهذه المحبوبة ، واصفاً نفسه بالورع والأدب تـــارة ، ومُصرِّحاً في بعض أشعاره بغزله الذي يقرِّبه من دائرة شعراء الغـــزل الصـــريح تـــارة أخرى ، ولكن كما ذكرنا فإنّ ذلك قليل في شعره ، ولم يفصِّـــل القول فيه حتى يصُـــدق القول أو الحكم عليه بالفحش.

ومّما تجدر الإشارة إليه أنّ محقِّقي ديوان أبي الحسن الحُصْريّ قد أوردا في ديوانه قصيداً مخمَّساً في النسيب كلّ تخميسة تبدأ بحرف من حروف الهجاء . وتبدأ كل شـــطرة من الشطرات الأربع بحرف هجاء وتنتهي بالحرف نفسه ، أمّا الشطرة الخامســـة فـــالتزم فيها قافية اللام فهو يسير في هذا القصيد المخمَّس على النحو التالي :

أبُثُّك مافي النَّفس لست أرائي ** أنا بعض قتلى حُبِّك الشهـــــــداءِ

ألفتُ البكا إذ عزّ فيك عزائي ** إلى أن بكت أرضي معي وسمائي

وإنِّي لراضٍ عنك في هذه الحال

بفيض دموعي فيك سكباً على سكب ** بعطفك في ذاك الرِّضا قبل ذا العتْبِ

بما بيننا مـــن عفَّة زمن الـــقُـــرب ** بما جرَّدت عيناك من صارمٍ عَضْـــبِ

أجرني من الخدِّ المطرَّز بالخال (١)

وهكذا يستمرُّ في هذه القصيدة وفي بقية قصائده المتفرقة في الغزل والتي ألحقناها بالمعشَّرات إذ إنَّ الموضوع واحد وهو الغزل كما أنَّ ذات الأفكار والمعاني في معشَّراته

(١) أبو الحسن الحُصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠٧.

تتكرر في بقيّة قصائده الغزلية ، ولكنّنا نجدُه في قصيده المخمَّس هذا يكثر من الاعتـــذار ومحاولة التقرُّب إلى المحبوبة مقرَّاً ومعترفاً بذنوبه وغلطاته مُبدياً تذلله وخضوعه .

كما أورد المحقِّقان نتفاً وأجزاءً من قصائده تتراوح مابين البيتين والعشرة أبيات مثل قوله :

ودّعت من أهوى بل استــودعــتُها ** قلبي وسرَّ مــدامــعي وزفيــري

فبكت بنرجستين خــفــت علــيهما ** نفسي فلم ألثم بغــير ضــمــيــري

قالت : أترحل والأحبَّــةُ هــاهــنا ** قلت : القضاء كما علمت ضروري

قالت : متى الرجعى فقلت : إذا انتهى مقــدور ربِّ مــقــــدِّر المقـــدور**

(١)

وتوضح لنا الأبيات فكرة جديدة من أفكار الشاعر في غزلياته ، وهى الأسلوب القصصي الحواري الذي يبيِّن ما يدور من حوار بينه وبين المحبوبة . ولحظة الـــوداع ، والفــراق التي تتبيَّنُ فيها مشاعر الحب والهيام لدى كل من المُحِبِّ وحبيبته .

ومن أبياته في الغزل التي تبيِّن أنَّه أعمى أو يتَّضح فيها عماه قوله :

قالت وهبتك مهجتي فخذ ** ودع الفراش ونم على فخذي

وثنت إلى مثل الكثيب يدي ** فأجـــــبتها نعم الأريكة ذي (٢)

فهو لم يهتدِ إلى فخذها إلى أن أخذت بيده ووضعتها على فخذها فأحسَّ باللمس بلينه حتى شبّهه بكثيب الرمل .

وهذان البيتان ممّا يقوِّي احتمال الباحث الثاني الذي وضعه عن وصف الشـــاعر الدقيق لمفاتن المحبوبة مستخدماً حاسة اللمس .

ونختم هذا المبحث بهذه الأبيات من قصيدته الفائية إذ يقول مبيِّــناً أنَّ لحـــاظ المحبوبـــة ونظراتها تسكره ، كما تفعل الخمر بشاربها :

وهبت قواي للحدق الضِّعاف ** وإن كانت بسَفْكِ دمي تكافي

فكان الضَّعفُ قوّتها علينا ** وهل ذا الطبع إلَّا في السُّـــلافِ (٣)

---

(١) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣.

ويمكن أن يخلص الباحث إلى أنَّ الأوصاف التي تغزّل الشاعر بها ، أوصاف تقليدية ، طرقها الشعراء قبله ، ووصفوا وشبَّهوا بها ، مثل تشبيهه للثديين برّ مانتين ، وللعينين بنرجستين ، وكذلك وصفه لشفتي المحبوبة ، وردفيها ، وخصرها ، وغير ذلك من مفاتن المرأة . هذا فيما يتعلَّق بالأوصاف الحسية ، أمَّا وصفه لما يفعله الهوى والعشق بالمحبِّ فيدور معظمه حول السهر ، والأرق ، والشوق للقاء المحبوبة ، والسعي لذلك بشتَّى السُّبُل .

المبحث الثاني : قصيدة ياليلُ الصَّبِّ ومقدِّمتُها الغزليَّة .

هذه القصيدة التي مطلعها (ياليل الصّب) والتي نحن بصدد الحديث عنها ، وعن مقدّمتها الغزلية ، نظمها الشاعرُ معتذراً ومادحاً لأبي عبدالرحمن محمد بن طاهر أمير مرسية .

وقد خصّص الباحث مبحثاً لهذه القصيدة لعِدَّةِ أسباب منها :

١. أنّ هذه القصيدة من أطول قصائده وقد بلغ عدد أبياتها تسعة وتسعين بيتاً ، منها الثلاثة وعشرون بيتاً الأولى في الغزل أطول مقدِّمة غزلية عند الشاعر . وهى التي تهمُّنا في هذا المبحث .
٢. هذه القصيدة قد وجدت اهتماماً من النقاد والأدباء والشعراء بل وحتى أصحاب التراجم ، إذ يوردها أو يورد أبياتاً منها عدد ممَّن ترجم للشاعر أبي الحسن الحُصْري القيرواني كنماذج لشعره الجيِّد في الغزل والمدح.
٣. كلف عددُ كبير من الشعراء بهذه القصيدة ، فعارضونها وزناً ، وقافية ، وموضوعاً وقد ذكر محقِّقا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ حوالي أربعين من الشعراء ممّن عارضوا هذه القصيدة ، وأوردا معارضاتهم ، وهذا العدد وحده وإن لم يُضف إليه من لم يذكرهم المحقِّقان كافٍ للدّلالة على أهمية ومكانة هذه القصيدة ومكانة شاعرها .

فهذه القصيدة إضافة إلى مراثيه ، ومدائحه كانت أحد أسباب شهرته ، فلا يُذكر الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ حتى يقال شاعر " ياليل الصب" .

أضف إلى ما تقدَّم حلاوة ألفاظها ، ومعانيها ، وجرسها الموسيقى فهي من بحر (الخبب)

وفيمايلي نورد المقدِّمة الغزلية من القصيدة والتي عدد أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً إعجاباً بها ، وإتحافاً للقارىء ، ولقيمتها الأدبية ، وقد اقتصرتُ على المقدِّمة الغزلية فقط خشية الإطالة لأنَّ القصيدة بها تسعة وتسعون بيتاً ، وهى موجودة في ديوان أبي الحسن الحُصْريّ ، وكذلك معارضاتها.ويتخلَّص الشاعر في البيت الرابع والعشرين إلى غرضه وهو المدح والذي سوف نتحدَّث عنه في الفصل التالي :

يقول الشاعر :

١	ياليلُ الصَّبِّ متى غـــــدُه	**	أقيامُ السَّـــاعةِ مـوعدُهُ
٢	رقــد السُّــمــار فــأرَّقــه	**	أســـــف للبين يــردِّدُهُ
٣	فبكــاه النَّجـــــمُ ورقَّ له	**	ممَّـــا يرعـــاه ويرصـــدُهُ
٤	كلف بغـــزال ذي هــيف	**	خــوف الواشــين يُشرِّدُهُ
٥	نصبــت عيناي له شــركاً	**	فــــي النَّوم فعــزَّ تصيُّدُهُ
٦	وكفى عجــباً أنِّي قـــنص	**	للسِّـــــرب سباني أغيدُهُ
٧	صــنمُ للفتــنةِ منــتصبُ	**	أهــواهُ ولا اتــعـــبَّــدُهُ
٨	صــاحٍ والخمرُ جــنى فمهِ	**	ســكــران اللحظ معربدُهُ
٩	ينضــــو من مقلته سيفاً	**	وكأنَّ نعاســـــــاً يغمدُهُ
١٠	فيــُريــقُ دم العــُشَّاقِ به	**	والويل لمـــــن يتقلَّدُهُ
١١	كــلا لاذنــب لــمن قــتلت	**	عيناه ولم تقـــــتل يدُهُ
١٢	يامــــن جحدت عيناه دمي	**	وعلى خـــــدَّيه تورُّدُهُ
١٣	خدّاك قــــــد اعترفا بدمي	**	فـــعلام جفونك تجحدُهُ
١٤	إنِّى لأعيذك مـــــن قتلي	**	وأظُنُّـــك لاتــتـعــمّــَدُهُ
١٥	بالله هــب المشــتاق كرى	**	فلعــلّ خــيالك يُســـعدُهُ
١٦	ما ضـــرَّك لو داويت ضنى	**	صــبٍّ يــدنــيـك وتبعدُهُ
١٧	لم يــبق هــواك له رمــقاً	**	فليبك عليه عـــــودَّهُ
١٨	وغـــــداً يقضي أو بعد غدٍ	**	هل مــن نــظــر يتزوَّدُهُ
١٩	يا أهل الشــوق لنـــا شرقُ	**	بالدّمــع يفيض مــوْردُهُ
٢٠	يهـــوى المشتاق لقاءكم	**	وظــروف الــدّهر تبعدُهُ
٢١	ما أحــلى الوصل وأعذبه	**	لــولا الأيَّــام تُــنَــكّــدُه
٢٢	بالبين وبالهجــــــران فيا	**	لفـــــؤادي كيف تجلّدُهُ
٢٣	الحــبُّ أعــفُّ ذويــه أنـــا	**	غــــيري بالباطل يفسدُهُ
٢٤	كالــدّهر أجــلُّ بــنيه أبو	**	عُبــد الرحمن مُـــــحمّدُهُ

(١)

(١) انظر القصيدة كاملة ، أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقـي والجيلانــي ، صــفحات ، ١٤٣ .١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. (من صفحة ١٤٣ وحتى صفحة ١٤٩).

ونلاحظ أنَّ مطلع القصيدة مناجاة وسؤال لليل من صبٍّ عاشقٍ نام مسامروه ، فطـال ليلهُ أرِقاً مسهَّداً ، بسبب عشقه لغزال أهيف ، نصب له شركاً لاصطياده ، ويصّور ذلك قول الشاعر :

ياليلُ الصَّبِّ متى غدُهُ ** أقيامُ السَّاعةِ موعدُهُ

رقد السُّمارُ فأرَّقــَّـه ** أســفُ للبين يردِّدُهُ

فبكاه النَّجــمُ ورقَّ له ** ممَّا يرعاهُ ويرصدُهُ

نصبت عيناي له شركاً ** في النَّوم فعزَّ تصيُّدُهُ (١)

ثمّ انظر إلى الصورة التالية ومافيها من جمال في صـياغة أبياتهـا ، وروعـة معانيهـا وإشراقها وتشبيهاتها إذ يقول :

صاحٍ والخمرُ جنى فمِهِ ** سكرانُ اللَّحظ معربدُهُ

ينضو من مقلته سـيفاً ** وكأنَّ نُعـاسـاً يغمدُهُ

فيريق دم العشـَّـاق بهِ ** والـويل لمن يتـقلّدُهُ

كلاَّ لاذنب لمن قتــلت ** عيناه ولــم تقتل يدُهُ (٢)

وكأنَّه قد نظر إلى قول بشَّار بن بُرد في البيت الأخير حيث يقول :

إنَّ العيون التي في طرفها حور ** قتلننا ثُمَّ لم يحيين قتلانا (٣)

ومن المعاني التي حاول المعارضون تقليده فيها وأورد المحقِّقان بعضها قوله :

يا من جحدت عيناه دمي ** وعلى خـــديهِ تورُّدُهُ

خدَّاك قـــد اعترفا بدمي ** فعلام جفونك تجحدُهُ (٤)

قال شوقي معارضاً : **جحدت عيناك زكي دمي ** أكذلك خدّك يجحدُهُ (٥)**

وقال علي الجارم : **هذا دمي في وجنتيك عرفته ** لا تستطيع جحوده عيناك (٦)**

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٤٣.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان بشَّار بن بُرد ،ص ٥٢٤. والمعروف أنّ هذا البيت من نونية جرير بن عطية التى يهجو فيها الأخطل غير أنّ بشّاراً ضمَّنه نونيته تضميناً وأبْدَلَ فيه كلمة واحدة وهى قوله " حَوَرُ " مكان " مرض " في بيت جرير وقد يروى لجرير أيضاً ب "حور " مكان " مرض "، انظر ديوان جرير شرح محمد بن حبيب تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، المجلد الأوّل ، دار المعارف بمصر ، (لم يذكر تاريخ الطبعة) ، ص ١٦٣.

(٤) أبو الحسن الحصري القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٤٣.

(٥) الشوقيات ، أحمد شوقي ، الجزء الثاني ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٧٠م ، ص ١٢٢.

(٦) ديوان الجارم ، على الجارم بك ، الجزء الثاني ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصـر (بـدون تـاريخ) ، ص ١٢٧.

الفصل الثالث

المدح

المبحث الأوّل :ــ مدح الأمراء والوزراء .

أمّا مدح الملوك والأمراء فشائع مشهور في الأدب العربي وخاصة في العصرين الأموي والعباسي . والأندلسيون وشاعرُنا واحد منهم في كثير من الأغراض يحاولون أن ينتهجوا نهج المشارقة ،

وممَّن أقرّ بالمنهج التقليدي الدكتور شوقي ضيف إذ يقول : (كان الأندلسيون يُوَلُّون وجوههم دائماً نحو المشرق يقلِّدون شعراءه في مذاهبهم ، ونماذجهم ، ولعلّ من أجل ذلك شاعت عندهم فكرة معارضة قصائد المشارقة .)(١)

ويُعَدُّ المدح من أقدم الموضوعات لدى الشعراء قدماء ومحدثين ، والدواوين الشعرية ، وكتب الطبقات ، تجد فيها مدائح متعدِّدة ، ومتنوِّعة ، وغالباً ما نجد الشاعر يمدح إما طمعاً في العطاء والمكانة والتقرّب من الممدوح ، وهذا النوع من المدح يكون للملوك والأمراء ، الوزراء والعظماء ، وأصحاب النفوذ ، فهو مدح تكسّب ومصالح ، وإمَّا أن يكون المدح عن عاطفة صادقة وإعجاب بالممدوح كرمه ، أو عدله ، أو شجاعته إلى غير ذلك من الصفات التي تستوجب المدح .

وكلا النوعين من المدح قد وُجِد عند شاعرنا أبي الحسن الحُصْريّ ، فكثيراً ما تضطره الظروف للمدح من أجل المال ، خاصة وأنَّنا قد عرفنا في حياته
ما قاساه من عوزٍ ، وغربةٍ ، وعمى ، وموت أبنائه ، وفراق زوجته ... الخ كلّ ذلك وغيره ألجأهُ للمدح من أجل أن يأخذ عطايا الأمراء وجوائز الوزراء.

والشاعر نفسه لم يخف أنّه يضطرٌ اضطراراً لمدح من لا يستحقٌ المدح ، وقد وُجد ذلك في شعره ، (ولم يخفِ تذمُّره من المجتمع الأندلسيّ ومافيه من نفاق وفساد أخلاق ، ومن اضطراره إلى مدح ملوك لا يستحقون المدح في سبيل دُريهمات يقيم بها أود عائلته وهى مالٌ حرام) (٢)

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، مصر ، (بدون تاريخ) ص ٤٣٤ ، ص ٤٣٥.

(٢) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٧١.

ومن شعر الشاعر الذي يعترف ويقرّ فيه بذلك قوله :

وسمَّيتُ باسم الحرِّ عبداً مدحته ** فقلت كريم الجدِّ وهو ابن مقرفِ

وذمتُ أناساً لو حلمتُ لجهلــهم ** ربحــت ونقَّــفتُ الذي لم أنقِّــفِ

وعشت بمغصوب الملوك كأنَّني ** أموت طــوى لــو عِفْتُهُ للتعفُّــفِ (١)

وإذا ما ذهبنا نتتبعُ من مدحهم الحُصْري نجد أنَّه ابتدأ مدحه ببني عبّاد وخاصة المعتمد ، وكانوا ملوك إشبيلية ويبدو للباحث أنَّها أوّل مملكة من ممالك الطوائف حــلّ بهــا أبوالحسن الحُصْريّ عند قدومه إلى الأندلس .

يقول في بني عبّاد :

وبلوت الناس فلست أرى ** كبني عبّاد من أحدِ

القوم بحار مســجورات ** محفـــوفات بالزبدِ

لم يعــدم واردها درر ال ** آداب ولادُرر الصفــدِ

أبني عبّاد ما حــسُــنت ** إلَّا بكم الدّنيا فقـــدِ (٢)

فهو يصفهم بأنَّهم أحسن الناس ، وأنَّهم بحار ذاخرة بالعلم والكرم مليئة بالدرر ، وأنّ حسن الدنيا وجمالها لا يكون إلَّا بهم .

ومن مدحه للمعتمد بن عبّاد مقارناً بل ومفضلاً له أحياناً على أمــراء وملــوك الدولتين الأموية والعباسية قوله :

دانت بغدادُ لقـــرطبة ** وخـــلائفها للــمعــتمــدِ

سمعوا برشاد فتى لخم ** فنفوا هــارون عن الرشـــدِ

قرأوا شعر اللخميّ فلم ** يرضى المعتزُّ عن الولــدِ

يافـــرع المنذر والنعــما ** ن بلغــت النجــم فطل وزدِ

طفئت أنــوار أميّة في ** قصـــر الخلفاء فقلت قِدِ

نافست بقصـــرهم إرماً ** فـــكانَّ أميَّة لم تشـــدِ (٣)

---

(١) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ويشير إلى نسب المعتمد بن عبّاد وانتماء بني عبّاد إلى لخْم ، ومناذرة الحيــرة وقــد ذكره الدكتور عبدالوهاب عزام إذ يقول : (ينتمي بنو عبّاد إلى لخم ثم إلــى منــاذرة الحيرة . تردد ذكر هذا النسب في أقوالهم وأقوال من أرّخُوا لهم أو مدحوهم)(١)
وقد هنَّأ المعتمد بالعيد مضمِّناً التهنئة مدحاً وذلك في قوله :

العيد أنت وإن هنُّوك بالعيد ** والحسن أنت وإن خالوك في الغيدِ

وما مجاز كلام من حقيقته ** ولا شـــــهادة علم مثل تقليــدِ (٢)

ولمَّا انتقل أبو الحسن الحُصْريّ عن بلاط بني عبّاد بإشبيلية ، واتَّجــه إلــى دانيــة ، واصل مدائحه للملوك والأمراء طلباً لنوالهم ، فمدح إقبال الدولة علــي بــن مجاهــد العامريّ الذي وَلِيَ الحُكْم في دانية إثْر موت أبيه . يقول في مدحه :

وإن يك دهري ضمَّني ثُمَّ ضامني ** فإنَّ علياً خير مولى وموئلِ

هُمام إذا ماهَّم بالأمــر فامتطى ** عزيمته ناءت برضوى ويذبُلِ (٣)

فالممدوح كان ملجأً وملاذاً للشاعر ، أعانه على نوائب الدّهر ، وأجزل له العطــاء ، وهو ذو عزيمة تنوء عنها الجبال ، والشاعر في هذه المدحة يتخلَّص بعد مقدِّمة غزلية جرياً على طريقة القدماء في استهلال قصائدهم بالغزل ، ثُمَّ التخلُّص إلى المدح يقول في مقدِّمته الغزلية :

حلفت لربَّات الخدور بــما جنى ** فمُ الصَّبِّ من ورد الخدود المقبَّلِ

وماصام من خصرٍ لهنَّ مخفَّفِ ** وأفــطر مــن ردفٍ لهــنَّ مثقَّلِ

وماوردَّت من أدمعي بمــــورَّد ** وما خلخلت من أضلعي بمخلخلِ

وما شاقني من شقِّ جيبٍ ومدمع ** أســيلٍ على خــدٍّ أســيلٍ بمأسَلِ

لأنتنَّ أشفى للســليم من الــرُّقى ** وأطيب للظمآن مــن كــلِّ سلسلِ (٤)

---

(١) المعتمد بن عبَّاد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزَّأ ، الدكتور عبدالوهاب عزّام دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) ، ص ٨.

(٢) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٨.

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

فهذه مقدَّمة غزلية وصف فيها الشاعر المحبوبة ونحافة خصرها كأنَّه كان صـــائماً ، ولا تخفى الاستعارة ، أمَّا الرِّدف فهو ممتلىء كأ نَّه مُفطِر وأنَّ الحسناوات يشـــفين العليـــل أكثر من شفاء الرّقية ، أمّا ريقهنَّ ورضابهنَّ ، فهو رواء للظمآن يجده أشهى مـــن المـــاء الزُّلال .

ثُمَّ تخلَّص الشاعر بعد هذه الأبيات إلى مدح إقبال الدولة علي بن مجاهــد العـــامريّ صاحب دانية وقد تقدّم ذكر الأبيات التي مدحه بها .

وممَّا يُقوِّي رأينا بجانب ما ذكرناه من أنّ الشاعر أبي الحسن الحُصْرىّ كـــان يمـــدح بعض الملوك والأمراء تكسُّباً ، أنَّه لمَّا استولى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود صاحب سَرّقسطة على مملكة دانية وأسر علياً بن مجاهد العامريّ سنة (٤٦٨هـــــــ) أو (٤٦٩هـــــ) وهو الأمير الذي كان يمدحه الشاعر قبل قليل ، فكان الأجدر بشـــاعرنا والأليق به أن يظلَّ على وفائه لهذا الملك الذي كان يمدحه ، أو أن ينظم ما يدل على ذلـــك الوفاء ، ولكن نجده بدلاً عن ذلك سرعان ما بادر إلى مدح الملك الجديد بل توطَّدَت العلاقة بينهما إلى الحدِّ الذي رأيناه يذكره في مراثيه عند حديثنا عن الرّثاء .

يقول محققا ديوان أبي الحسن الحُصْريّ : (وكان صاحبنا الحُصْريّ آنذاك في بـــلاط دانية ، فلم يرَ أيَّ حرج في مدح الملك الجديد فماهو إلّا شاعر منتجع للصِّلات)(١)

وبادر الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ مادحاً ومرحِّباً ناسياً أو متناسياً ملك دانية الأسير ، وأنَّه كان ملجأه وملاذه كما ذكر في مدحه له . فهو الآن مع الملك الجديد المقتدر بالله بـــن هود والذي استهلَّ مدحه له بقوله :

كـــذا تُفـــتضُّ أبكـــار البلاد ** ولامهر سوى البيض الحدادِ (٢)

إلى أن يقول في انتصاره واستيلائه على مملكة دانية :

وكان مـــــرام دانية عزيزاً ** فهان على المسوَّمة الجيادِ

فآثرت العوالي في المعالي ** وأثرت الصَّلادم في الصِّـــلادِ

كأنَّ سيوفك الأقدار تجري ** بما شاء الإله على العـــبادِ

ومثلك من جنى ثمر الأماني ** وآتى حقَّه يومٍ الحصـــــادِ (٣)

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص، ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص١١٦.

(٣) المرجع السابق ، ص١١٧.

فنراه يستخدم البديع وخاصة الجناس ذاكراً شجاعة ممدوحه ، وإيثاره للمعـــالي ، ولا يخلو من مبالغة شعرية ، فكأنَّ سيوفه هي التي تكتب أقدار العباد . ثم يذكر مُلك أحمد بـــن سليمان بن هود بسرقسطة ، وحسن إدارته ، وسياسته ، فهو يشبِّهه بملوك بني أمية لاسيّما معاوية وما فعلته سيوفه ، لم يستطع
قسُّ بن ساعدة برغم خطابته ، وسياسته أن يفعله يقول :

وفي سَرَقُسْطةٍ لك دارُ ملكٍ ** زريتَ بها على ذات العـــماد

ورأيك فـــــي الإدارة لورآهُ ** معـــاوية لأغنى عـــن زياد

لقد أربت سيوفك يوم سُلَّت ** على قسٍّ بن ساعدة الإيادي (١)

ويبدو أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْري قد وجد راحة نوعاً ما بدانية ، فهو نادم علـــى رحيله عنها :

ألم ترني ندمت على ارتحالي ** وغالطت العداة بسوء حالِي

وما بلد كـــدانية ولكـــــــن ** أسلي النَّفس عنها بالمحالِ (٢)

ولعلَّ من أشهر مدائح أبي الحسن الحُصْري ، مدحته لأبي عبدالرحمن محمد بـــن طاهر صاحب إمارة مرسية والتي بلغت مقدِّمتها الغزلية حوالي ثلاثة وعشرين بيتـــاً وقـــد تحدَّثنا عنها في الفصل السابق الخاص بالغزل .

وكان يمكن أن نبدأ بهذه القصيدة في المدح لقيمتها وشهرتها ، ولكن آثرنا أن نتتبع التسلسل التاريخي لمدائح أبي الحسن الحُصْريّ لملوك وأمراء الطوائف .

يقول محقِّــقا الديوان عن تاريخ ومناسبة المدحة : (أمّا اتصال صاحبنا أبـــو الحســـن الحُصْريّ به ، فالظاهر أنّه وقع بين(٤٦٩ ـــ ٤٧١)وقد مدحه بالقصيدة التـــي ذاعـــت شهرتها فطبقت الآفاق) (٣)

ويقولان عن مناسبتها : (ويظهر أنّ السبب في نظمه لهذا القصيد أنّ وشاية بلغـــت إلى الأمير تتَّهم الحُصْريّ بشتمة إيَّاه في مجالسه ، وقد كان الحُصْـــريّ إذ ذاك منتصـــباً للتدريس بأحد مساجد مرسية فرفع إليه الحُصْريّ هذا القصـــيد يفنِّـــد فيـــه الوشـــاية ، ويتملَّص من التُّهمة) (٤)

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١.
(٣) لمرجع السابق ، ص ٥٢.
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

ومن مدحته هذه لمحمَّد بن طاهر أمير مرسية المذكور قوله :

أنت الدنيا والــدِّينُ لنا ** وكريمُ العصر و أوحدُهُ

لو أنّ الضحر سقاه ندى ** كفَّــيكٍ لأورق جلمدُهُ

والركن لو انَّك لامــسه ** لابيضَّ بكفِّــك أســودُهُ (١)

وتبدو المبالغة الشعرية في المدح أيضاً ، فهو واحد عصره كرماً ، حتى إنَّ كرمه هذا إن سال على الصخر ماء يورق الصخر ويخضرُّ وحتى الركن اليمــاني أو الحجــر الأســود يتحوَّل لونه إلى الأبيض لولامسته يدُ الممدوح. ويستمرُّ في هذه القصيدة إلى أن يقول :

والعين تراك فيُسْتشفى ** مطروف الجفن وأرمــدُهُ

سعدت أيَّامُ الشَّرق وما ** طلعـــت إلَّا بك أسعُــدهُ

وأضاء الحقُّ لمرســية ** لمّـــا أورت بك أزنــدُهُ

بالعدل قمعت مظــالمها ** وبحســن الرأي تسـدِّدُهُ

وجلبت لها العلماء فلم ** تــترك عِــلــمْاً تتزيَّدُهُ (٢)

فالممدوح رؤيته شفاء للعين التي بها رمد ، وقد سعدت به الأيَّام لأنَّه حاكم عادل أشاع العدل في مرسية ، وهو ذو رأي حسنٍ سديد ، كما أنَّه اهتمَّ بالعلم والعلماء حتى لم يترك علماً ناقصاً يُطلَب أو يُستزادُ منه .

كما ذكر المحققان أنه مدح المعتصم بن صُمادح وهو من ملوك المريَّة لكنَّهما لم يعثرا على تلك المدائح يقولان :(وقد قصده صاحبنا الحُصْريّ في عاصمته المرية ومدحه ، فوجد عنده كلَّ ترحيب وإكرام ــ على أن مدائحه في ابن صُمادح لم نعثر على شيء منها في المراجع التــي بين أيدينا)(٣)

وورد في ديوانه أبيات أنشدها للمعتصم بن صُمادح حين أراد الرحيل عن المرية يقــول فيها :

محبَّتي تقتضــــــي ودادي ** وحالتي تقتضي الرّحيلاِ

هذان خصمان لست أقْضِي ** بينهما خــوف أن أميلاِ

ولا يزالان في اختصــــامٍ ** حتى نرى رأيكَ الجميلاِ (٤)

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢.

ومُجْمَل القول في هذا المبحث أنَّ الشاعرَ أبا الحسن الحُصْري مدح ملوك وأمراء الطوائف في الأندلس كما فعل شعراء عصره ، وقد صدق في بعض مدائحه ، وألجاته ظروفه الشخصية أن يمدح بعض الملوك والأمراء من أجل العطاء ، كما أنَّ بعض الأبيات في مدائحه لاتخلو من مبالغة وقد تقدَّم بيان ذلك . كما بيَّن الباحث أهمّ الشخصيات التي مدحها الشاعر أبو الحسن الحصري والصفات التي مدحهم بها مثل : العدل ، والكرم ، والشجاعة إلى غير ذلك من المآثر.

المبحث الثَّاني :ـ مَدْحُ القُضَاةِ والعُلَمَاء .

ذكرنا في الباب الأوَّل ، في المبحث الخاص بثقافة الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ ، الصداقات التي نشأت بينه وبين بعض مثقَّفي عصره من قضاة ، وفقهاء وعلماء . ويبدو الإخلاص في هذه الصداقات ، والصلات الاجتماعية في العاطفة القوية والصادقة التي وجدناها في أماديح الشاعر لهم . فمدحه لهم ليس مدحاً يرجو من ورائه الشاعر عطاءً ، أو مكأفاةً ، أو مكانةً ، وإنِّما للعلاقة الوثيقة بينه وبين هؤلاء الممدوحين ، وللصفات والمواقف الإيجابية التي لاحظها الشاعر في تعاملهم معه . ولعلّ هذا القول يرتبط بما ذكرناه في المبحث السابق من أنّ المدح أحياناً يكون عن عاطفةٍ صادقةٍ ، وإعجابٍ ووفاءٍ لما يتميَّز به الممدوح من صفاتٍ وخصالٍ ، وما بذله لمادحه سواء كان هذا البذل حِسِّياً أو معنوياً أو الإثنين معاً .

والمدائح التي وُجدت بديوان أبي الحسن الحُصْريّ على قلَّتها حُظي قاضيا مالقة ـ أبو المطرف عبدالرحمن بن قاسم الشعبيّ ، وأبومروان عبدالله بن حسين بن عيسى الكلبي ـ بنصيب منها .

يقول أبو الحسن الحُصْري في مدح الفقيه القاضي أبي المطرف الشعبيّ :

لقد شعب الشعبي قلباً صدعته ** كما تصدع المظلومة الخيل بالرّكضِ

نهوضُ لأمر أمَّرته خوارجُ ** نهوضُ بأعباء العُلا أيَّما نهضِ (١)

ثم يصفه بالعدل ، وكفِّ الظلم عن المسلمين محافظاً على دمائهم ، وأموالهم ، وعروضهم مشبِّهاً له بالإمام مالك إمام ومفتي المدينة .

---

(١) أبوالحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٠.

جلا عدله إظـــــلام كلِّ ظلامةٍ ** وحاط قناة الدّين حفظاً من الخفضِ

كففت أكفَّ الظُّلم عن كلِّ مسلمٍ ** عرضْنَ لمالٍ منه أو دمٍ أو عرضِ

كأنَّك منها مالك وهـــــي طيبة ** فما جَمْعُ أهل العِلْمِ منك بمنفضِّ (١)

ويبدو أنّ الشاعر مدين لهذا القاضي ، لأنَّه أكرمه ، وآواه ، ورحَّــب بــه فــي بيتــه مستضيفاً له ، وذلك حين وفد علي الأندلس قادماً مــن القيــروان ، أو مــن ممالــك الطوائف الأخرى ، ويورد له محقِّــقا الديوان في ذلك أبياتاً يمدحه بها تحت العنــوان التالي :

وقال في الفقيه القاضي أبي المطرف الشعبي حين أنزله في داره ، وأكرمه إثــر قدومه من القيروان :

أمولىً شرفتُ به أم صديق ** يوا صلني حين يجفو الشَّقيقُ

تملَّكني ومُنَىً ملــــــكه ** فــحســب معــاليه أنا رقيقُ

سقاني وأخلاقــــــه جنَّةُ ** فمنها الرّياض ومنها الرّحيقُ(٢)

أمّا مدحه للقاضي ، أبي مروان بن حسون ، فيقرنه بمــدح أبــي المطــرف الشــعبيّ وكأنَّهما إخوة رضعا من ثدي واحد:

بين ابن حسونٍ وشعبيِّ الهُدَى ** من ثديِ خالصة الإخاءِ رضاعُ

ياما أجلَّهما وأشــــبه ذا بذا ** حسُنت وجوه منهما وطباعُ

ما أحسن الدّنيا بحسنهما الذي ** تلتذُّه الأبصــــار والأسماعُ

خُلِقَا لنصرِ الدّينِ والكرمِ الذي ** تخضــــرُّ منه بسيطة وتلاعُ

كمهنَّــدين مــجرَّدين بريَّةٍ ** تنبو الظُّبي وكلاهـــما قطَّاعُ (٣)

فالأ مدوحه تتَّــضح فيها أوصاف ممدوحيه ، وتشابه طبعيهما كأنَّما خُلِقَا لنصرة الدِّين ، ويصفهما بالكرم ، وأنَّهما كسيفين قاطعين مضاءً وحسماً للأمور.

ومن مدائحه التي يجمع فيها بينهما أيضاً قوله :

بريَّة ريّا روضــــــةٍ ورياضِ ** بها عَلَمَا علم وأعدل قــاضِ

معاليهما فوق النُّــجوم منيفةُ ** ورأيهما في المشرفية مــاضِ

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٣.

سئمت حياتي والمقام بطنـــجةٍ ** كأنَّ بلاد الله غـــير عــــراضِ

سيورق عودى إن سكنت بريَّةٍ ** ويســـودُّ من فوديَّ كلِّ بياضِ

لدى قمريْها إنَّ فـــي غرَّتيهما ** هـــداية عميانٍ وبرء مراضِ

أريَّة مرعاى المريع وأينقي ** وأنتِ ابنة في عصمة ابن عياض (١)

وهذه القصيدة يتَّـــضح في البيت الرابع منها أنّ الشاعر قد نظمها بطنجة حين ألقـــى عصا الترحال واستقرّبها ، ولعلّ المرزوقي والجيلاني قد نظرا إلى هذه القصيدة للدلالة على حُبِّ الشاعر وإخلاصه لصديقيه القاضيين الفقيهين حين يقولان :

(ويظهر أنَّ إخلاص الحُصْريّ لهذين الفقيهين قد استمرَّ معه إلى آخر عمره ، فنجد أنّه راسلهما بمديحه من طنجة ، التى نعلم أنّه دخلها سنة ٤٨٣هـــ ، وأنَّه توفي فيها سنة ٤٨٨هـــ) (٢)

وآخر مِدْحة في قسم المديح بديوان أبي الحسن الحُصْريّ ، يصف فيها عدل أبـــي المطرف الشعبي ، وأنَّه يحكم بما أنزل الله ، ولا تخلو من مبالغة يقول :

وقد رأيت العـــدل في بلدةٍ ** فقيهها الشعبيّ قاضيها

أحكامه بالحقِّ مرضـــــية ** والله بعد الخلق راضيها

لو شوورت فيه بنو هاشم ** لقدَّمته عن تراضـــــيها

كم حجَّة أوضح ، كم حاجة ** قضى لنا قبل تقاضيها (٣)

ونلحق بمدح القضاة والعلماء ــ وقد كانوا أصدقاء للشاعر ــــ مدحه لأصدقائه الآخرين من أدباء وغيرهم فقد راسل أبوالحسن الحُصْريّ بعـــض هـــؤلاء الأصــــدقاء مادحاً لهم مضمِّناً رسائله لهم ، البيتين والثلاثة من الشِّعْر وقد تزيد عن ذلك .

وممَّن ذكرهم المرزوقي والجيلاني من أصدقائه (٤)

١. أبو محمد غانم بن الوليد بن محمد بن عبدالرحمن المخزوميّ من أهل مالقة
٢. أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن خلصة اللخميّ الشذونيّ البصير

---

(١)أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) انظر المرجع السابق تجد تفصيل أكثر ، وتراجم مختصرة لهؤلاء الأصدقاء من صفحة ٥٥ إلى صفحة ٥٨.

وقد مرَّ الشَّاعر على قومٍ سمعهم يقدحون فيه وفي صديقه إبن خلصة هذا فقال :

يا أديباً ملكــتــني ** في يديه المكرماتُ

ليت قوماً دأبهم فيَّ ** وفــيك المكرماتُوا (١)

٣.أبو العباس البلنسيّ ويذكر المحقِّقان أنَّه قد تتلمذ على أبي الحسن الحُصْريّ ، وتحولَّــت العلاقة بينهما إلى صداقة ونصُّ ما ذكره المحقِّقان : (وقد تتلمذ أبوالعبــاس هــذا عــن الحُصْريّ ، فروى عنه شعره ، ولكنَّ هذه التلمذة انقلبت إلى صداقه وإلى إكبار وتقدير من جانب الحصريّ) (٢)

ومن مدحه لأبي العباس النحوي البلنسيّ القصيدة التي أثبت المحقِّقان عشرة من أبياتهــا في الديوان ومنها قوله :

قامت لأسقامي مقام طبيبها ** ذكــرى بلنسية وذكر أديبها

حدَّثتَني فشفيتَ منِّي لــوعةً ** أمسيت محترق الحشا بلهيبها

مازلت أذكــره ولكن زِدتني ** ذكراً وحسب النفس ذكر حبيبها

أهوى بلنسية وما سببُ الهوى ** إلَّا أبو العباس أنسُ غــريبــها (٣)

فالشاعر يقرّ أنَّ حُبَّه لبلنسية ، سببه حُبُّه وتعلُّقه بصديقه أبي العباس البلنسيّ ، ويبدو أنَّــه كان عوناً للشاعر على أعدائه ، يجادل ويدافع عنه ، كما يتضح أنَّه كان خطيباً وذا منطق ولسن وبذا نال مكانةً وفضلاً عند الشاعر ونرى أبا الحسن الحُصْريّ يصوِّر ذلك في قوله :

أأخي المعين على العدو بمِسْلق ** أزرى بوائل في ذكاء خطيبها

إذ قامت الهيجا ولولا نصــره ** ماكان يُعرفُ ليثها من ذيــبها

غلب العُواءُ على الزئير حميَّة ** وخبا ضياء الشمس قبل مغيبها

فاقام أحمــد في مجادلة العدا ** برهان تصــديقي على تكذيــبها(٤)

وبهذه الأبيات من قصيدة أبي الحسن الحُصْريّ في مدح تلميــذه ، وصــديقه أبــي العباس البلنسيّ نكون قد تعرّضنا لكلِّ قصائد المدح في ديوان الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ.

---

(١) أبوالحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ونتيجة هذا الفصل بمبحثيه ، أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ انحصرت مدائحه في ملوك وأمراء دول الطوائف ، وإن كان شعره الضائع في هذا النوع من المدح كثير ، كما مدح قضاة ، وعلماء وفقهاء عصره وضاع بعضه كذلك بجانب بعض الأصدقاء من الأدباء وغيرهم ، وقد كانت بينه وبينهم مراسلات وإخوانيات ضمَّنها بعض أبيات الشعر ، وخصَّ بعضهم بقصائد مثل قصيدته آنفة الذكر في صديقه أبي العباس البلنسيّ وغيره.

كما تقرَّر أنَّ الشَّاعر كان تقليدياً في عدد من مدائحه بمعنى أنَّه اتَّبع طريقة القدماء أو حتى شعراء المشرق العربي في المدح من حيث الاستهلال ، والتخلُّص ، وإن خلت بعض قصائده من هذا التقليد.

كما أنّنا قد وجدنا نوعين من المدح عند الشاعر ، مدح من أجل التكسُّب والعطاء ، وقد يصدق في بعضه أحياناً ، ومدح عن عاطفة صادقة ، وإعجاب ووفاء للمدوح ، وقد لاحظنا النوع الأوَّل في مدحه لعدد من ملوك وأمراء الطوائف ، كما أنَّ النوع الثاني من المدح قد ظهر في مدائحه للقضاة ، والفقهاء ، والعلماء ، وأصدقائه من الأدباء وغيرهم.

الفصل الرابع

أغراض أخرى

المبحث الأوّل : ـــ الشَّكْوَى وَالْحَنِيْن .

انحصر جُلُّ شعر أبي الحسن الحُصْريّ في ثلاثة أغرض هي الرّثاء ، والغزل ، والمدح على الترتيب ، فقد عُنى بالرّثاء أكثر من عنايته بالغرضين الآخرين ، وشعره في الغزل أكثــر من شعره في المدح.

غير أنَّ هنالك مقطوعات ، وأجزاء من قصائده في موضوعات متعدِّدة ومختلفة ، حاولنــا في هذا المبحث أن نبيِّنها حتى نكون قد عرضنا لجميع الأغراض والموضوعات التى تحــدّث عنها في شعره.

وكما بيَّنا أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ كان له أصدقاء ، فقد ورد فــي شــعره أيضــاً معاناته وشكواه من أعدائه ، وليست الشكوى من الأعداء فقط فهو يعاني ويشكو من الغربــة ، ومن عدم الاستقرار فكلَّما استقرَّ في مدينة من مدن الطوائف تمنَّى أن ينتقل إلى غيرها، فنجــد في شعره كما سبق أنَّه يهوى بلنسية لوجود صديقه أبي العباس البلنسيّ ، ويندم على ارتحالــه عن دانية وممدوحهِ المقتدر بالله إبن هود ويشتاق إلى ريّة حيث صديقاه القاضيان ، ويحنَّ إلى مسقط رأسه القيروان ، ويسأم من إقامته بطنجة ويشكو من الدّهر أيضاً كما أوردنــا بعــض النماذج لذلك في حديثنا عن رثاء ابنه في المبحث الثاني في الرّثاء.

ولمّا رأى الباحث شكوى الشاعر تتكرّر في شعره ، وهى شكوى من أشياء متعــدِّدة كمــا سبق ، فإنّه من الأجدى أن يُعقدَ لذلك مبحث للحديث عن شكواه وحنينه ، وذلك لربطه بينهما في شعره فهو مثلاً يربط الشكوى من الغربة بالحنين إلى القيروان ، والشكوى من إقامته بطنجــة بالحنين والشوق إلى صديقيه القاضيين بريّة ، كما مرَّ معنا في مدح القضاة والعلماء.

وذكر لنا محقّــقِا الديوان من هؤلاء الأعداء (١) ، أبا الحسين سليمان بن محمد بن عبدالله النحويّ المعروف بابن الطراوة ، كما أوردا رسالة لأبي الحسن الحُصْري يهجوه فيها.

و الشاعر يكرِّر لفظ العِدى أو الأعداء في شعره في عدد من الأبيات وأحياناً يكتفي بوصفهم دون ذكر أسمائهم كما وصف أحدهم بالفقيه المشعوذ :

---

(١) انظر ما ذكره المحقَّقان عن هؤلاء الأعداء مفصَّلاً في أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، من صفحة ٥٩ إلى صفحة ٦٢ .

سعى النور حَوْلَىْ نعشه وعداته ** تقول زكا من كان مشـــهدُهُ كـــذا

وصلَّى عليه المسلمون بأسرهم ** وقاضى التُّقى إلَّا الفقيه المشعوذا (١)

وأحيانا يصف أعداءه بالأفاعي مثل قوله متحدِّثاً عن نفسه :

يكابد عيشه بين الأفاعي ** ويصبرُ كلّمُا ألم العضاضا (٢)

ومثله قوله :

نفثت فيَّ سمامها كلُّ أفعى ** يوم أودى وإنِّما كان حرزِي (٣)

ومن شكواه من الأعداء أيضاً قوله :

فلئن حلَّت الرزيَّة في ابني ** واشتفى بي (عدوِّي) المتخزِّي (٤)

وقد تحوّل بعض أصدقاء الشاعر إللى أعداء عندما اكتشف حقيقتهم :

كم من خليل كان عندي شَهْدَةً ** حتى بلوت المُرَّ من أخلاقه

كالملح يُحْسَبُ سكَّراً في لونه ** أو حجمه ويحول عند مذاقه (٥)

وبلغ من عداوتهم له ، أن نسبوا إليه قصيدة أوقصائداً فيها كفر ، وألصقوها به يقول فـــي ذلك :

أُصيبَ قصيد فيه كفر فنيط بي ** وكم شاعر قيلت على فيه أشعارُ

ومن كلِّ كفٍّ قد رُميت بصخرة ** وفى راحتي لو أمكن الرأي أحجارُ (٦)

وأورد المحقِّقان له قصيداً فيه واحد وعشرون بيتاً ، يشكو فيه ممَّا لقيه ، من الأذى ، والإساءة من الأحباب ، حتى فقد الثِّــقة في الأصدقاء ، ويصوِّر ذلك الأبيات التالية :

برمتُ بما ألقـــاه مـــمَّـــن أوامـــق ** وأُوذيتُ حتى لا أرى من أصادقُ

إذا ما امـــرؤ صـــفَّيته الـــوُدَّ واثقاً ** بخلَّته لم تصفُ منه الخـــلائـــقُ

فيا ليت شعري هل إلى النَّاس كلِّهم ** أنا مذنب أم ليس فـــيهم موافقُ (٧)

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٤.

(٥) لمرجع السابق ، ص ١٣٣.

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٧) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

ويستمرُّ في هذه القصيدة التي تتجسَّد فيها معاناته ، وشكواه من عدم وجود أصدقاء أوفياء مخلصين ، فقد ابتلي بالجهلاء والمنافقين يقول في ذلك :

وددت بأن ألقى من النَّاس منصفاً ** إذا قلتُ حقَّــاً قال لي أنت صادقُ

وإن قلت غير الحقِّ لم يرض لي به ** وأوضـــح للفــكر الذي هو لائقُ.

ولكنَّهم صـــــنفان فيَّ فـجــاهــلُ ُ يدافع حــقّــاً أو علــيم منافــقُ (١)**

ويصل إلى نتيجة يصنِّف فيها الناس صنفين، فهم من الأرض ، والأرض في رأيه إمّا أن تكون تربتها ليِّنةً سهلة الملمس ، وإما أن تكون ضخوراً وأحجاراً خشنة وكذلك الناس : إمَّا مؤذ يؤذي كما تتأذَّى أعضاء الجسد من الأحجار ، وإمَّا سهل الطباع ، ليِّن الأخـــلاق كالكُحل يوضع على العيون فلا يؤذيها .

يقول :

النَّاس كالأرض ومنها هم ** من خشن اللمس ومن ليّنِ

مرو تشكى الرجل منه الأذى ** وإثمد يُجعــــل في العينِ (٢)

اشتكى الشاعر كذلك من المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضده في بلاطات الوزراء والأمراء ومثال ذلك شكواه لوزير المقتدر بالله ابن هود.

وهذا الوزير هو أبو الفضل بن حسداى اليهوديّ ، وكان يعطف على الشاعر ويحميــه ، وقد أورد المحقِّــقان رسالة من الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ لهذا الوزير يمدحــه فيهــا ويشكو إليه في أبيات شعرية من صهره ابن عباس يقول:

هــــو عقــنَّــي فــبررتني ** هو عن لقائك عاقني

إنِّي أخــفُّ عــلى الــوزير ** ولو ثقــلت لطاقــني

نفسي فداؤك يا أبا الفضــل ** الــذي قــد راقــني

أحــبـبتــُه وأحــــبّــَنــي ** فاشــتقــته واشتاقني (٣)

واشتكى إلى المعتصم بن صمادح صاحب مملكة المريّة من كاتبه أبــي الأصــبغ عبــد العزيز بن محمد بن أرقم إذ يقول :

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٣٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨.

أيُّها السيِّد المعظَّم ** لاتطع الكاتب ابن أرقمْ

فإنَّه حيَّة وتدري ** ما فعــلت بأبــيك آدمْ (١)

كما اشتكى كذلك من الشامتين ووردَ ذكرهم في شعره عدة مرات منها قوله :

وسدَدْتُ بابي عن عداي ثلاثة ** خوف البكا والشامتون جلوسُ (٢)

أمّا الحنين فهو أحياناً يقرنه بحديثه عن الأعداء ، والغربة ، وعدم الاستقرار والراحة فـــي مهاجَره ، وهو دوماً يحنّ إلى مسقط رأسه القيروان . وما جاورها ويشبِّه نفسه في بعـــده عنها بطائر فقد عُشَّه وفراخه ، ولاينسى أن يضمِّن حنينه شكواه من الذين يُحْسِـــن إلـــيهم ويقابلون إحسانه بالإساءة ، والأبيات التالية تبيِّن ذلك ، وتحسُّ فيها صدق عاطفته وعُذُوبة ألفاظه ، وإشراق معانيه، وعمق إحساسه بالغربة يقول :

على العدوةِ القصوى وإن عَفَتِ الدَّار ** سلام غريب لا يؤوب فيزدارُ

أُعَادَى على فضلي واستصحب العدى ** ولي حسنات عندهم هي أوزارُ (٣)

إلى أن يقول :

عزيز علينا أن نُقـــيمَ بذلَّـــة ** فليت حشايانا الوطيئة أكوارُ

شفى الله داء القيروانين بعـــدنا ** فقد مرضت للقيروانين أبصارُ

وكيف غناء الطير في غير أيكها ** وقد بعدت عنها فراخ وأوكارُ

وإنِّي لأولى بالـــبكـــاء لأنَّـَـها ** تطير إذا اشتاقت وما أنا طيَّارُ (٤)

وفي البيت الأخير يصف حالته بأنَّها أسوأ من الطائر الذي يفقد عشه وفراخه ، لأنَّه يشتاق ويحِنُّ فيطير بجناحيه إلى حيث أراد أمَّا الشاعر فليس له أجنحة يطير بها .

ومن صور الحنين نجده يقرِّر أنَّ بقاءه في وطنه فقيراً خير من غنىً فـــي غربـــة ، خلافاً للمقولة المشهورة " الفقر في الوطن غربة ، والغنى في الغربة وطن " أو شيء بهذا المعنى ، ولايحضرني قائلها الآن . يقول :

---

(١) أبو الحسن الحصريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢١.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

وطن بغير غنى أحبُّ إلى الفتى ** من غربة تغنيه إذ لامُخْلِصَا (١)

والغربة أيضاً في قوله :

كنت في غربتي كأنِّي به في ** وطني فانقضى فعُدتُ غريبا (٢)

والشاعر لا ينسى حنينه ، حتى في مراثيه لابنه ، فهو لم يبتعد عن مسقط رأسه القيــروان إلّا بعد ماخُرِّبت ، وأصبح وطنه مكاناً دارساً ، فقد كان الشاعر، وأهلــه ، وأصــدقاؤه ، ومعارفه بالقيروان كالبدور وهي فلك يدورون حولها ، لكن أصابتهم مصــائب ، ومحــن ألجاتهم إلى الهجرة عن الوطن يقول في ذلك :

والقيروان حِمَى أبيك ومانأى ** إلَّا وربعُ القيــروان دريسُ

نحن البدور النيِّرات ومصــرُنا ** فلك بشهب رماحنا محروسُ

تختال فوق الخيل في ظلل القنا ** أسدا وقدْ وَقَدَ الغداة وطيسُ

لكن أصــابتنا مصــائب ذُلِّلت ** منهنَّ أمُّ الليث وهي شموسُ (٣)

فالأبيات السابقة تبدو فيها عاطفة الشوق والحنين والمعاناة من الغربــة بيِّنــة ، وتصــوِّر الحالة النفسية التى يعيشها الشاعر بعيداً عن وطنه ، وأهله مستصحباً ذكريات كلَّما أهاجت أشواقه وجد متنفَّسه في الشِّعر.

ولكنَّه يقرِّر أنَّ قضاء الله ماضٍ ، وقدره نافذ ، فمشيئة الله عز وجل قضت بأن يلجأ إلــى الأندلس ويترك وطنه القيروان يقول :

في كلِّ أرض موطن ** يُعْرَفُ فيه جاهُنَا

وإنّــمــا ألــجــأنا ** إلى هــنا إلــهُنَا (٤)

ومجمل القول في هذا المبحث أنّ أبا الحسن الحصري ضمَّن شعره معاناته وشــكواه من عدة أشياء منها الغربة ، والأعداء الشامتين ، والحسَّاد ، وما وجده في بلاطات الملوك والأمراء من دسائس ومؤمرات ، وغير ذلك . كما أنّه لم ينس مســقط رأســه القيــروان وذكرياته بها ، فهو يحنُّ ويشتاق إلى تلك الأيَّام التي قضاها في موطنه .

---

(١) أبوالحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٨٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٠.

وختام هذا المبحث أنَّ الشاعر اشتكى في شعره ، من الأعداء والشـامتين ومـن الدّهر ، ومن الغربة ، ومن الدسائس والمؤامرات في بلاطات الوزراء والملوك . وحتـى أعداءه قسَّمهم إلى عدوٍّ بيِّن العداوة مجاهر بها ، وإلى منافق يظهر الإخـلاص ويـبطن السوء ، ثُمَّ إلى خليل وصديق تحوَّلت صداقته إلـى عـداوة ، فقـد ابتلـي بالجـاهلين ، والمنافقين ، حتى أصبح متحيِّراً في من يصادقه ، وفقد الثِّقة في النَّاس فلم يطمئنَّ إلى أحد منهم .كما أنَّه لم ينسَ حنينه وشوقه إلى القيروان وهو بالأندلس . فنـراه قلقـاً ، متقلِّـب الأحوال أثناء وجوده في الأندلس فهو لا يستقرُّ بمدينة ، حتى ينتقل إلى أخرى ، فهو تارةً يمدح بعض المدن لأنَّه وجد فيها راحته مؤقَّتا، ولكنَّه سرعان ما ينتقل إلى مدح بلد آخر كما فعل في مدح دانية ، وبلنسية ، وريّة وغيرهامن مدن وممالك الطوائف.

المبحث الثَّاني : مُناسبَات مُتَفَرِّقَـة .

حاولت قدر استطاعتي أنْ أضمِّن هذا المبحث جُلَّ الشعر الذي نظمه الشـاعر فـي غير الأغراض التى تقدَّم ذكرها وهى الرّثاء ، والغزل ، والمدح . ويضاف إليها المبحث السابق عن معاناته ، وشكواه وحنينه.

قال في ملك سأله أن يكسوه فمطله ثمَّ أعطاه قمحاً مسوِّساً وهو أقرب إلى الهجاء :

يريد سياسة من لايُسَمَّى ** وطبع فيه يأبى أن يسوسَـا

سألت كُسَىً فمنَّاني بقمحٍ ** وأعطاني مكان القمح سوسَا (١)

ويقول عن أهل الأندلس . ولبسهم للملابس البيضاء في أحزانهم ، وهي من الأبيات التي تبيِّن عادات مجتمعه الجديد " مجتمع الأندلس " ولعلَّها تندرج تحت فنِّ الوصف:

ألا يا أهل أندلس فـطـنتم ** بلطفكم إلى شيْء عجيبِ

لبسـتم في مآتمكم بياضـاً ** وجئتم منه في زِيٍّ غريبِ

صدقتم فالبياض لباس حزن ** ولاحزن أشدّ من المشيبِ (٢)

وقال شاكراً لأنعم الله ، وكأنَّه يريد أن يخبرنا أنّه رغم ما أصابه ممّا ذكرناه في حياته ، لم ينسَ شكر الله ، وحمده ، وذكره ، والشطر الثاني من البيت الثاني ، مقتبس من القرآن الكريم يقول :

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١.

ولمَّا نمَت عندي من الله أنــعــم ** ولستُ عن الشكران للهِ باللاهي

نقشت على قلبي وفي فصِّ خاتمي ** " وما بكم من نــعمة فمن اللهِ " (١)

ويتحدث عن الهموم ، وهو مِنْ أفضل مَنْ يتحدَّث عنها لِمَا أصابه منها ــ مبيِّنــاً أنَّ مــا يصرف هذه الهموم ويزيلها إمَّا غناء جميل ، أوطرب أصيل ، أو منظر حســن ومكــان مبهج يهواهُ الإنسان ، وإمَّا خمر بكر ، وهى أسرع الثلاثة صرفاً للهموم يقول في ذلك :

لا يصرف الهمَّ إلَّا شدو محسنةٍ ** أو منظرٍ حسنٍ تهواهُ أو قــدحُ

والراحُ للهمَّ أنقاها فخذ طرفاً ** منها ودع أمَّةً في شربِها قدحُوا

بكر يخال إذ ما المزج خالطها ** سقاتها أنَّهم زنداً بها قــدحُوا (٢)

كما نجد عدداً من الأبيات للشاعر يقيِّد فيها نفسه ويحاول أن يقلِّد المعرِّي في لزوم مالايلزم ، وسيتَّضح ذلك أكثر في الباب الثالث والأخير والذي خُصِّص لدراسة الجوانب الفنية ومن ذلك قوله :

تبارك المبدي المعيد ** قد صدق الوعد والوعيدْ

الموت من آملٍ قريب ** وهـــو يــرى أنَّه بعيدْ

يودُّ لو عاشَ ألفَ عام ** وكلُّ يــومٍ لــديهِ عــيدْ (٣)

كما نجد للشاعر بعض الأبيات التي يفخر بها سواءً في مراثيه ، أو في الأغراض الأخرى ، فهو يفتخر بعلمه ، وشعره ، وأصله ، وقبيلته " فهر " مثل قوله :

أقرّة أعين الأشراف فهر ** وجَدُّك منهم المحضُ الصريحُ (٤)

وقوله :

أصولُ على الأيَّام منك بواحدٍ ** نَمَتْهُ فروع للعلا وأصولُ (٥)

ويفخر بإبنه وقوله :

وكان سراج قوم هُمُ ** فويق سُرُوجهم سُرُجُ (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ،المرزوقي والجيلاني، ص ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ص ٢٦٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠٣.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٩٦.

ومثله قوله :

بذذت الكهول الغرَّ حِلْماً وسؤدداً ** كذاك عهدنا فِهْرَ للنّاس بذّذَا (١)

ومن فخره بعلمه وشعره قوله :

ظرف أبيه عليه يبدو ** واللفظ والحفظ والحِفَاظ (٢)

وقوله :

غيلانُ دانت له القوافي ** ولم يَصُغ شعره مصاغِي

غظت حسودي فظلَّ يلغى ** في شرفي والحسودُ لاغِ (٣)

ومثله :

وينظم الشِّعر مثل نظمي ** فينتهي غايتي وشاوي (٤)

وحتّى حديثه عن عماه لا يخلو من فخر وقد أوردنا نصَّـــاً للأســتاذ الــدكتور صـــلاح جرار(٥) ، وهو يتحدَّث في النَّـــص الذي أوردناه في مبحث معشَّـــرات أبـــي الحســن الحُصْريّ الغزلية يتحدَّث عن افتخار العميان بعمـــاهم ، وأنَّهـــم يهتـــدون ببصـــيرتهم لا ببصرهم . وقد وجدنا هذا المعنى عند شاعرنا أبي الحسن الحَصْريّ إذ يقول :

نبا بصري فناب القلبُ عنه ** وبتُ به أُلـــحُّ ولا ألـــيـــحُ

ألم تر أنَّني بهُـــــدى فؤادي ** تبيَّن لي من الحسن القبيحُ(٦)

وبالجملة فإنَّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ كان معتدَّاً بنفسه مفتخراً بعلمه ، وأدبه ، وإبنه ، وقبيلته ، وفوق ذلك يرى نفسه بحراً زاخراً بشتَّى العلوم والفنون :

ولاعجب لجوهرتي ** أليس البحر معدنها (٧)

وله أبيات يتحدث فيها عن العقيدة والدّين وهى تؤكِّد ما تحدَّثنا عنه في الحياة الدينية من وجـــود بعض الفرق والمذاهب ، مثل الشيعة ، والسُّنة ، والزنادقة ، ومن ذلك قوله :

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ،المرزوقي والجيلاني، ص ٣١٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٠.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨٧.

(٥) أستاذ الأدب الأندلسيّ والمغربيّ بالجامعة الأردنية ـــ كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها ، وقصد الباحث التفصيل عن المؤلِّف ومؤلَّفه لأنّ الكتاب يُعَدُّ من الإصدارات الحديثة في موضوعه فطبعتُهُ الأولى في العام ٢٠٠٧م ولقيمته العلمية في رأي الباحث ،

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٧) المرجع السابق ، ص ٣٨١.

مَنْ بنى السماء ؟ ومَنْ ** ثجَّ معــصــرها؟

مَنْ دحا البسيطة ؟ مَنْ ** حاطها بأبحرها ؟(١)

إلى أن يقول :

لاتــطــع زنــادقة ** ساء عقد مضمرها

كن مع الجماعة لا ** ترد مع مغــــررها

أسهل الطرائق خذ ** ودع سلوك أوعرها

من يشـــب مقالته ** بالشكوك يعــترها (٢)

وعن أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ووجوب محبَّتهم ، والبعــد عــن مــذهب الرافضة أو الروافض ، وحبِّ معاوية بن أبي سفيان ، وفي ذلك إشارة للبعد عــن الفتنـــه بين الخوارج والشيعة يقول :

أولئك أصــحاب النَّبىِّ أحبــَّهم ** وأطعن في أعــدائهم طعــن مقتصٍّ

فكن مســلماً في حبِّهم ومُسَلِّماً ** ولاتك عن قــولِ الروافضِ تستقصىِ

وحبّ ابن حربٍ مع أولئك سنة ** فليت اسم كلّ خطَّــه النقش في فصٍّ

جرى ما جرى والله قاضٍ وغافر فيا نفس مهلاً غير قصَّــتهم قُصِّي**

(٣)

كما أشرنا في حديثنا عن مؤلَّفاته إلى شعره التعليمي ومن ذلك منظومته في القراءات ، فهي تدخل ضمن شعره في الأغراض الأخرى ومطلعها :

إذا قلت أبياتاً حساناً من الشِّعرِ ** فلا قلتها فى وصفِ وصلٍ ولاهجرِ (٤)

وتحدث كذلك عن جور بعض السلاطين والملوك بالأندلس وظلمهم ، ولعلٍَّ ذلك من الأسباب التي دعته إلى التبرُّم والتذمُّر من مدحهم ، والتصريح بأنَّه لم يمدح بعضهم إلَّا مضطراً ، يقول الشاعر عن جور السلاطين ، والظلم الحاصل من بعض الملوك :

قد حانت الساعة القنوت ** فحسبك التوبُ والقنوت

جاءتك أشراطها ومنها ** جور السلاطين والسنوت (٥)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ،المرزوقي والجيلاني، ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٥.

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧.

(٥) المرجع السابق ، ص ٧١ ، وص ٢٦٩.

ومثل ذلك قوله :

يا ظالم النّاس سد حلقاً ** لأكل أمـوالهم فتحته

رزق الفتى حاضر لديه ** إن لم يكن فوقه فتحته (١)

ولا يخفى ولعه بالجناس في نهاية البيتين . وبهذا نكون قد تعرّضنا لتحليل الموضوعات والأغراض الشعرية عند أبي الحسن الحُصْريّ ، إن لم تكن كلّها ، فجلّها وغالبها الأعم إذ لا يخلو عمل من خطأ أو نقص أو نسيان. ونختم هذا الباب ببعض الملاحظات على موضوعاته ومعانيه .

إذ نجد أنَّ معاني شعره قد تميَّزت بما تميَّز به الشعر الأندلسيّ عامة ، فالأغراض التى تعرّضنا لها كلُّها من المعاني المعروفة ، وقد يكون الشاعر طوّر في بعض موضوعات وأشكال شعره مثل رثائه لمدينة القيروان ، ورثاء ابنه ، وشكل معشَّراته الغزلية ، وشعره المقيَّد ونحو ذلك كما أنَّ بعض هذه المعاني والموضوعات التى ابتكرها الأندلسيون ، وابدعوا فيها لم نجدها عند شاعرنا مثل وصف الطبيعة ، والموشَّحات والأزجال مثلاً ، علماً بأنَّها من ملامح التجديد في الشعر الأندلسيّ وقد ذكر بعض هذه الملامح والابتكارات الدكتور سعد إسماعيل شلبي حيث يقول : (فكلٌّ فنٍّ ابتكر فيه الأندلسيون ، أو أضافوا إليه من ذواتهم ، وطبعوه بأفكارهم نعُدُّه من الفنون الأصيلة عندهم ، كوصف البرك ، والتماثيل ، والقصور ، والرسوم ، والمخترعات الجديدة ، وما أنشدوه في بكاء المدن ورثاء الممالك ، وما قالوه على البديهة والارتجال ، وما خلَّفوه من الموشَّحات والأزجال) (٢) اللهُمَّ إلَّا ان تكون ملامح التجديد هذه أو بعضها في شعره الذي لم يجمع بديوانه أو الذي لم يعثر عليه.

وبعرضنا وتحليلنا للموضوعات والأغراض التي تحدّث عنها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ ، نلاحظ أنّ كثيراً من الموضوعات التي ذكرت في النص السابق ، والتي تعدّ من ملامح التجديد كما ذكرنا مفقودة في شعر أبي الحسن الحَصْريّ.

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ،المرزوقي والجيلاني، ص ٧١ ، ص ٢٧٠.

(٢)دراسات أدبية في الشعر الأندلسى ، الدكتور سعد إسماعيل شلبى ، ص ٦٥.

الباب الثَّالث

الخصائص الفنية في شِعْر أبي الحَسَن الحُصْريّ

الفصل الأوَّل : **الأوزان والقوافــي في شِـعْـر ه**

الفصل الثَّاني : **الأساليب البلاغية في شِعْر ه**

الفصل الثَّالث : **بناء القصيدة في شِـعْـر ه**

الفصل الأوَّل

الأوزان القوافي في شعر أبي الحسن الحصريّ

المبحث الأوَّل :ــ الأوزان في شِعْره .

الأوزان تشكِّل مع القوافي أحد أهمَّ عناصر القصيدة العربية ، إضافة إلى الألفــاظ والمعاني ، ونجدها في بعض تعريفات الشِّعر حيث يقول قدامة بن جعفر في حدِّ الشــعر (إنَّه قول موزون مقفَّى يدُلُّ على معنى) (١) ونجده يفصِّــل هذه التعريف في موضع آخر ــ مصرِّحاً بالعناصر الأربعة للشِّعر ــ وذلك في قوله (... المفردات التي يُحيط بها حــدُّ الشِّعر على ماقدَّمنا القول فيه أربعة : وهي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقفية) (٢)

أمّا الدكتور عبد العزيز عتيق فقد تحدَّث عن ضرورة وحدة الوزن ، ووحدة القافية ، وأنَّهما من مقوِّمات القصيدة حيث قال : (القصيدة العربية في الشِّعر الملتزم ، تعتمد مــن جهة نظمها على أصلين هما : وحدة الوزن ، ووحدة القافية) (٣) .

وقد قدّمنا هذه النصوص لندلِّل عَلَى أهميّــة هــذا الفصــل بمبحثيــه ، وعنايــة النقــاد ، والعروضيين ، والأدباء بهما ، وقد لاحظت وأنا أبحث وأقلِّبُ صفحات وفهارس بعض الرسائل الجامعية أنّ عدداً من الباحثين يتجاهل ، أو يغفل الحديث عن الأوزان والقوافي ،ولا أدري ربَما يرجع ذلك للصعوبة التي يراها البعض في علم العروض ، وما يتطلَّبه تقطيع الأبيات ، ووزنها ، وحصرها ، وتصنيفها ، وإحصائها من جهد ومشقَّة ، وقد وجدت هــذه المشــقَّة والإجهــاد الذهني ، وأنا أحاول أنْ أتعرَّف على الأوزان التي استخدمها الشاعر أبــو الحســن الحُصْــري وأحصي كلَّ أبيات الشعر والقصائد التي ضمَّنها ديوانه ، والحقُّ يُقَال : فقد وجدت في ذلك متعة وراحة نفسية ، للفائدة التي وجدتُها ، وأتمنى أن يجدها القارىء ، لأنَّ فكرة الإحصــاء وعمــل الجداول والتي أشار عليَّ بها مشرفي ــ جزاهُ الله خيراً ــــ تعطي معلومات دقيقة وواضحة ، عن البحور والقوافي التي استخدمها الشاعر ــ ونِسَب هذا الاستخدام حيث تســتطيع أن تتبــيّن بسهولة أيّ البحور والقوافي استخدمها الشاعر أكثر ، وأيُّها كان استخدامه لها أقــلّ ؟ ومــاهي الأوزان التي لم يستخدمها ؟ وهكذا ، وستجد هذه الجداول الإحصائية في نهاية كلّ مبحث .

---

(١) نقد الشِّعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم حفاجة ، الطبعــة الأولــى (١٣٩٨هــ ــــ ١٩٧٨م) الناشر، مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر القاهرة ، ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩.

(٣) علم العروض والقافية ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضــة العربيــة للطباعــة والنشــر ، بيــروت (١٤٠٧هــــ ــ ١٩٨٧م) ، (لم يذكر رقم الطبعة) ص ٢٢.

ولنأخذ الآن نماذج لكلِّ البحور التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْري ، فقد اهتدى الباحث إلى أن يبيِّن أوزان البحور التي استخدمها الشاعر حسب ترتيب الدوائر العروضية . فقد رتَّب العروضيون بحور الشِّعر الستة عشر في خمس دوائر عروضية ، واستفاد الباحث من هذا الترتيب في تنظيم النَّماذج الشِّعرية ، وذلك بإيراد أمثلة من شعر أبي الحسن الحُصْريّ لكلِّ دائرة من تلك الدوائر تؤكِّد وتوضِّح أنّ الشاعر قد استخدم هذا البحر أو ذاك في قصائده . وقد وجد الباحث أنَّ هذا النهج يجنِّبنا الإطالة دون الفائدة المرجوَّة ، وفي ذات الوقت نستطيع أن نتلمَّس من خلاله تنوُّع البحور أو الأوزان التي نظم عليها الشاعر قصائده . خاصة وأنَّ محقِّقي ديوان أبي الحسن الحُصْريّ لم يُبَيِّنا بحور قصائده . كما نجد ذلك في عدد من الدواوين ألمحقَّقه ، فاضطررت إلى تتبُّع القصائد واحدة تلو الأخرى ، لتقطيعها ومعرفة بحورها ، مع الاستعانة ببعض الزملاء ، والأساتذة ، وذوي الخبرة والتخصُّص في هذا المجال .

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : (وقد رتَّب العروضيون بحور الشعر الستة عشر على حسب اشتراك كلِّ مجموعة منها في دائرة عروضية واحدة على الوجه التالي (١) :

(١) الطويل ، والمديد ، والبسيط .
(٢) الوافر ، والكامل .
(٣) الهزج ، والرّجز ، والرَّمل .
(٤) السريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث.
(٥) المتقارب ، والمتدارك .

فالدائرة الأولى تُسَمَّى دائرة المختلف ، والثانية دائرة المؤتلف ، والثالثة دائرة المجتلب ، والرابعة دائرة المشتبه ، والخامسة دائرة المتفق .

(١) الدائرة الأولى وهي دائرة المختلف :ــ

بحور هذه الدائرة ثلاثة هي : ١/ الطويل ٢/المديد ٣/ البسيط

وأوَّل ما يلاحظ على هذه الدائرة أنَّها أكثر الدوائر التي استخدمها الشاعر لأنَّه قد استخدم بحر الطويل ــ وهو أكثر البحور استخداماً في شعر الشاعر ــ بنسبة ٣٧,٣% وهي أعلى نسبة مئويَّة . كما استخدم بحر البسيط ويحتلُّ المرتبة الثانية من حيث

---

(١) علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، ص ٢٦.

الاستخدام في شعر أبي الحسن الحُصْريّ بنسبة ٣٠% أمَّا بحر المديد فقد جاء في المرتبة الثامنة من حيث الاستخدام بنسبة ٢,٧% فإذا جمعت نِسَبَ بحور هذه الدائرة الثلاثة وجدت أنَّها تشكِّل نسبة ٧٠% من قصائد الشاعر لذلك فهي أكثر الدوائر التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ .

والملاحظة الثانية أنَّ الشاعر قد نظم جميع معشّراته الغزلية على بحر الطويل ، فقد تتَّبعتُ جميع قصائده وهي تسع وعشرون قصيدة ، في كلِّ قصيدة عشرة أبيات لذا سُمِّيت بالمعشَّرات ووجدت كذلك أنَّ الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى التصريع في مطالع عدد كبير من قصائده عموماً وقد وجدتُ التصريع كذلك في مطلع أولى معشَّراته حيث يقول :

أمالك ياداءُ المحبِّ دواءُ ** بلى عند بعض الناس منك شفاءُ(١)

فيلاحظ التصريع في مجانسة الشاعر لعروض البيت وضربه (دواء ، شفاء) في الوزن والقافية .

وكونُ الشاعر قد استخدم بحر الطويل في جميع معشَّراته الغزلية لا يعنى ذلك أنَّه لم يستخدمه في بقية الأغراض فقد استخدمه في بعض مراثيه ومن ذلك قوله في مطلع إحدى تلك المراثي :

أيا كعبةً كانت مُنَى المتطوِّفِ ** تحرَّفتِ والمشتاقُ لم يتحرَّفِ (٢)

كما استخدمه في بعض مدائحه ومن ذلك قوله في مطلع مِدْحته لعَليٍّ بن مجاهد العامريّ :

ظمئتُ ومُنَهَلُّ المدامع منهلي ** ولاحوم لي إلَّا على ورد حوملِ (٣)

أمّا بحر المديد فمن القصائد التي استخدمه فيها الشاعر قوله :

أهواكم جدَّ مازحُهُ ** والحِمَى لم يدْنُ نازحُه (٤)

(١) أبو الحسن الحَصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢١٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢١.

وقد عُني الشاعر باستخدام بحر البسيط تامًّاً ومخلَّعاً واستخدامه مخلَّع البسيط أكثــر مــن استخدامه للبسيط التام إذ إنَّ نسبة استخدامه لمخلَّع البسيط ٢٧,٣% بينما استخدم البســيط التام بنسبة ٢,٧% ، ومجموع النسبتين ٣٠% . وقد تقدَّم أنَّ بحر البسيط احتلّ المرتبــة الثانية من حيث الاستخدام في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، وقد لاحظت كــذلك أنَّ كــلَّ قصائد ذيل ديوانه " اقتراح القريح واجتراح الجريح " في الرّثاء قد نظمها علــى مخلَّــع البسيط وهي تسع وعشرون قصيدة في كلِّ قصيدة خمسة عشر بيتاً في موضوع واحد هو الرّثاء .

ومن قصائده التى استخدم فيها بحر البسيط تامّاً قوله في مطلع قصيدته التي يرثي ويندُب فيها مدينة القيروان :

موتُ الكرام حياة في مواطنهم ** فإن هُمُ اغتربوا ماتوا وما ماتوا (١)

وكذلك قوله :

دهرُ حوادثه شتَّى الأحاديثِ ** فاسمع بما شئت عن نوحٍ وعن شيث (٢)

أمَّــا مخلَّع البسيط فمنه قوله :

أتعبني بعْدكَ البقاءُ ** وفي وفاتي لكَ الوفاءُ (٣)

وكذلك قوله :

ذو العرش أرجو بعفوه أن ** أسكن طوبى وأنت جاري (٤)

وكذلك قوله :

سهرتُ من بعدك الليالي ** كأنَّما الجمُر لي فراشُ (٥)

(٢) الدائرة الثَّانية وهي دائرة المؤتلف :

نظم الشاعر بعض قصائده على بَحْرَيْ هذه الدائرة وهما الكامل ، والوافر ويمكن القــول أنَّ هذه الدائرة قد احتلَّت المرتبة الثانية من حيث النظم على بحورها لأنَّ ترتيب بحر الكامــل في المرتبة الثالثة بنسبة ٨,٢% ، وترتيب بحر الوافر في المركز الرابع

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٢٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص٤٦٦.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٨٤

بنسبة ٥,٥% وحاصل جمع النِّسبتين هو ١٣,٧% ، وبذلك تكون دائــرة المؤتلــف فــي المرتبة الثانية من حيث استخدام الشاعر لبحورها كما تقدَّم .

وقد نظم الشاعر على بحر الكامل التام بنسبة ٥,٥% ، والمجزوء بنســبة ٢,٧% ، وكذلك الحال بالنسبة لبحر الوافر استخدمه تامّاً بنسبة ٣,٦% ومجــزوءً بنســبة ١,٨% وإليك الأمثلة والنماذج : ــ

فمن استخدامه لبحر الكامل قوله يمدح أبا العباس النحويَّ البلنسيّ:

قامت لأسقامي مقام طبيبها ** ذكرى بلنسيةٍ وذكر أديبها (١)

وقوله في الغزل :

رُدِّي حُشاشةَ عاشقٍ مهجورِ ** بين الملوم عليك والمعذورِ (٢)

أمَّا مجزوء الكامل فمنه قوله في الرّثاء :

يانورَ عيني فقدتُه ** وفي الفؤاد وجدتُه (٣)

واستخدام الشاعر لبحر الكامل تامّــاً أكثر من استخدامه له مجزوءً وكذلك الحال بالنســبة لبحر الوافر فمن استخدامه للوافر تامّــاً قوله في قصيدته التي مدح بها أحمد بن ســليمان بن هود الملقَّب بالمقتدر بالله :

كذا تُفْتَــضُّ أبكارُ البلادِ ** ولامهر سوى البيضِ الحدادِ (٤)

وقوله كذلك في قصيدته الحائية في الرّثاء التى مطلعها :

على تعمير نوح مات نوحُ ** فنائحة لأمرٍ ما تنوح (٥)

ويلاحظ أنَّ الشاعر لم يستخدم التصريع فحَسْب بل بدت براعته فــي مجانســة عــروض البيت وضربه في قوله " مات نوح ، وما تنوحُ "

أمّا مجزوء الوافر فمنه قوله :

مُقِرُّ العين أسخنها ** ومُسْلي النفس أحزنها (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٨١.

(٣) الدائرة الثالثة وهي دائرة المجتلب :ـــــ

هذه الدائرة تأتي في الترتيب الأخير حيث إنَّ نِسَب بحورها التي استخدمها الشـــاعر شكَّلت أقلَّ النِّسَب فبلغت نسبة استخدامه لبحر الرَّمل ١,٨% أمَّا بحر الرجز فنسبته ٠,٩% ولم يستخدم بحر الهزج في قصائده ولكنَّـــه استخدمه في مقطوعاته التي تتكون من بيتـــين أو ثلاثة في الغالب وناتج جمع نسبة هذين البحرين (الرَّمل والرجز) تكون ٢,٧% لذا فإنّ هذه الدائرة هي أقلُّ دائرة استخدم الشاعر بحورها .

وقد استخدم الرَّمل تامّـــاً بنسبة ٠,٩ % ومجزوءاً بنسبة ٠,٩% فمن الرمَل التـــام قوله :

لاشفاني الدَّمعُ إلا بالشَّرَقْ ** فكِلوا إنسان عيني بالغَرَقْ (١)

ومن الرَّمل المجزوء قوله :

أيّ صبرٍ عنك أقوى ** ومحلّى منك أقوى (٢)

ولم أعثر في ديوانه على غير هاتين القصيدتين في بحر الرَّمل واحدة من بحر الرمل التام والأخرى من بحر الرَّمل المجزوء .

أمّا بحر الرَجَز فقد عثرت على قصيدة واحدة أيضاً استخدمه فيها مجزوءاً ومطلعها :

ياقمري من قمرك ** حسنك حتَّى غيَّرك (٣)

كما إنّ الشاعر قد استخدم مجزوء الرجز في عِدَّة مواضع وذلك في مقطوعاته الشـــعرية التي تتكون غالباً من بيتين .

(٤) الدائرة الرابعة وهي دائرة المشتبه :ـــ

وبحور هذه الدائرة التي نظم عليها الشاعر هي : الخفيف ، والمنسرح ، والســـريع أمّا المضارع ، والمقتضب ، والمجتث فلم أعثر على قصائد للشاعر نظمها علـــى هـــذه البحور وقد يكون ذلك في شعره الذي لم يُجْمَع في الديوان أو الذي لم يُعْـــثـــــَر عليـــه . وترتيب هذه الدائرة يأتي في المرتبة الثالثة حيث بلغت نسبة بحر الخفيف مـــن مجمـــوع قصائده ٥,٥% وبحر المنسرح ١,٨% ، وبحر السريع ٠,٩% والمجموع الكُلِّـــي لهـــذه البحور بلغ ٨,٢% وبهذه النسبة تحتلُّ دائرة المشتبه المرتبة الثالثة .

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

وقد وجدنا بحر الخفيف تامّـــاً بنسبة ٣,٦% ومجزوءاً بنسبة ١,٨% في شعر أبـــي الحسن الحُصْريّ فمن الحفيف التام قوله :

انهلال الدُّموع يشفي الكئيبا ** إنْ هلال العلا أطال المغيبا (١)

ومن مجزوء الخفيف قوله :

من مُجيري ومُصرخي ** قد هوى كلُّ أبلخ (٢)

أمّا المنسرح فقد استخدمه تامّاً فقط في قصائده ومن ذلك قوله :

في رحمة الله منْ توفَّاهُ ** فقامت المكرمات تنعاهُ

واستخد م بحر السريع تامّاً أيضاً وقد وجدت له قصيدة واحدة فقط ومطلعها :

رضاً بحكم الله لاسخطا ** بعَــدْلِه يأخذ ما أعطى (٣)

(٥) الدائرة الخامسة وهي دائرة المتَّفق :ــ

وتضمُّ هذه الدائرة بحرين هما : المتقارب ، والمتدارك " الخبب " وتحـــتلُّس هـــذه الدائرة المركز الرابع أوقبل الأخير في شعر أبي الحسن الحُصْــريّ إذ إنَّ نســبة بحـــر المتقارب

من جملة قصائده ٢,٧% وكذلك نسبة بحر المتدارك أو الخبـــب ٢,٧% ومجموعهمـــا يبلغ ٥,٤% وهي النِّسبة التي جعلت هذه الدائرة تحتلُّ المركز الرابع أو قبل الأخير من جملة قصائد أبي الحسن الحُصْريّ وقد استخدم بحر المتقارب التـــام والمجـــزوء أمّـــا قصائده التي نظمها على بحر المتدارك أو الخبب فقد استخدمه تامّـــاً ولـــم يســـتخدمه مجزوءاً . ومن قصائده التي نظمها في المتقارب التام قوله :

هو الدّهر يُبكي إذا أضحكا ** فمالك تضحك ممَّن بكى (٤)

أمّا المتقارب المجزوء فمنه قوله :

فؤادي وفود الحدث ** يشيبان من ذا الحدث (٥)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٥٣

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٩١.

ومن بحر المتدارك أو الخبب قصيدته في مدح بني عبّاد لاسيّما المعتمد إذ يقول :

أعن الإغريض أم البردِ ** ضحك المتعجِّب من جلدِي (١)

ودونك رائعته :

يا ليلُ الصَّبُّ متى غدُهُ ** أقيام السّاعة موعدُهُ (٢)

والتي في أبياتها ما يشير إلى معرفة أبي الحسن الحُصْريّ بعلم العروض وبحور الشعر حيث يقول :ـ

ما أجود شِعري في خببٍ ** والشِّعر قليل جيِّدُهُ (٣)

ونخلص من هذا المبحث إلى أنَّ تنوُّع الأوزان وتعدُّد البحور في شعر أبي الحسن الحُصْريّ يدلُّ على عِدَّة أشياء منها : معرفته بل يمكن أن نقول تمكُّنه من علم العروض ، وملكته الشِّعرية التي جعلته ينوِّع في نظم أشعاره ، فوجدنا مجموعة قصائد في موضوع واحد ، وبحر واحد كما في معشَّراته الغزلية التي نظمها جميعها على بحر الطويل ، وذيل مراثيه التي نظمها جميعها على مُخَلَّع البسيط ، كما لاحظنا أنَّه قد نظم على كلِّ بحور الدوائر العروضية باستثناء الدائرة الرابعة دائرة المشتبه .

حيث لم نعثر في ديوانه على قصائد منظومة في بحر المقتضب ، ولا في بحر المضارع ، ولافي بحر المجتث ، كما أنَّنا لم نعثر له على قصيدة في بحر الهزج لكنَّه استخدمه في مقطوعاته كما أسلفنا . فيكون مجموع البحور التي استخدمها أبو الحسن الحُصْريّ في شعره ثلاثة عشر بحراً من أصل ستة عشر بحراً.

وأحْسَبُ أنَّ الصورة الآن تكاد تكون ، قد اتضحت بالنسبة للأوزان في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، وحتى تكتمل الصورة ، وتزداد وضوحاً فقد حرصت على أن أُلْحِق في نهاية هذا المبحث جدولاً أحصيت فيه عدد القصائد التي نظمها الشاعر في كل بحر من البحور ونسبها المئوية حتى أوفي هذا المبحث حقَّه ، ومن ثَمَّ انتقل إلى المبحث المكمل وهو مبحث القوافي .

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

جدول يُوضِّح ويُفصِّل أوزان البحور التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ ، ونسبها المئوية ، وهي مرتَّبة ترتيباً تنازلياً :ــ

م	البحر	نوعه	عدد القصائد	النسبة المئوية
١	الطويل	تام	٤١	%٣٧,٣
٢	البسيط	تام	٣	%٢,٧
	البسيط	مخلَّع	٣٠	%٢٧,٣
	البسيط	(تام + مخلَّع)	٣٣	%٣٠
٣	الكامل	تام	٦	%٥,٥
	الكامل	مجزوء	٣	%٢,٧
	الكامل	(تام + مجزوء)	٩	%٨,٢
٤	الوافر	تام	٤	%٣,٦
	الوافر	مجزوء	٢	%١,٨
	الوافر	(تام + مجزوء)	٦	%٥,٥
٥	الخفيف	تام	٤	%٣,٦
	الخفيف	مجزوء	٢	%١,٨
	الخفيف	(تام + مجزوء)	٦	%٥,٥
٦	المتدارك (الخبب)	تام	٣	%٢,٧
٧	المتقارب	تام	٢	%١,٨
	المتقارب	مجزوء	١	%٠,٩
	المتقارب	(تام + مجزوء)	٣	%٢,٧
٨	المديد	تام	٣	%٢,٧
٩	الرّمل	تام	١	%٠,٩
	الرَّمل	مجزوء	١	%٠,٩
	الرَّمل	(تام + مجزوء)	٢	%١,٨
١٠	المنسرح	تام	٢	%١,٨
١١	السريع	تام	١	%٠,٩
١٢	الرَّجز	مجزوء	١	%٠,٩

المبحث الثَّاني :ــ القوافي في شعره.

تحدَّث العروضيون ، والنقاد ، والأدباء عن القوافي ، وتعريفها ،ووصــفها ، وضـرورة الاعتناء بها ، كما بيّنوا حروفها ، وحركاتها وعيوبها .

يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق عن تعريف القافية : (يُعرِّف علماء العروض القافية بأنَّهــا هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كلِّ بيت) (١)

أمّا إبراهيم أنيس فيقول : (ليست القافية إلَّا عِدَّة أصوات تتكرَّر فــي أواخــر الأشــطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكرُّرها هذا يكون جزءاً هامّا من الموســيقى الشــعرية فهــي بمثابــة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردّدها) (٢)

وممَّا سبق يتبيَّــن أنّ القافية تعطي جرساً موسيقياً للقصيدة وما إن نستمع إلى البيت الأوَّل من القصيدة حتى تتهيَّأ الأذُنُ لسماع ذلك الصوت في مايأتي بعدُ من أبيات ، وقد تتبعتُ القوافي التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ في ديوانه ، فوجدته قد استخدم كل حروف الهجاء ، في قوافيه ، وقد يكون حرف الرَّويِّ ساكناً أو متحركاً ، وقد آثرت أن أسير على ذات الــنهج الذي اتبعته في مبحث الأوزان وذلك بعمل جدول أحصيت فيه كلَّ أبيات الشعر في ديوان أبــي الحسن الحُصْريّ ، وبيَّــنت فيه كذلك جميع الحروف بحركاتها التي اســتخدمها الشــاعر فــي قوافيه ، وإن كانت القافية تشمل حروفاً غير حرف الروى على اعتبار التعريف القائل : (أنَّها السَّاكنان الأخيران من البيت ومابينهما ، مع حركة ماقبل السَّاكن الأول منهما .) (٣)

وإن كنت قد رتَّبت أوزنه على ترتيب الدوائر العروضية ، فإنِّي أرتِّب قوافيه على ترتيــب الحروف الهجائية مبيِّنا النسبة المئوية التي استخدمها الشاعر لكلِّ حرف من حروف الهجاء .

(١) قافية الهمزة :ــ

وقد استخدم الشاعر قافية الألف في (٩٠) بيتاً بنسبة بلغت ٢,٦% ،مرة مضمومة مثل قوله :

أتعبني بعدك البقاءُ ** وفي وفاتي لك الوفاءُ (٤)

---

(١) علم العروض والقافية ، عبدالعزيز عتيق ، ١٣٤.

(٢) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس، الطعبة الثانيه ، ١٩٦٥م ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ــ مصر ، ص ٢٤٦ .

(٣) القافية والأصوات اللغوية ، الأستاذ الدكتور محمد عوني عبدالرؤوف ، الطبعة الثانية (١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م) الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، مكتبة دار المعرفة ، مصر ، ص ١٥.

(٤) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٥٧.

ومرَّة مكسورة مثل قوله :

حاشاك من نارٍ على الأحشاءِ ** يزدادُ ضعفاً حرُّها بالماءِ (١)

(٢) قافية الباء :ـ

استخدمها الشاعر في (١٢٥) بيتاً بنسبة بلغت ٣,٥% فتارة يستخدمها مضمومة مثل قوله :

الويل لي يا حُبَيِّــبِي إنْ ** غالت غداً دونك الذُّنوبُ (٢)

وتارة نجدها مفتوحة مع ألف الإطلاق وفي هذه الحالة تكون الباء روِيًّا وحركتها وهي الفتحة تُسمَّى المَجْرى ، والألف الناتجة عن إشباع حركة الرَّويِّ وصلاً وذلك كما فـــي قوله :

بَكَتْ رحمةً للصَّبِّ عينُ عدوِّهِ ** فما لحبيبِ القلبِ لايرحمُ الصَّــبَّا

بخيل بأن يحيا القتيلُ بلحظهِ ** وأن يردَ الظمآنُ باردَهُ العــــــذبَا(٣)

وكما هو معلوم فإنِّ الوصل قد يكون حرف مدٍّ ناتج عن إشباع حركة الرويِّ كما تقدَّم ، وقد يكون هاءً محَرَّكةً أو ساكنة كما في قول أبي الحسن الحُصْريّ :

يا قتيلاً طلَّ مــــنه دم ** بين أسد الغاب طُلَّبِهِ

كان سيفاً في يدي ذكراً ** لو قتلتُ الفيل طلَّ بهِ (٤)

فحرف الرَّويِّ هو الباء ، والهاء وصل والباء الناتجة عن إشــباع الهــاء المكســورة خَروج وهي من القوافي المطلقة المجرَّدة الموصولة بالهاء ، وقد تكون قوافي بعــض قصائده مشتملة على رِدفٍ ، ورويٍّ ، ووصلٍ ، وخَروجٍ وذلك مثل قوله :

قامت لأسقامي مقام طبيبها ** ذكــــرى بلنسية وذكر أديبها

حدَّثتني فشفيتَ منِّى لوعة ** أمسيتُ محترق الحشا بلهيبها (٥)

فالياء رِدفُ ُ لأنَّ الردف هو حرف المدِّ ألفاً ، أو ياءً ، أو واواً الذي يكون قبل حــرف الرويِّ ــ والباء هي حرف الرويِّ ، والهاء وصلُ ُ ، والألفُ خَروج . وهي كذلك من

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢٧٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٥

(٣) المرجع السابق ، ٢١٣.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٣.

(٥) المرجع السابق ، ص ١١٦.

وهي من قوافيه المطلقة المجرَّدة الموصولة بالهاء .

كما استخدم حرف الباء مكسوراً مثل قوله :

نفرِّط في العُمُرِ الذَّاهبِ ** ونغترُّ بالأملِ الكاذبِ (١)

ويلاحظ وجود التأسيس ، وهو الألف الذي بينه وبين حرف الرويِّ حرف واحد صحيح وهو هنا حرف الذال ، ويُسمَّى هذا الحرف الذي يفصل بين حرف الرّويِّ وألف التأسيس بالدَّخيل وعلى ذلك تكون الباء المكسورة هي حرف الرويِّ والذال التي قبلها دخيل ، والألف الذي قبل الذال تأسيس.

(٥) قافية التاء:ــ

وعدد أبياته التى نظمها على قافية التاء (١٠٠) بيتاً مثَّلَت ٢,٨% من جملة أبيات شعره البالغ عددُها (٣٥٢٥) بيتاً وقد تنوَّعت حركة التاء فأحياناً نجدها في بعض قصائده مضمومة مثل قوله :

بتُّ أخا الحُزن فيك وحدي ** وصحبتي في السُّرور باتُوا (٢)

كما استخدمها مفتوحة مع الألف مثل قوله :

هذا أبوك أكنَّ حسرته ** لكنَّ عينيه به وَشَتَا (٣)

واستخدمها مكسورة كذلك مثل قوله :

تُرى قبَّلتكَ الرِّيحُ عنِّي وبلَّغَتْ ** من السِّر ما استودعتُها حين هبَّتِ (٤)

(٦) قافية الثاء :ــ

مثَّلت نسبتها ٣% من أبياته ، وبلغ عدد أبياته التي قافيتها حرف الثاء (١٠٤) بيتاً منها الثاء المضمومة مثل قوله :

مُتَّ يا عبد الغنيِّ ومالي ** منك إلَّا حَسَراتي تُراثُ (٥)

ومنها المفتوحة مع الألف مثل قوله :

أصبحتُ يوم دهاك الموتُ يا ولدي ** كأنَّ حولي من الظلماء أملاثا (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٨.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٤.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٤.

(٦) المرجع السايق ، ص ٢٩٥.

ومن التاء المكسورة نورد قوله :

تَبَوَّأِ الخلدَ مطمئنَّاً ** واشفع غداً إذ أبوك جاثِ (١)

كما استخدم الثاء ساكنة وهي من القصائد القليلة جدَّاً إن لم تكن النادرة التي يكتفي فيها بحرف الرّويِّ الساكن ومن ذلك قوله :

رماني زماني الذي ** إذا طَلب الحرَّ حَثْ (٢)

وهي من قوافيه المقيدة التي يقلُّ استعمالها في قصائده .

(٥) قافية الجيم :ـ

بلغ عدد أبيات هذه القافية (٧٩) بيتاً وشكَّلت نسبة أبياتها ٢,٢% من جملة أبيات شعره وقد استخدمها مضمومة ، ومفتوحة مع الألف ، فمثالها مضمومة قوله :

ذوى ريحانتي الأرجُ ** وضاق مَحَلِّي الفَرِجُ (٣)

ومثالها مفتوحة مع الألف قوله :

ثهلانُ لوكان لي لأمست ** عليك أحشاؤه نضاجَا (٤)

وبما أنَّنى قد أعددت جدولاً مفَصَّلاً يبيِّن جميع حروف الهجاء التي استخدمها الشاعر في قوافيه ، وحركات هذه الحروف وعددها ، ونسبتها التي تمثِّلها من جملة أبياته ، فيمكن أن نورد هنا نماذجاً مجملة لبقية حروف الهجاء ؛ لأنَّك تجد التفصيل في الجداول الملحقة بنهاية هذا المبحث خشية التّكرار خاصة وأنَّ الصورة تكاد تكون قد اتَّضحت وهي أنّ الشاعر قد استخدم جميع حروف الهجاء في قوافيه بحركاتها المختلفة ، فمنها المضموم ، والمفتوح ، والمكسور ، والساكن ممَّا يدُلُّ على ملكةٍ وتمكُّن .

(٦) قافية الحاء :ـ

حسبتُ النَّوى تُسْلي فزدتُ بها هويً ** وأغلقتُ باب الوصلِ من حيث يُفْتَحُ (٥)

(٧) قافية الخاء :ـ

خالفتُ فيك البُكا كأنِّي ** ورقاءُ تبكي على فراخِ (٦)

---

(١) أبوالحسن الحُصْريّ ، القيرواني ، المرزوقي والجيلاني،ص ٤٦٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦١.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٧.

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٣.

(٨) قافية الدال :ـــ

ومنها رائعته :

يا ليل الصَّبُّ متى غدُهُ ** أقيامُ السَّاعةِ موعدُهُ (١)

ومنها قوله :ـــ

ديارَهُمُ لا غيَّرتكِ يدُ البِلي ** ولازال يسقيكِ الحَيَا ويجودُ (٢)

(٩) قافية الذال :ـــ

داوَوْك من عِلَّتيك حتَّى ** تسلَّلوا منهما لواذا (٣)

(١٠) قافية الراء:ـــ

اذهب لك الله جارُ ** وجَنَّة الخلدِ دارُ (٤)

ومنها أيضا منظومته في القراءات التي بلغت ٢١٢ بيتاً ومنها قوله :

إذا قلتُ أبياتاً حساناً من الشِّعر ** فلاقلتها في وصف وصلٍ ولاهجر (٥)

والجدير بالذكر أنّ قافية الراء مثَّلت أعلى نسبة من الحروف التي استخدمها الشاعر في قوافيه بلغت ١٥,١% وبلغ عدد الأبيات التى استخدم فيها قافية الراء (٥٣١) بيتاً ، وهو أكبر عدد من أبياته بقافية واحدة وهي الراء ، تليها قافية الدَّال بعدد أبيات بلغ (٢٢٨) بيتاً ، ونسبة بلغت ٦,٥% .

(١١) قافية الزاي :ـــ

زخارف دنيانا الأنيقة أصْبحت ** هشيماً كما رثَّ الرَّداءُ المطرَّزُ (٦)

(١٢) قافية السين :ـــ

لا راقني إلَّا الحداد لبوسُ ** إنَّ النَّعيم مع النَّعيِّ لبوسُ (٧)

---

(١) أبو الحسن الحَصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٤٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٥.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٥.

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٧.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٢.

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٢١.

ولا يخفى تسهيله لهمزة " لبؤس" في عجُــز البيت ، وليس بعيب فقد قال إبن قتيبة :(وأمَّا ترك الهمز من المهموز فكثير واسع ، ولاعيب فيه على الشاعر . والـــذي لا يجـــوز أن يهمزغير المهموز) (١)

(١٣) قافية الشين :ـــ

إلى أيٍّ ضوءٍ من بروق المنى تعشو ** وغيث الصوادي سار منك به نعْشُ (٢)

(١٤) قافية الصاد :ـــ

حام الحِمام لفرصةٍ فاستفرَصَـــا ** وسرى إلى شبل الشَّرى متقنِّصَـــا (٣)

(١٥) قافية الضاد :ـــ

سَلِ الرُّكبانَ ما للدَّمع فاضا ** وما للجمع من فهرٍ أفاضا (٤)

(١٦) قافية الطاء :ـــ

طباعي أبت إلَّا التذلُّل في الهوى ** ولازال خَدِّي للحبيب بساطا (٥)

(١٧) قافية الظاء :ـــ

ظفرتُ بقربٍ منك حتَّى إذا صفت ** حياتي وَادَنَتْــنِي إليك حُظُوظُ (٦)

(١٨) قافية العين :ـــ

ضمَّك قبرُ سقاه دمعي ** وليته ضمَّـــنا جميعا (٧)

(١٩) قافية الغين :ـــ

غرقت ولا ماءُ سوى فيض أدمعي ** جَرَت والأسى في باطن الصَّبر دامغُ (٨)

(٢٠) قافية الفاء :ـــ

فنيت هوىً إلاَّ حشاشة مهجتي ** أجولُ بها في مربع ومصيفِ (٩)

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م ، ص ١٠١.

(٢)أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٢٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٧.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٢.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٧.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٨.

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٧٨.

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٣٠.

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٣١.

(٢١) قافية القاف :ـــ

وهي في المرتبة الثالثة بعد الراء ، والدَّال ، إذ إنَّ عدد الأبيات التي نظمها الشاعر مستخدماً هذه القافية ١٨٦ بيتاً شكَّلت نسبة بلغت ٥,٣% من جملة أبياته ومنها قوله :

لاشفاني الدَّمع إلَّا بالشَرَقْ ** فكِلوا إنسان عيني بالغَرَقْ (١)

وهذه القافية كما ذكرنا من القوافي القليلة التي يكتفي فيها الشاعر بحرف الرَّويِّ الساكن .

(٢٢) قافية الكاف :ـــ

كفى حَزناً أن لا صديق وإنَّني ** فريدُ بلا عيشٍ يسُرُّ ولانُسْكِ (٢)

(٢٣) قافية اللام :ـــ

سلالة فِهْرٍ أين منك سَلولُ ** وطفل نزار أين منك طفيلُ (٣)

(٢٤) قافية الميم :ـــ

متى يشتكي المشتاق ممَّن يُحِبُّه ** وهل تنفعُ الشكوى إلى غير راحمِ (٤)

(٢٥) قافية النون :ـــ

نوىً فرَّقت شمل الهوى فمياهُه ** تُزَالُ وأمّا عهدُه فيُصانُ (٥)

وتجيء قافية النون في المرتبة الرابعة بعد الراء ، والدال ، والقاف إذ بلغ عـــدد الأبيـــات التى استخدم فيها الشاعر قافية النون ١٨٥ بيتاً بنسبة ٥,٢% ، تلتها في الترتيـــب قافيـــة الميم آنفة الذّكر والتي بلغ عدد أبياتها ١٦٨ بيتاً ، ونسبتها ٤,٨% .

(٢٦) قافية الهاء :ـــ

شفاعة منك أرتجيها ** يوم قدومي على الإلهِ (٦)

(٢٧) قافية الواو :ـــ

وفتني دموع العين والصَّـــبرُ خانني ** فجُرِّعت في حُبِّي لك المرَّ والحلوا (٧)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤١١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٥.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٦.

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٨٥.

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٢٨) قافية لام الألف :ـ

ولو قضى الله لي بسؤالٍ ** فيه شفى دائيَ العُضَالَا (١)

وقوله كذلك :

اضمحلَّ السرورُ يوم اضمحلاَّ ** يا فؤاد الشجيِّ له إضْ مَحَلَّا (٢)

(٢٩) قافية الياء :ـ

لاتُبعدنِّي غداً وصِلني ** بقُربِ عبديك يا غنيُّ (٣)

وهنالك بعض الظواهر التي لفتت انتباه الباحث في شعر أبــي الحســن الحُصْــريّ أردت أن أؤمِّن عليها وإن كنت قد أشرت إلى بعضها في مبحث الأوزان منها : محاولــة الشاعر أن يلتزم في شعره طريقة متفردة وأسلوباً مميَّزاً مثل التزامــه فــي معشَّـــراته الغزلية أن يكون عدد أبياتها عشرة لاتزيد ولا تنقص حتى كاد محقِّــقا ديوانه أن يجعــلاه رائداً ومبتكراً لطريقة المعشَّــرات هذه حيث يقولان : (ولا ندري إن كان يصِحُّ لنــا أن ندَّعي أنّ الحُصْريّ هو الرائد الأوَّل لأصحاب المعشَّــرات ، وأنَّه هــو المبتكــر لهــذه الطريقة في الشِّعر ، اللهمَّ إلا أن يكون قد سبقه غيره ممَّن لم نطَّلع على آثاره) (٤)

كما التزام في مراثيه التي في ذيل الديوان خمسة عشر بيتاً في كــلِّ قصــيدة وكــلُّ قصيدة مطلعها أو بدايتها بقافية القصيدة السَّابقة لها ، أمّا بقية أبياتها فكلُّ بيت

يُبتدأُ بحرف واحد من حروف الهجاء ويُخْتَتَمُ بالحرف نفسه . فإذا بدأ كلُّ بيت مــن الأبيات بالألف يختمه بالألف ، وإذا بدأت الأبيات بحرف الباء تُختَم بحــرف البــاء ، وإن كانت بدايتها بحرف التاء ، يسير على ذات النهج في بداية كلُّ بيت ونهايته بحرف التاء ، إلى آخر القصيدة وهكذا حتَّى يأتي على جميع حروف الهجاء . كما بيَّنــا أنَّــه اختــار لجميع قصائد ذيل ديوانه وهي تسع وعشرون قصيدة وزناً واحداً وهو مُخَلَّع البسيط . وقد نوَّهنا إلى ذلك عند حديثنا عن بحر البسيط وأوزانه التي منها المُخَــلَّع .

وقد لفت انتباه الباحث كذلك ، أنّ أبيات القصائد في المعشَّــرات تشعرك بأنَّ كــلَّ بيت له قافتيان : قافية في أوَّله ، والثانية في آخره ، وذلك لأنَّه يبدأ أبيات القصيدة بحرف

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤٨٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٩.

(٣) لمرجع السابق ، ص ٤٨٨.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٦

ويختمها بالحرف نفسه ، مستوفياً جميع حروف الهجاء في قوافيه ، كما فعل ذلــك فــي بعض مراثيه (قصائد الذيل) . وكما التزم في ذيل مراثيه مُخَلَّع البسيط ، فقد التزم فــي قصائده التي تتكوَّن من عشرة أبيات "المعشَّــرات" أن تكون جميعها من بحر واحــد هو بحر الطويل وقد أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن الأوزان ، وبالتحديد عنــد الحــديث عن بحر الطويل .

ويبدوا أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ ــ في محاولة منَّا لتعليل هذه الظواهر فــي شعره ــ أراد أنْ يُظهر تمكُّنه وبراعته ، وكأنَّه يتحــدَّى الشُّــعراء أن ينظمــوا بطرقــه وأساليبه التي نوَّعها لدرجة ، أنّه استوفى القوافي على جميع حروف الهجاء فــي قصــيد واحد مخمَّس ، ويسير في هذا القصيد على نهج معشَّــراته من حيث بدء البيــت وختمــه بالحرف نفسه مع إضافة أسلوب جديد وهو التصريع بين عروض كلِّ بيت وضربه ومثال لذلك قوله :

أبُثُّك مافي النفسِ لستُ أرائي ** أنا بعضُ قتلى حبِّك الشــهــداءِ

ألفتُ البكا إذ عزَّ فيك عزائي ** إلى أن بكت أرضي معي وسمائي

وإنِّي لراض عنك في هذه الحالِ

بفيض دموعي فيك سكباً على سكبِ ** بعطفك في ذا الرّضا قبل ذا العَتْبِ

بما بيننا من عِــفَّةٍ زمــن القــربِ ** بما جرَّدت عيناك من صارمٍ عَضْبِ

أجرني من الخدِّ المطرَّزِ بالخالِ

تغيَّبت فالأعداءُ بي منك تشمتُ ** تــؤلِّف شــملي تارةً وتُــشَتِّتُ

تكاد الرُّبي مــن ماء عيني تنبتُ ** تترجم عمَّا في ضلوعي فأَسْكُتُ

على أنّ قلبي لا صبورُ ولاسالِي (١)

فانظر إلى هذه القدرة العجيبة في ابتداء كل شطرة ، وإنهائها بالحرف نفسه ، فالألف مثلاً تتكرَّ ر في البيت الواحد أربع مرات ، وفي البيتين ثماني مرات ، فلاحظها فــي بدايــة صدر البيت وفي نهاية الصدر ، وفي أوَّل عَجُزِ البيت وفي آخر البيت ،
وكذلك الباء ، والتاء ، وهكذا يسير على هذا الترتيب في بقيَّة أبيات القصــيدة ، الألــف ، الباء ، التاء ، الثاء ... إلى آخر حرف من حروف الهجاء . والجدير بالذكر أنَّ أسلوب

---

(١)أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٠٧.

التخميس قد وجد في قصيدة واحدة فقط في ديوان الشاعر ، وهي التى ذكرنا لـــك منهـــا النماذج المتقدِّمة ، أما شكل سائر قصائده فهو الشكل التقليدي للقصيدة العربية .

أضف إلى ذلك أنَّ الشاعر كأنَّه يُريد أن يُظهر تفوُّق العميان على المبصرين متـــأثِّراً بالمعرِّي في التزام القيود ولزوم مالا يلزم وتجنيس القوافي مثل قوله :

لا يصرف الهمَّ إلَّا شدو محسنة ** أو منظر حسن تهواه أو قـــدحُ

والراح للهمّ أنقاها فخـــذ طـــرفاً ** منها ودَعْ أمَّة في شربها قدحُوا

بكر يخال إذا ما المـــزج خالطها ** سقاتها أنَّهم زنداً بها قــــــدحُوا (١)

ولزوم مالا يلزم ظاهرة في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، وهي أمر محمود إن لم يصـــل درجة التكلُّف ، والإكثار عن قصد يقول صاحب كتاب موسيقى الشعر متحدِّثاً عن لـــزوم مالا يلزم : (ذكرنا آنفاً أنَّه لو أمكن أن تتكرَّر أصوات نصف شـــطر فـــي كـــلِّ أبيـــات القصيدة دون إخلال بالمعنى لكان هذا حسناً جيِّداً من الناحية الموسيقية) (٢)

كما وجدنا نصَّـــاً لقدامة بن جعفر يُوحِي باستحسانه التصريع وردِّ الأعجـــاز علـــى الصدور مبيِّنا أنّ ذلك دأب الفحول من الشعراء إذ يقول في نعت القـــوافي : (أن تكـــون عذبة الحرف ، سلسة المخرج ، وأن تقصد لتصيير المصراع الأوّل من البيت الأوّل مـــن القصيدة مثل قافيتها فإنَّ الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخّون ذلـــك ولا يكادون يعدلون عنه)(٣)

وفي كلمة أخيرة أُنهي بها هذا الفصل فإنِّي قد وجدت أنَّ أكثر البحور التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ هي : الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والـــوافر ، والخفيـــف على الترتيب . وأنَّ أكثر القوافي استخداماً في شعر أبي الحسن الحُصْريّ الراء ، والـــدال ، والقاف ، والنون ، والميم على الترتيب أيضاً . ومعلوم أنَّ الدكتور عبدالله الطيـــب قـــد ربط بين الأغراض والبحور ، ولمّا رأيت أغراض أبي الحسن الحُصْريّ قليلة والبحـــور التى استعملها متعدِّدة حاولت أن أجد تفسيراً لذلك ولماذا كانت هذه الحروف بالذات أكثر الحروف استخداماً في شعره ؟ وقد وجدت أنَّ الدكتور عبدالله الطيب قد صنَّف القوافي

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٣١.

(٢) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢٧٤.

(٣) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ٨٦.

فبعضها ذلل ، وبعضها نُفر ، وبعضها حُوش (١)

يقول : (القوافي الذُّلل هي الباء ، والتاء ، والدال ، والراء ، والعين، والميم ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون في غير التشديد أسهلها جميعاً) (٢)

فإذا عَرضْتَ هذا النصَّ على القوافي التي استخدمها شاعرنا أكثر من غيرها وجدتَ تفسيراً لتلك الظاهرة .

أمّا مسألة البحور المتعدِّدة ، والأغراض المحدَّدة فهنالك احتمالات كثيرة ، منها أن تكون القواعد التي وضعها الدكتور عبدالله الطيب ليست قواعد عامة بمعنى أنها قد تنطبق على بعض الشعراء وقد لا تنطبق على البعض الآخر . ويمكن أن يكون الشاعر أبوالحسن الحُصْريّ قد شذَّ عن هذه القاعدة بالرغم من ما ذكرناه عن أنَّه تقليديٌّ في استخدام البحور إذ أكثر الشعراء من استخدام بَحْرَي الطويل والبسيط كما فعل هو. وقد تكون بعض هذه الأغراض التي نظم فيها الشاعر من الأغراض التي يمكن أن يُسْتَخدم فيها أكثر من بحر وهو الأقرب إلى الصواب في نظر الباحث كما أنَّه قد تكون هنالك تفسيرات أخرى غير تلك .

---

(١) انظر القوافي الذُّلل ، والنُّفر ، والحُوش في المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، الدكتور عبدالله الطيب ، الجزء الأوَّل ، الطبعة الرابعة ، الخرطوم ١٩٩١م ، مطبعة جامعة الخرطوم من صفحة ٥٨ إلى صفحة ٨١.

(٢) المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص٥٨.

جدول يُوضِّــح القوافي التي استخدمها الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ ونسبها المئوية وهي مُرَتَّبة ترتيباً هجائياً :ــ

م	الحرف	حركته	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الهمزة	المضمومة " أُ "	٢٤	
	الهمزة	المكسورة "إِ "	٦٦	
	الهمزة	المجموع	٩٠	%٢,٦
٢	الباء	المضمومة" بُ "	١٥	
	الباء	المفتوحة مع الألف "بَا "	٨٢	
	الباء	المكسورة " بِ"	١٤	
	الباء	المكسورة وبعدها هاء "بِه "	٤	
	الباء	المكسورة وبعدها هاء وألف " بِها "	١٠	
	الباء	المجموع	١٢٥	%٣,٥
٣	التاء	المضمومة" تُ "	٣٣	
	التاء	المضمومة مع الهاء " تُه "	٤٥	
	التاء	المفتوحة مع الألف " تَا "	١٠	
	التاء	المفتوحة مع الهاء " تَه "	٢	
	التاء	المكسورة " تِ "	١٠	
	التاء	المجموع	١٠٠	%٢,٨
٤	الثاء	المضمومة "ثُ "	٢	
	الثاء	المفتوحة مع الألف " ثَا "	٤	
	الثاء	المكسورة " ثِ "	٥٩	
	الثاء	الساكنة " ثْ"	٣٩	
	الثاء	المجموع	١٠٤	%٣
٥	الجيم	المضمومة " جُ"	٥٠	
	الجيم	المفتوحة مع الألف " جَا "	٢٩	
	الجيم	المجموع	٧٩	%٢,٢
	الحاء	المضمومة " حُ "	٧٦	

تابع للجدول الذي يوضح القوافي التى استخدمها الشاعر :ـــ				
٦	الحاء	المضمومة مع الهاء " حُه "	١٣	
	الحاء	المفتوحة مع الألف "حَا "	٤	
	الحاء	المكسورة " حِ"	٦	
	الحاء	المجموع	٩٩	%٢,٨
٧	الخاء	المضمومة " خُ "	١٠	
	الخاء	المكسورة " خِ "	٣٦	
	الخاء	المجموع	٤٦	%١,٣
٨	الدال	المضمومة " دُ "	٥٣	
	الدال	المضمومة مع الهاء " دُه "	٩٩	
	الدال	المفتوحة مع الألف " دَا "	٥	
	الدال	المفتوحة مع الهاء والألف " دَها "	٤١	
	الدال	المكسورة " دِ "	٦٧	
	الدال	المجموع	٢٢٨	%٦,٥
٩	الذال	المضمومة " ذُ "	١٢	
	الذال	المفتوحة مع الألف " ذَا "	٥٦	
	الذال	المكسورة " ذِ "	١٠	
	الذال	المجموع	٧٨	%٢,٢
١٠	الراء	المضمومة " رُ "	٧٨	
	الراء	المفتوحة مع الألف " رَا "	٢	
	الراء	المفتوحة مع الكاف " رَكْ "	٦٤	
	الراء	المفتوحة مع الهاء " رَه "	١٣	
	الراء	المكسورة " رِ "	٢٥٥	
	الراء	المكسورة مع الهاء والألف " رِها "	١١٩	
	الراء	المجموع	٥٣١	%١٥,١
	الزاي	المضمومة " زُ "	١٢	
	الزاي	المفتوحة مع الألف " زَا"	٤	

تابع للجدول الذي يوضح القوافي التى استخدمها الشاعر :ـــ				
١١	الزاي	المفتوحة مع الهاء " زَه "	٦	
	الزاي	المكسورة " زِ "	٦٠	
	الزاي	المكسورة مع الهاء " زِه "	٢	
	الزاي	المجموع	٨٤	%٢,٤
١٢	السين	المضمومة " سُ "	٧٠	
	السين	المفتوحة مع الألف " سَا "	٨	
	السين	المكسورة " سِ "	٣١	
	السين	المجموع	١٠٩	%٣,١
١٣	الشين	المضمومة " شُ "	٥٤	
	الشين	المفتوحة مع الألف " شَا "	١٤	
	الشين	المكسورة " شِ "	٤	
	الشين	الساكنة " شْ "	٢	
	الشين	المجموع	٧٤	%٢,١
١٤	الصاد	المضمومة " صُ "	٢٥	
	الصاد	المفتوحة مع الألف " صَــا "	٤٧	
	الصاد	المكسورة " صِ "	٩	
	الصاد	المجموع	٨١	%٢,٣
١٥	الضاد	المضمومة " ضُ "	١٧	
	الضاد	المفتوحة مع الألف " ضَا "	٤٦	
	الضاد	المفتوحة مع الهاء "ضَه "	٤	
	الضاد	المكسورة " ضِ "	٢٧	
	الضاد	المجموع	٩٤	%٢,٧
١٦	الطاء	المضمومة " طُ "	٢	
	الطاء	المفتوحة مع الألف " طَا "	٨٨	
	الطاء	المكسورة " طِ "	٢	
	الطاء	المجموع	٩٢	%٢,٦

تابع للجدول الذي يوضح القوافي التى استخدمها الشاعر :ــ				
١٧	الظاء	المضمومة " ظُ "	٢٥	
	الظاء	المضمومة مع الهاء " ظُه "	٢	
	الظاء	المفتوحة مع الألف " ظَا "	٤٣	
	الظاء	المكسورة " ظِ "	٤	
	الظاء	الساكنة " ظْ "	٥	
	الظاء	المجموع	٧٩	٢,٢%
١٨	العين	المضمومة " عُ "	١٥	
	العين	المفتوحة مع الألف " عَا "	٦٦	
	العين	المفتوحة مع الهاء " عَه "	٤	
	العين	المكسورة " عِ "	١٠	
	العين	المكسورة مع الهاء " عِهِ "	٣	
	العين	المجموع	٩٨	٢,٨%
١٩	الغين	المضمومة " غُ "	١٤	
	الغين	المفتوحة مع الألف " غَا "	٣٦	
	الغين	المكسورة " غِ "	٢١	
	الغين	الساكنة " غْ "	٢	
	الغين	المجموع	٧٣	٢,١%
٢٠	الفاء	المضمومة " فُ "	١٤	
	الفاء	المفتوحة مع الألف " فَا "	٥	
	الفاء	المفتوحة مع الهاء "فَه "	٢	
	الفاء	المكسورة " فِ "	٦٥	
	الفاء	المكسورة مع الهاء "فِه "	٤	
	الفاء	المجموع	٩٠	٢,٦%
	القاف	المضمومة " قُ "	٢٨	
	القاف	المفتوحة بعدها ألف " قَا "	١٦	
	القاف	المكسورة " قِ "	١٩	

	تابع للجدول الذي يوضح القوافي التى استخدمها الشاعر :ــ			
٢١	القاف	المشدّدة المكسورة "قِّ "	٢٣	
	القاف	المكسورة بعدها هاء " قِهِ "	٢	
	القاف	الساكنة " قْ "	٩٨	
	القاف	المجموع	١٨٦	%٥,٣
٢٢	الكاف	المضمومة " كُ "	٤١	
	الكاف	المضمومة بعدها هاء "كُهُ "	٢	
	الكاف	المفتوحة بعدها " كَا "	٥٣	
	الكاف	المكسورة " كِ "	٢٥	
	الكاف	الساكنة " كْ "	٣	
		المجموع	١٢٤	%٣,٥
٢٣	اللام	المضمومة " لُ "	١٠٠	
	اللام	المضمومة بعدها هاء " لُه "	٤	
	اللام	المفتوحة بعدها ألف " لا "	٣	
	اللام	المفتوحة بعدها هاء وألف " لَها "	٢	
	اللام	المكسورة "لِ "	٤١	
	اللام	المكسورة بعدها هاء " لِه "	٢	
	اللام	المجموع	١٥٢	%٤,٣
٢٤	الميم	المضمومة " مُ "	٥٢	
	الميم	المفتوحة بعدها ألف " مَا "	٨	
	الميم	المكسورة " مِ"	٩٩	
	الميم	المكسورة بعدها ها ء " مِه "	٤	
	الميم	الساكنة " مْ "	٥	
	الميم	المجموع	١٦٨	%٤,٨
	النون	المضمومة " نُ "	١٦	
	النون	المفتوحة بعدها ألف " نَا "	٦	
	النون	المفتوحة بعدها ها " نَه "	٩	

تابع للجدول الذي يوضح القوافي التى استخدمها الشاعر :ـــ				
٢٥	النون	المفتوحة بعدها هاء وألف " نَها "	٥٢	
	النون	المكسورة " نِ "	٩٨	
	النون	المكسورة بعدها ياء " نِي "	٢	
	النون	الساكنة " نْ "	٢	
		المجموع	١٨٥	%٥,٢
٢٦	الهاء	المضمومة " هـُ "	٦٥	
	الهاء	المفتوحة بعدها ألف " هَا "	٩	
	الهاء	المكسورة " هـِ "	٢١	
	الهاء	المجموع	٩٥	%٢,٧
٢٧	الواو	المفتوحة مع الألف "وَا "	٦٦	
	الواو	المكسورة " وِ "	١٥	
	الواو	الساكنة "وَوْ "	٢	
	الواو	المجموع	٨٣	%٢,٤
٢٨	لام الألف	المفتوحة "لاَ "	٨٨	
	لام الألف	المشدّدة " حَلَّا "	٢	
	لام الألف	المجموع	٩٠	%٢,٦
٢٩	الياء	المشدّدة المضمومة "يُّ "	٢٦	
	الياء	المفتوحة وبعدها هاء " يَه "	٢	
	الياء	المشدّدة المفتوحة وبعدها ألف "يَّا "	٢	
	الياء	المشدّدة المكسورة "يِّ "	٥٨	
	الياء	المجموع	٨٨	%٢,٥

الفصل الثاني

الأساليب البلاغية في شعر أبى الحسن الحصري

المبحث الأوّل :ـ ألوان بديعية في شعره .

قرنتُ في عنوان هذا الفصل الأسلوب بالبلاغة ، إذ لا يخفى أنَّ ثمَّة علاقة بينهما ، بل بين النقد والبلاغة عموماً . إذا إنَّ النقاد والبلاغيين السابقين أمثال إبن قتيبة ، وقدامة بن جعفر ، وأبي هلال العسكري ، والقاضي علي بن عبدالعزيز ، وعبد القاهر الجرجانيين ، وغيرهم ، كانوا يطلقون أحكامهم على جيّد الشِّعر أورديئه وفقاً للأساليب البلاغية التي تتأتَّى للشاعر طبعاً وبداهةً إضافةً إلى عنايتهم بالألفاظ والمعاني . (وكانت العربُ إنِّما تفاضلُ بين الشعراء في الجودة والحُسن بشرف المعنى وصِحِّته ، وجزالة اللفظ واستقامته) (١) ، وقد تتدخَّل معايير أخرى في إطلاق الأحكام على الشعر مثل : التكلُّف ، والصِّنعة ، والطَّبع ، والخيال ، والعاطفة ، واللغة ، إلى آخر ما تحدَّث عنه النقاد والبلاغيون .

وقبل الحديث عن أهمّ الألوان البديعية في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، أردت أن قدِّم بعض النصوص عن تعريف الأسلوب وعلاقته بالبلاغة ، وعلاقة البلاغة بالنقد ، وذلك لأهمية هذه الموضوعات إذ إنَّها تُسهم بشكل كبير في الحكم على شعر الشاعر إضافة إلى قضيتي الطَّبع والتكلُّف . يقول عبد القاهر الجرجاني : (والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه) (٢)

كما تحدَّث أحمد الشايب حديثاً طيِّباً عن الأسلوب والبلاغة وتبدو العلاقة بينهما في أحد تعريفات الأسلوب التي ذكرها إذ يقول : (الأسلوب هو فنٌّ من الكلام يكونُ قصصاً ، أو حواراً ، تشبيهاً ، أو مجازاً ، أو كنايةً ، تقريراً ، أو حكماً وأمثالاً) (٣)

وعن العلاقة بين النقد والبلاغة يقول : (ولقد كان النقد الأدبي من أهم العوامل في إيجاد البلاغة) (٤)

---

(١) الوساطة بين المتنبىء وخصومه ، للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، طبع بمطبعة عيسى الحلبي البابي وشركاه ، (بدون تاريخ) ، ص ٣٣.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، مكتبة سعد الدين دمشق ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) ، ص ٤١١ ، حقَّقه وقدَّم له الدكتور محمد رضوان الدَّاية ، والدكتور فائز الدَّاية .

(٣) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٦٦م ، ص ٤١.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤.

أمّا قضيتي التكلُّف والطَّبع فقد أثرتهما لأنَّ الألوان أو الأساليب البلاغية لاسيّما البديعية إذا تعمَّدها الشاعر وتكلَّفها يكون هذا التكلُّف واضحاً في شعره .

(والمتكلَّف من الشعر وإن كان جيِّداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لتبيُّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكُّر وشِدَّة العَنَاء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه ، وزيادة مابالمعاني غنىً عنه) (١)

كما أنَّني قد أثرتُ قضيَّة التكلُّف لأنَّ الألوان البديعية سمةٌ مميِّزة ، أو فلنقل أسلوب مميِّز لشعر أبي الحسن الحُصْريّ وظاهرة لدرجة تثير الشكَّ في أنّه يتكلَّفه تكلُّفاً ــ أحياناً ــ لاسيما الجناس . وقد لاحظ الباحث أنّ الشاعر أكثر من عنايته بالجناس لدرجة أنّه جنَّس أو جانس قوافي جلّ مقطوعاته الشعرية وهي في الغالب تتألَّف من بيتين أو ثلاثة ،وأحياناً أربعة ومن مقطوعاته التى جانس بين قوافيها قوله :

رُبَّ ظبيٍ هويتُهُ ** ينتمي للهوازِنة

قلتُ ما أثقل الهوى ** قال ما للهوى زِنة (٢)

فالهوازنة في البيت الأوَّل هم من ينتسبون إلى قبيلة هوازن العربية المعروفة ، ولعلّه يقصد بقوله : ما للهوى زنة في البيت الثاني أنّ الهوى ليس له وزن ، أو ميزان يوزن به . وهو من الجناس التام المركَّب .

ومن قوافيه المجنَّسة كذلك :

ياقلبُ ناج خياله ال ** سَّاري إليك وداعِهِ

وأسأله هل نسي الذي ** أودعت عند وداعِهِ

تأبين مــن أودى ولو ** أنّ الزَّمان ودا عِهِ (٣)

ويرى الباحث أنَّه ربما قصد بقوله : " وداعه " في البيت الأوَّل : ادعه أو ناده، وبـ "وداعه" في البيت الثاني : الوداع المعروف لحظة الفراق . أمَّا قوله : " وداعه " في البيت الثالث فلعلَّه مكوَّن من مقطعين المقطع الأوَّل : من الفعل ودا يدي دية والمقطع الثاني : "عِه" من الفعل وعَى يعِي بمعنى فَهِم ، والمعنى أنَّه يؤبِّنه حتَّى لو أنَّ الزَّمان دفع ديَّته فليُفْهَم ذلك . وهو من الجناس التام المركَّب أيضاً.

---

(١) الشعر والشعراء ، لإبن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م ، ص ٧٨ ، (لم يذكر رقم الطبعة).

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٠.

كما أنَّ استخدام الجناس غير التام قد تكرَّر في شعره للاختلاف في نوع الحروف ، أو عددها ، أو ترتيبها ، أو شكلها وقد وجد الاختلاف في نوع الحروف في بعض مطالع قصائده مثل قوله :

من لي بظبي جناه معسولُ ** دمي بدمعي عليه مغسولُ (١)

فهو تصريع وتجنيس ، ويلاحظ أنَّ معسول ، ومغسول يختلفان في العين والغين ، كما أنَّه جانس بين دم ، ودمع بزيادة حرف واحد في الآخر وهو العين ، لذا فهما يختلفان في عدد الحروف ، فالجناس بين معسول ومغسول جناس مضارع لتقارب مخارج الحروف .

ومثله قوله :

لاجلا أحزاني الجَلَدُ ** لاخلا من ذكرك الخَلَدُ (٢)

ونلاحظ أنَّ الاختلاف بين "جَلَا ، وخَلَا "، "والجَلَد ، والخَلَد " في حرفي الجيم والخاء . وهوتصريع بين عروض البيت وضربه أيضاً .

وقد يكون الاختلاف في عدد الحروف كما ذكرنا مثل قول أبي الحسن الحُصْريّ :

وآثرتَ العوالي في المعالي ** وآثرتَ الصَّلادمَ في الصِّلاد (٣)

فالصَّلادم زدات عن الصِّلاد بحرف واحد هو حرف الميم في الآخر لذا فهو من الجناس الناقص المطرَّف . كما جانس في البيت نفسه بين العوالي والمعالي لاختلاف الواو ، والميم . وبعض ألفاظه من البيت الذي نُسِب إلى أبي فراس :

بأطراف المثقَّفة العوالي ** تفرَّدنا بأوساط المعالي (٤)

---

(١) أبو الحسن الحُصْرِيّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٧.

(٤) رجعت إلى ديوان أبي فراس الحمداني ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة،(١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) لم أعثر على هذا البيت ، وقد نسبه إلى أبي فراس صاحب الإيضاح في صفحة ٢٥٠.

وقد يكون الاختلاف في عدد الحروف بأكثر من حرف كما في قوله :

جوى تتلظى ناره في جوانحي ** فكيف ينام الليل حرَّان مُنْضَجُ (١)

فالجوانح تزيد على الجوى بحرفي النون والحاء ، وقد سبقته الخنساء إلى المجانسة بينهما في البيت الذي نُسِبَ إليها :

إنَّ البكاءَ هو الشفا ** ءُ من الجوى بين الجوانح (٢)

ولمَّا كانت كلمة جوانح تزيد على كلمة جوى بأكثر من حرف (ربما سُمِّى هـذا الضـرب مذيَّلاً) (٣) كما سُمِّي الذي يزيد بحرف واحد في الآخِر مطرَّفاً .

كما وجدت في شعره جناساً غير تام لاختلاف ترتيب الحروف وهو ما يعـرف بجناس القلب ومثاله قوله :

نبا نابُ عادٍ وهو كالليثِ عاديا ** وماتت مُنَى كِسْرى الملوكِ وقيصرِ (٤)

فقد اختلف ترتيب حرفي الألف والباء في قوله " نبا " وقوله " ناب " وهو جناس مقلـوب مزدوج ، أو مكرَّر ، أو مردَّد لأنَّه (إذا وَلِيَ أحد المتجانسين الآخـر سُـمِّيَ مزدوجـاً ، ومكرَّراً ، ومردَّداً) (٥)

كما يلاحظ في البيت السابق نفسه جناس آخر في له : (عادٍ وعاديا).

ومن أمثلة الجناس غير التام لاختلاف ترتيب الحروف أيضاً قوله :

شبيهي لو أربى على العَشْرِ أربعاً ** روى عنِّيَ القرآن والشِّعر والشَّرعَا (٦)

وهو من الأبيات التى يُفهم منها فخر الشاعر بعلمه وأدبه ، والجناس في قوله : " الشعر ، والشرع " وهوجناس غير تام مقلوب (قلب بعض) مزدوج والسبب اخـتلاف ترتيـب حرفي العين والراء ، وتجاور المتجانسين الشِّعر والشَّرع .

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص٢١٦.

(٢) وقد رجعت إلى ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٢٤هـ ــــ ٢٠٠٣م)، ولم أجد هذا البيت وقد نسبه إليها الخطيب القزوينى في الإيضاح ، ص ٢٤٤.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى ، ص ٢٤٤.

(٤) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٨.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى ، ص ٢٤٥.

(٦) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٩٨.

بقي أن نذكر مثالاً للاختلاف في شكل الحروف ، وقد وجدت ذلك في قوله :

أنا الآن إذ أودى وأودعته الثَّرى ** وأبقت شَعوب في شُعوب العلا صَدْعَا (١)

فشَعوب الأولى مفتوحة الشين ، وشُعوب الثانية مضمومة الشين ، ويلاحظ كــذلك أنَّــه جانس في البيت نفسه بين " أودى ، وأودع " .

وخلاصة القول في الجناس أنّ مالم يُذكر من النماذج والأمثلة من شعر أبي الحســن الحُصْريّ أكثر ممَّا ذُكِر وفي ما سبق من الأمثلة الكفاية ، وقصدت التفصيل فــي أنــواع الجناس لأؤكِّد ، وأدلِّــل على أنَّ الشاعر عُنِي بالجناس بمختلف أنواعه أكثر من عنايتــه بغيره من ألوان البديع ، والنماذج التى أوردتها لأنواع الجناس المختلفة تؤيِّد ذلك ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الإكثار من الجناس أمر غير محمود فتراهُ يقول : (ولــذلك ذُمَّ الاستكثار منه، والولوع به ، وذلك لأنَّ المعاني لاتدين في كلِّ موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني ، والمتصرِّفة في حكمها) (٢)

وكلامُ عبد القاهر يكادُ ينطبق على شعر أبي الحســن الحُصْــريّ ، لأنّ معانيــه لاتــدين لمجانساته في كلِّ موضع ، والشاعر في رأي الباحث قد أكثر من الجناس ، بــل يمكــن وصفه بأنَّه مولع بالبديع عموماً وبالجناس على وجه الخصوص ، ممَّا جعــل مجانســاته الكثيرة هذه تُستَحْسَنُ في بعض المواضع ، وتُستَهْجَنُ في غيرها ، وهذه المواضــع التــى لايستحسنُ الجناس فيها هي الأبيات التي تُشْعِرُكَ بالتكلُّف ، وليِّ أعناق المعاني من أجــل تحسين الألفاظ .

ردُّ الأعجازِ على الصدُور :ــ

وهو أسلوب بلاغي لفت نظر الباحث في شعر أبي الحســن الحُصْــريّ إذ تكــرَّر وتعدّدت أنواعه فمنه ما يكون أحد ألفاظه : في بداية المصراع الأوَّل من البيت ، أو فــي حشوه ، أو في آخِره ومن أمثلة ذلك قول أبي الحسن الحُصْريّ :

عزَّيتني في ما ترى وعَــزَوْتَــنِي ** للصابرين ولات حين عزاءُ (٣)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٩٨.

(٢) أسرار البلاغة ، للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هــ .ريتر ،استانبول ، مطبعة وزارة المعارف سنة ١٩٥٤م ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمــد الرجــب ، طبعــة ثانيــة منقَّحــة (١٣٩٩هــ ـــ ١٩٧٩م) ، ص ٨.

(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٧٣.

فقد وردت كلمة عزاء في آخر البيت ، كما وردت كلمة عزَّيتني في صدر المصراع الأوَّل ولا يخفى الجناس بين عزَّيتني من الفعل عزَّى ، وعَزَوْتَنِي من الفعل عَزَا .

ومنه قوله كذلك :

بكت رحمة للصَّبِّ عينُ عدوِّهِ ** فما لحبيبِ القلبِ لا يرحمُ الصَّبَّا (١)

ومنه قوله كذلك :

أودت به الأيَّام فاثَّأر العِدَى ** وكم أثَّأرتُ به من الأعداءِ (٢)

ولك أن تلاحظ وجود كلمة العدى في عروض البيت والأعداء في الضرب . وقد استحسن صاحب كتاب الصناعتين ردَّ الأعجاز على الصدور بعد أن بيَّن أنواعه ، وأمثلته إذ يقول : (إنَّ لردِّ الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً من البلاغة وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً) (٣)

ولعلَّ الأذن تستريح ، والمعنى يكون أوقع في الأبيات التى يرد فيها رد العجُز على الصدر من غير قصد ولا إكثار . إذاً فإنَّ ردَّ العجُز على الصدر أعمّ وأشمل من الجناس لأنَّ أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو الملحقين بالجناس يجعل في آخر البيت ويجعل اللفظ الثاني إمَّا في صدر المصراع الأوَّل ، أوفي حشوه ، أو في آخره ، أوفي صدر المصراع الثاني بينما لا يلزم ذلك في الجناس .

وبعد أن بيَّنَّا الفرق بين الجناس وردِّ العجُز على الصَّدر ، فإنَّه إن كان ثمَّة تشابه فهو التشابه بين ردِّ العجز على الصدر وبين ما يعرف بالإرصاد أو التسهيم (وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدُل على العجُز إذا عرف الرويِّ) (٤)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني، ص ٢١٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣.

(٣) الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، حقَّقه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة ، الطبعة الثانيه ، دار الكتب العربية بيروت ــ لبنان (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م) ص ٤٥٩.

(٤) الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ص ٢٢١.

ومن أمثلته التى ذكرها صاحب الإيضاح قول زهير :

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعش ** ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ (١)

وإذا لاحظت وجود كلمة سئمت في أوّل البيت ، وكلمة يسأم في آخر البيت أدركت أنّ هنالك تشابهاً بينهما .

الاقتباس :ــ

(وهو أنْ يضمَّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنَّه منه) (٢) وكما عُنِيَ الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ بالجناس فقد تكرّر الاقتباس في شعره وإن لم يبلغ درجة عنايته بالجناس ولعلّ إلمامه بالقرآن وعلومه ، والذي تطرَّقنا له في حديثنا عن تعليمه ، و ثقافته ، وكذلك معرفته بالحديث وعلومه هو الذي جعل أسلوب الاقتباس يبدو واضحاً في شعره ، وإن لم يكن هنالك دليل على إلمامه ، ومعرفته ، بالقرآن وعلومه ، وثقافته الدينية عموماً فإنَّ اقتباساته تقوم دليلاً وتقف شاهداً على ذلك ومن أمثلة الاقتباس في شعره :ــ

هنيئاً لك الفوز العظيم بجَنَّة ** جوار رسول الله مثمرة ينعى

ومسكوبةً ماءً وممدودةً ذُرَى ** ومخضودةً سدراً ومنضودةً طَلْعَا (٣)

وواضح أنّه من قوله تعالى : (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾)(٤)

ومثله قوله :

فقد أوثقتني السَّيئات وبزّني ** مُغارُ ملمّات أَثَرْنَ به نَقْعَاً

وأورينَ قدحاً بالجوى في جوانحي ** وفرَّقنَ دمعي أن وسطنَ به جَمْعَا(٥)

قال تعالى : (فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾) (٦)

---

(١) ديوان زهير بن أبي سُلمى ، در صادر بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص٨٦.

(٢) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، ص ٢٦٢.

(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٩٧.

(٤) سورة الواقعة الآيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١.

(٥) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٩٦.

(٦) سورة العاديات ، الآيات ٤ ، ٥ .

مع مراعاة أنَّه جمع بين الجناس والاقتباس في البيت الثاني وكذلك قوله :

وكيف مُتَّ ولم يشمل ** النُّجُــومَ انكدارُ

ولم تُســيَّر جــبال ** ولم تعطَّل عِشارُ (١)

وهو من قولــه تعــالى : (وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤) (٢)

ومن اقتباساته أيضاً قوله :

عسى من يُوفِّي النُّذُو ** رَ حجَّاً ويقضي التَّفَثْ

يـــزوِّدُني دعـــوةً ** بــمكــةَ إذ لارَفَــثْ (٣)

قـــال تعـــالى : (ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ)(٤)

وقـــال تعـــالى : (ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ۝٢٩)(٥)

وإذا نظرت إلى قوله :

إنَّ ياماً أَوَى إلى جبل يو ** ماً فلم يعتصم من الماء يامُ (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٢٦.

(٢) سورة التكوير ، الآيات ٢، ٣ ، ٤ .

(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٩٢.

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٢٩ .

(٦) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٧١

وجدت أنَّ المعنى وبعض ألفاظه مأخوذ أو مقتبس من قوله تعـــالى : (قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ (١)

واقتباس الشاعر من الحديث الشـــــريف أقلّ بكثير من اقتباساته من القرآن الكـــريم ومن ذلك قوله :

فزتَ يافاقدَ الثلاثةِ من وُلْدٍ ** وبالصـــبر الكريم تمسَّـك

ليس إلَّا تحلَّة القســم النار ** كما جاء في الحديث تمسَّك (٢)

وهو مقتبس من قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : (لايموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلَّا تحلَّة القسم) (٣)

وإذا رجعت إلى ديوان أبى الحسن الحُصْريّ فإنَّك واجدُ فيه أمثلة متعدِّدة للاقتباس غير التي ذكرناها . وهذا يؤيِّد حفظه للآيات وإتقانه لمعانيها . ويؤكِّد كذلك أقوال بعــض أصحاب التَّراجم التي أوردناها في حديثنا عن المبحث الخاص بثقافته في الفصل الثـــاني من الباب الأوّل . ويبدو للباحث أنَّ الشاعر أبا الحسن الحصري كان متمكناً من القـــرآن وعلومه ، أكثر من تمكُّنه من الحديث وعلومه ، بدليل كثرة الاقتباس من القـــرآن الكـــريم وندرته من الحديث الشريف .

السَّجع :ـــ

والسَّجع الذي يهمّنا هنا ليس السَّجع في النثر وإنَّما السَّجع في النَّظم ، وقد ذكر منـــه البلاغيون أوجه متعدِّدة منها التشطير ، والتصريع ، ولزوم مالايلزم ... الخ ولمَّا رأينـــا ظاهرة التصريع ، ولزوم مالا يلزم من الأساليب المميِّزة لشعر أبي الحســن الحُصْــريّ وذلك لتكراره للتصريع في مطالع عدد كبير من قصائده ، ولعنايته فـــي بعــض قوافيـــه بالتزام مالا يلزم اقتصرنا عليهما في حديثنا عن السَّجع ولعلَّ قضيَّتَي التصريع ، ولزوم

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٣.

(٢) أبو الحسن الحصري القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٥٧.

(٣) سبق ذكر الحديث بسنده ، وتوثيقه وذلك في مبحث رثاء الشاعر أبي الحسن الحصري لابنه عبدالغني .

مالا يلزم من القضايا المشتركة أو فلنقل المتكرِّرة لأنَّك تجدنا نتحدَّث عنها في الفصل الخاص بالأوزان والقوافي كما أنَّنا نتحدَّث عنها الآن في فصل الأساليب البلاغية ، وذلك لصلتها بالفصلين كليهما.

ويتَّضح ذلك من تعريف التصريع إذ يقول الخطيب القزويني : (التصريع وهو جعل العروض مقفَّاة تقفية الضرب) (١) ومن تعريف لزوم مالا يلزم أيضاً في سياق حديثه عن أنواع وأشكال السَّجع (ومنه لزوم مالا يلزم وهو أن يجيء قبل حرف الرّويِّ وما في معناه من الفاصلة ماليس بلازم في مذهب السَّجع) (٢)

إذاً فإنَّ السَّجع قد يكون بين شطرةٍ وشطرة كما في التصريع ومن أمثلته قول أبي الحسن الحُصْريّ :

سهل الأباطح من علاك يفاعُ ** والنَّجم أنت وكفَّك المرباعُ (٣)

فهنالك سجع بين نهاية الشطر الأوّل في قوله " يفاع " ، ونهاية الشطر الثاني وهو قوله " المرباعُ" : وهو التصريع نفسه بين عروض البيت وضربه .

ومنه قوله كذلك :

أبي نيِّر الأيَّامِ بَعْدَكَ أظْلَمَا ** وبنيانُ مجدي يوم مُتَّ تهدَّمَا (٤)

فهنالك تصريع في قوله " أظلما " ، وقوله : " تهدّما " وهو سَّجع بين شطري البيت وهذا النَّوع من السَّجع كثير في شعره لسنا بمعرض إحصائه . أمَّا لزوم مالا يلزم فهو نوع السَّجع الذي يكون بين نهايات الأبيات مثل قول الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ :

يريد سياسة من لا يُسَمَّى ** وطبع فيه يأبي أن يسُوسَا

سألت كسيٍ فمنَّاني بقمحٍ ** وأعطاني مكان القمح سُوسَا (٥)

فالسَّجع في نهاية البيت الأوّل " يسوسا " وفي نهاية البيت الثاني " سوسا " ويمكن أن يكون تجنيس للقافية أيضاً.

---

(١) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، ص ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥١.

(٣) أبو الحسن الحُصْري القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

الطِّباق والمقابلة :ـــ

لم يُعْنَ الشاعر أبو الحسن الحصري بالمحسِّنات المعنوية ، عنايته بالمحسّنات اللفظية ، إلَّا أنَّنا آثرنا أن نذكر نماذج توضِّح أنَّه استخدم الطِّباق بنوعيه طباق الإيجاب وطباق السَّلب ، كما وُجدت المقابلة في شعره وإن كانت في أبيات قليلة ومن أمثلة طباق الإيجاب في شعره قوله :

سموتُ بطَرْفِي نحوَ إبريزِ خَدِّهِ ** لأَغْنَى فقال : ارجع غنياً كمُفْلِسِ

سعيداً شقياً ، بين نارٍ وجنةٍ ** من الصَّبر عرياناً من السّقم مُلْبَسِ (١)

فانظر إلى الطِّباق في قوله : "غني ، ومفلس" ، " سعيد ، وشقي " ، " ونار ، وجنة " ، " وعريان ، وملبس " وكيف تمكَّن من جمع هذا الكمِّ الهائل من المطابقات أو التطبيقات في بيتين ؟! ومن طباق الإيجاب أيضاً قوله :

دوائر ذي الدُّنيا تدوُر بأهلها ** فتنقصُ أحوال الفتى وتزيدُ (٢)

والطِّباق في قوله " تُنْقِص ، وتزيد " ويلاحظ أنّ التضاد هنا بين فعلين ، أمَّا في المثال السابق فإنَّ التضاد كان بين أسماء .

أمّا طباق السَّلب فمن أمثلته قوله :

فصلوني لحرمة العلم أولا ** تصلوني ، لامدح ، لاتشبيبا (٣)

فقوله : " صلوني ، ولاتصلوني " ، طباق سلب وهو أمرُ ونهي ومثله قوله :

يدي كلُّ قتالٍ وطرفك لايدي ** فلا تخش في قتلي سوى الله ياظبيُ (٤)

فقوله : "يدي ، ولايدي " أحدهما فعل مثبت ، والآخر منفي وهو طباق سلب أيضاً .

أمّا المقابلة فهي كما ذكرنا قليلة ومنها قوله :

وماصام من خصرٍ لهنَّ مخفّفٍ ** وأفطر من ردفٍ لهنّ مثقَّلِ(٥)

فقد قابل : " صام ، خصر ، مخفِّف " بالألفاظ : "أفطر ، ردف ، مثقَّل "

إذاً يمكن أن نقول : إنَّه قابل الصِّيام بالإفطار ، والخِصْر بالرِّدف ، والمخفَّف بالمثقَّل .

---

(١) أبو الحسن الحُصْري القيروانيّ ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٢٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٥) المرجع السابق ، ص ١١٨.

ومن المؤكَّد أنِّ الموضوعات والنَّماذج السَّابقة ، ليست هي كلّ الألوان البديعية في شـــعر أبي الحسن الحُصْريّ ، ولكنَّها ، أبرزها ، وأكثرها ، وأهمّها ، ولاشكَّ أنَّك قد تجــد فـــي شعره حسن تعليل ، أو تورية ، أو أسلوب الحكيم ، أو غير ذلك من ألوان البديع . ولكنَّها إمَّا قليلة أو نادرة ، والأهمّ من ذلك أنَّها لقلَّتها لا تُسهم في معرفة أسلوب الشـــاعر أبـــي الحسن الحُصْريّ بقدر ما أسهمت النماذج التي تعرَّضنا لهـــا لظهورهـــا، ووضـــوحها ، وكثرتها في شعره . لذا فقد اكتفينا بالأبرز والأهمِّ ، واستغنينا بالإشارة إلى الجزء عن معرفة الكلِّ ، إذ الموضوع واحدُ وهو علم البديع سواءً كان المستخدّمُ محّسنات لفظية أم معنوية .

ولأن الاسترسال في الحديث عن البلاغة يمكن إذا كان موضوع البحـــث بلاغيـــاً ، ولكنَّني لما رأيت الأدب لاينفكُّ عن البلاغة والنقد ، كان لزاماً عليَّ أن أبيـــِّن ولـــو فـــي مبحث أو مبحثين ، بعض جوانب البلاغة ، محاولاً ربطها بآراء البلاغيين والنقاد السَّابقين ؛لعلَّ ذلك يعيننا في تقييم شعر أبي الحسن الحُصْريّ أو إبداء الرأي فيه . وعليـــه يمكننـــا القول : كما أنَّ الرّثاء قد نال حظّاً أكبر من بقيَّة الأغراض الشعرية الأخرى ، فإنَّ البديع قد حاز اهتمام الشاعر أكثر من باقي الأقسام البلاغية . وأصبح ولعُه بألوان البديع لاسيما الجناس أسلوباً ممّيزاً لشعره . يتكلَّفه ويصطنعه أحياناً ، ويتأتَّى له طبعاً وبداهـــة أحيانـــاً أخرى .

المبحث الثَّاني :ــ صورٌ بيانيةٌ في شِعْرِهِ .

تقدَّم الحديث في المبحث الأوَّل عن أهمِّ وأبرز ألوان البديع في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، وخصَّصته بمبحثٍ أطول وأكثر تفصيلاً خاصة في الجناس لأنَّه أسلوب مميِّز لشعر أبي الحسن الحُصْريّ أكثر من الأقسام البلاغية الأخرى في شعره كعلم البيان ، وعلم المعاني . ولعلّك قد رأيت ذات النهج في الإسهاب والتفصيل في الحديث عن الرّثاء لمَّا كان أهمّ الأغراض الشعرية ، وأوفرها مادة .

أمّا علم المعاني فإنَّك تجدُ في شعر أبي الحسن الحُصْريّ الجمل الخبرية والإنشائية التي يعّبر عنها ، بالبيت الشِّعري أو بجزء منه أو بالبيتين من الشِّعر ، كما أنّ جمل الاستفهام ، والأمر ، والنَّهي ، وأدوات التوكيد حسب مقتضى حال السّامع ، والقصر كلٌّ ذلك وغيره من مايتعلَّق بعلم المعاني تجده في شعره دون عناء أو كبير جهد . ولمّا جرت العادة ، ودرج بعض الباحثين على التحدّث عن البديع والبيان ، ووجدت أنَّهما من أبرز أقسام البلاغة في شعر أبي الحسن الحُصْريّ أحببت أن ألقي بعض الضوء على أهمِّ الصور البيانية في شعر الشاعر وهي الاستعارات والتشبيهات ولا يخفى مالهما ولعلم البيان عموماً من أثر في تأدية المعانى .

والاستعارات والتشبيهات كثيرة في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، تكاد توازي كثرة الجناس في ألوان البديع .

يقول عبد القاهر الجرجاني عن الاستعارة والتشبيه : (أمّا الاستعارة فهي ضربٌ من التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري في ما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع+ والآذان) (١)

والنصّ السابق معناه عميق ، وكأنَّ عبد القاهر يريد أن يوجِّه الأذهان ، ويشحذ الهمم على العناية بالاستعارات والتشبيهات لما فيها من الخيال ، ومتعة الفكر ، في الوصول إلى المعنى . وسوف ترى أنَّ بعض استعارات الشاعر وتشبيهاته تقليديه ، طرقها الشعراء قبله وسبقوه إليها ، كما أنَّ بعضها لا يخلو من متعة لجمال التشخيص لعناصر الطبيعة ، أو بعد الخيال أو غير ذلك ، وسوف يتَّضح ذلك في النماذج التى سنوردها لك من شعر الشاعر .

---

(١) أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني ، ص ٢٠.

ومن أمثلة الاستعارات في شعر أبي الحسن الحُصْريّ قوله :

يا ناثراً دُرَّ عيني بل عقيق دمي ** ما بال طرفك دوني صحَّ بالسَقَمِ

ومالتفحاتي خـدَّيكَ أيـنعَـتَـا ** فأفطرت منهما عيني وصام فمي (١)

فقد شبَّه الدموع بالدُّر واستعير اللفظ الدال على المشبَّه به وهو الدُّر ، للمشبَّه وهو الدُّموع على سبيل الاستعارة التصريحية . والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهى قوله : " عيني " إذ لايُنْثَر أولا يَنْتَثِر من العين الدُّر بل تتناثر منها قطرات الدُّموع كما أنَّـه أورد طباقاً في البيت نفسه وهو الصِّحَة والسَّقَم ، كما نجد

في البيت الثاني أيضاً استعارة في قوله " أينعتا " وقوله " أفطرت " مشبِّها الخدَّين بتفَّاحتين واستدارة الخدَّين ، وبروزهما ، وتورُّدهما بالثَّمر الذي أينع . ولمّا نظرت عيناه أو عينه إلى هذين الخدَّين، واستدام النظر والتأمُّل فكأنَّه قد أفطر حتى شبع ، ولمّا لم يلثم أو يُقبِّـل كان كالصائم الذي لم يتذوَّق بفمه شيئاً . إذاً فالشاعر لمّا ملأ ناظريه من الخـدَّين اللـذين شبَّههما بالتفَّاحتين فكأنَّه أكلهما ، أو فطر بهما ، ولمّا لم يقبِّل ويتذوَّق بفمه جعـل ذلـك صياماً .

ومن استعاراته أيضاً قوله :

ولمَّا أيـنـعت رمَّانتاها ** ونادى الوصلُ حيَّ على القطافِ

تأذّت فيهما بفمي فقالت ** شـمائلُ عاشق وفعال جافِ(٢)

ففي البيت الأوّل استعارة بالكناية ، واستعارة تصريحية أيضاً فهـو شـبَّه بـروز نهديها ، واكتمال استدارتهما بالإيناع والنضوج للثَّمر ويشبِّه كـذلك نهـديها برمَّـانتين ، كماشبَّه الوصل بإنسان وحذف المشبَّه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله : " نادى " وهي استعارة بالكناية .

والتشبيهات والاستعارات في مماثلة أو مشابهة النَّهدين للرمَّان موجودة فـي الشِّـعر العربيِّ مثل قول النابغة :

يخطِّطنَ بالعِيدانِ في كلِّ منزلِ ** ويجننينَ رمّان الثُديِّ النواهدِ (٣)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضياب الذبياني ، كنيته أبو أمامة ، ولقبه النابغة ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت دار صادر ١٩٦٣م ، ص ٤٤.

وقول المتنبيء :

وقابلني رُمَّاتنا غصنِ بانةٍ ** يميل به بدرُ ويُمْسكهُ حِقفُ (١)

ومن أبياته التى جمع فيها بين الاستعارة والتشبيه قوله :

للؤلؤ المنظوم في فمك انبرت ** عبراتهُ كاللؤلؤِ المنثورِ (٢)

إلى أن يقول :

فبكت بنرجستين خفتُ عليهما ** نفسي فلم ألثُم بغير ضميرِ (٣)

فقد شبَّه في البيت الأوَّل الأسنان باللؤلؤ وحذف المشبَّه واستعير اللفظ الدَّال على المشبَّه به وهو اللؤلؤ ، للمشبَّه وهو الأسنان ، على سبيل الاستعارة التصريحية . كما شبَّه في الشطر الثَّاني من البيت نفسه ، العبرات باللؤلؤ وذكر أداة الشَّبه وهي الكاف .

وتلاحظ كذلك الاستعارة التصريحية في تشبيهه للعينين بنرجستين ، وحذفه للمشبَّه . وقد أورد صاحب أسرار البلاغة عدداً من الأمثلة للتشبيهات والاستعارات التي تجمع بين العيون والنَّرجس ومنها قول ابن المعتز :

كأنَّ عيونَ النَّرجسِ الغضِّ حولها ** مداهنُ دُرٍّ حشوُهُنَّ عقيقُ (٤)

ولعلّ معظم تشبيهات أبي الحسن الحُصْريّ واستعاراته يكون الجامع فيها الصورة والشكل كما رأينا في شكل وصورة الثديين وتشبيهما بالرُّمانتين، أو اللون كتشبيه الخدود بالتُّفاح والورد . وأحيانا تكون التشبيهات حِسِّيَّة نسبة إلى الحواس كتشبيه شيء بشيء في طعمه "حاسة الذَّوق " أو رائحته " حاسة الشَّم " أو غير ذلك .

ويقول أبو الحسن الحُصْريّ :

تُرى قبَّلتك الريحُ عنِّي وبلَّغت ** من السِّرِّ ما استودعتها حين هبتِ (٥)

---

(١) شرح ديوان المتنبيء ، وضعه عبدالرحمن البرقوقى ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية(١٣٥٧هـ ـــ ١٩٣٨م)، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ص ٣١.

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١١٤

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) أورد عبدالقاهر الجرجاني هذا البيت ونسبه لإبن المعتز أنظر أسرار البلاغة ، ص ٧٨ ،وقد رجعت إلى ديوان إبن المعتز ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٣٨١هـ ـــ ١٩٦١ م) ، ولم أعثر على هذا البيت .

(٥) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢١٤

فهو قد شبَّه الرِّيح بإنسان ، وحذف المشبَّه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قولـــه : " قبَّلتكَ " "وبلَّغت " على سبيل الاستعارة المكنية .

وفي مثل هذه الاستعارات تجد عناصر الطبيعة مشخَّصة ، فالريح أصبحت رســولاً بين الشاعر ومحبوبته تقبِّل إنابةً عنه وتبلِّغ رسائله ، وأشواقه ، وهى صورة جمالية تُبرز بوضوح أثر الاستعارة المتمثِّــل في جمال الخيال.

ونختم استعاراته بقوله :

رشاً صامَ عُلواً فادَّعت يثربُ الحَشَا ** فأفطر سُفلا فادَّعت ردفه مصرُ (١)

إذ لا يخفى تشبيهه للمحبوبة بالغزال ، ولرقَّة خصرها ، ونحافته كأنَّه صائم ، ولامتلاء أردافها وضخامة عجزها كأنَّها أفطرت فشبعت وسمنت . كمــا يلاحــظ ذكــره لمواقــع جغرافية فهل هذه المحبوبة مُمَدَّدة مابين يثرب ومصر بمعنى أنَّ خصــرها فــي يثــرب وردفها في مصر ؟ أم أنّه شبَّه الخصر والحشا لرقَّته بمساحة المدينة والــرِّدف لاتســاعه وعظمه بمساحة مصر . وفي كلتا الحالتين لا يخلو من مبالغة ، وهذه النماذج والأمثلــة قليلة مقارنة بما ورد في شعره من الاستعارات ولكنَّنا أوردناها كنماذج تؤكِّــد اهتمامــه بالبيان كما عُنِي وأكثَرِ من البديع .

أمّا التشبيهات فلن نستطيع أن نحصيها في هذه المساحة ونحصي كلّ أنواعها لكثرتها وتنوِّعها ولكن يمكن أن نورد نماذج مختلفة فمنها ما حُذِفَت منه الأداة مثل قوله :

هو البحر في ذا الخطب أعطاك درّه ** فقُل للسان انظم وللدَّمع فانثرًا (٢)

وهذا البيت من قصيدته التي يرثي فيها المقتدر بن هود ، ويعدِّد محاسنه ، مشبّهاً له بالبحر ، فالمشبَّه قوله " هو " والمشبَّه به " البحر " بجامع مشترك بينهما هو " العطاء " .

ومثله قوله :

إنِّما أخلاقُه زهر ** عطَّر الآفاق فائحه (٣)

فقد شبَّه الأخلاق بالزهر وجعل من ذلك صورة شميَّة لأنَّ الزهر له رائحة تنتشر وتفــوح في الآفاق وكذلك أخلاق الممدوح ، وخصاله الحميدة قد عمّت كلَّ البقاع . وممَّا ذُكِرت

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٢١.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٢.

فيه الأداة من تشبيهاته قوله :

حسام عينيك من فتورهما ** كأنَّه مُغْمَد ومسلولُ (١)

وهذه من الصور الجميلة من التشبيهات فالعين كالسَّيف في غمده ،والأجفان كغمد السَّـــيف إذا فالعين بين الجفنين ، كالسَّيف في غمده . والعين ناعسة وفاترة كالسَّيف الذي يُسَلُّ من غمده ببطء ولا يخرج منه . وقد استخدم أداة الشبه "كأنَّ"

ومثله قوله :

كأنَّك منها مالك وهي طيبة ** فما جمع أهل العلم عنك بمنفضٍّ (٢)

وهو في هذا البيت من قصيدته التي يمدح فيها القاضي أبا المطرف الشعبيّ بمدينة ريّـــة الأندلسية ــ يشبِّهه بالإمام مالك في المدينة .

والتفاف النَّاس حول مجلسه بجموع النَّاس والتفافهم حول مجلس عِلمْ الإمام مالـــك وفـــي قوله : وهي " طيبة " يشبِّه مدينة ريّة بالأندلس بطيبة ، وهي المدينة المنورة .

وإذا نظرت في ديوان أبي الحسن الحُصْريّ تجد أنواعاُ مختلفة من التشبيهات فمنهـــا المرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأداة ، المؤكَّد وهو ما حذفت منه الأداة ، والبليغ وهو مـــا حذفت منه الأداة ووجه الشبه ... الخ .

ولا يخفى جمال وبلاغة التشبيهات لاسيما التشبيه الضمني فانظر إلي أحد تشبيهاته إذ يقول متحدِّثا عن مدينة القيروان :

إلَّا تكن في رباها روضة أنف ** فإنَّما أوجُهُ الأحبابِ روضاتُ

أولا يكن نَهَر عذبُ ُ يسيلُ بها ** فإنَّ أنَهـــــارها أيد كريماتُ (٣)

إلى أن يقول :

لايشمتنَّ بها الأعداء إن رُزئت ** إنَّ الكسوفَ له في الشَّمسِ أوقاتُ (٤)

وفي الأبيات السابقة تجده يشبِّه أوجه الأحباب في جمالها بالرّياض والأنهار كالأيادي التى تمتدُّ بالعطاء وهو تشبيه مقلوب.

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق ،ص ١٢١.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٦

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

وكما أنّ الشَّمس تختفي أحياناً ثُمَّ تظهر فكذلك مدينة القيروان لابدَّ أن تُستردَّ من الأعــداء بعد أن سقطت في أيديهم .

ولم يُعنَ الشاعر أبو الحسن الحُصْريّ بالكناية عنايته بالاستعارات والتشــبيهات لــذا نجدها قليلة في شعره ومن ذلك قوله :

العفُّ الطَّاهر مئزرهُ ** والحرُّ الطيِّب مولدُهُ (١)

فهي كناية عن نسبة فقد نسب الطهر إلى مئزره ، فكأنَّ الطُّهر يلازمه ملازمة مئــزره ، ويلتصق به التصاق مئزره به . وقد يكون فيه كناية عن صفة العفَّة والبعد عن الفاحشــة والزّنا .

ومن الكنايات أيضاً قوله :

لوساءني فيك غير الله رحتُ وقد ** قرعتُ سِنِّي أو أدميتُ إبهامي (٢)

وواضح أنَّ قرع السِّنِّ وإدماء الإبهام الناتج عن عضِّه كناية عن صفة الندَم .

ومن ما ذكره عبدالقاهر الجرجاني عن الكناية في دلائل الإعجاز قوله : (والمــرادُ بالكناية ها هنا أن يريد المتكلِّم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلاً عليه) (٣)

ولعلَّ هذا التعريف للكناية يتَّضح في الأمثلة التي تقدَّمت مــن شــعر أبــي الحســن الحُصْريّ فبدلاً عن أن يقول مثلاً " ندمت " يومىء إلى هذا المعنى بقوله " قرعت سِــنِّي أو"أدميت إبهامي "

وبذكر المجاز والحقيقة أراد الباحث أن ينوِّه إلى أنَّ كلَّ لفظ استعمل فــي غيــر مــا وضع له فهو مجاز ثم تأتي بعد ذلك تقسيماته المختلفة ويؤيِّد ذلك : (وأمّا المجــاز فقــد عوّل الناس في حدِّه على حديث النَّقل وإنَّ كلَّ لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز) (٤)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٦.

(٣) دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، ص ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٥.

وختام هذا الفصل بمبحثيه أنَّ الباحث حاول ما أمكن ذلك أن يركِّز على الأساليب البلاغية الأبرز والأهمّ في شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، وبالتالي فقد يكون هناك قصور في بقية الألوان البلاغية الأخرى التى لم نذكر لها نماذج ، ولكنَّ هذا لا ينفي وجودها سواءً أكانت قليلة أم نادرة . ولعلَّه ممَّا قد يشفع لي أنَّه ليس الهدف من دراسة أسلوب الشاعر إحصاء النماذج، وإنَّما الهدف معرفة مميِّزات أسلوب الشاعر وتقنياته التى يعتمد عليها في رسم الصورة الشعرية ، وتصوير المعنى الشعريِّ . حتى نتمكن من الوقوف على ما كان يعوِّل الشاعر عليه في صنعته الشعرية ، وقد ذكرت في أوَّل هذا الفصل أنّ الأساليب البلاغية ، وآراء النقاد تساعدنا في الحكم على شعر أبي الحسن الحُصْريّ ، الذي يمكن أن نقول : إنَّه يتكلَّفه ويصنعه أحياناً صناعة خاصة شعره الذي حفل بألوان البديع لاسيما الجناس ، وهذا الحكم لا ينفي أنَّ أكثر شعره جيِّد وقد انطبقت عليه أوصاف المطبوع من الشعراء التى ذكرها إبن قتيبة (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبيَّنت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحَّر) (١)

ولعل في نصِّ ابن قتيبة ما ينطبق على كثير من شعر أبي الحسن الحُصْريّ فكثيراً ما رأينا في صدور أبياته نهاياتها . وفي مقتتحاتها قوافيها ، ولعلّ النماذج التي ذكرت كافية

خاصة تلك التى أوردناها في التصريع وفي ردِّ الأعجاز على الصدور .

ولما وجدنا أكثر شعر أبي الحسن الحُصْريّ في الرّثاء فإنَّ عند ابن قتيبة تبرير لذلك إذ يقول : (والشعراء في الطَّبع مختلفون منهم من يسهُل عليه المديح ، ويعسُر عليه الهجاء . ومنهم من يتيسر له المراثي ، ويتعذَّر عليه الغزل) (٢)

ونختم هذا المبحث بأهميَّة دراسة الجوانب البلاغية في الشعر ، وربطها بالنقد وآراء النقاد السابقين ، حتَّى نستطيع أن نصدر حُكْماً ، أو فلنقل رأياً في شعر أيٍّ من الشعراء .

---

(١) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤.

وعليه فإنَّه يمكننا القول أنَّ أسلوب الشاعر أبـــي الحســن الحُصْــريّ ، أو صــنعته الشعرية تمثَّلت في اعتماده على أنماط محدَّدة من البلاغة فقــد اهــتمَّ فـــي علــم البــديع بالمحسِّنات اللفظية من جناس ، وسجع ، ومقابلة مثلثً عنايته باللفظ ، ومن علــم البيـــان عني بالاستعارات والتشبيهات في تصوير المعاني .

وبالنظر إلى معانيه باستعاراتها وتشبيهاتها وشــعره عمومـــاً بمحسِّــناته اللفظيـــة والمعنوية ، فإنَّه أقرب إلى الشِّعر التقليديِّ ، كما أنَّ شعره لم يخل من الصور الجمالية في عدد من قصائده وأبياته ، ولكن نأخذ عليه إكثاره من عنايته بالجناس التي تجعل في بعض شعره تكلُّف وتصنُّع أحياناً كما أسلفنا.

الفصل الثالث

بناء القصيدة في شعر أبي الحسن الحصري

المبحث الأوَّل :ــ شكل القصيدة من حيث الاستهلال ، والتخلُّص ، والخاتمة .

خصَّصْتُ هذا المبحث لبيان ، ومناقشة ماتتألَّف منه قصائد أبي الحسن الحُصْريّ ، من حيث استهلالاته ،وتخلُّصاته ، وختام قصائده . وذلك للعناية التي أولاها النُّقاد السابقون لهيكل القصيدة ، لدرجة جعلتهم ينعتون الشاعر الذي يتعهد أجزاء قصيدته بأنَّه شاعر حاذق (والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال ، والتخلُّص وبعدهما الخاتمة ، فإنِّها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الاصغاء) (١)

وأورد صاحب الصِّناعتين النَّعت ذاته للشاعر الذي يهتمُّ بابتداء قصيدته وختامها : (وسُئل بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من يتفقد الابتداء والمقطع) (٢)

وقد رأى الباحث أن يسبق الحديث عن شكل القصيدة ، كلمة عن اللغة ، والألفاظ التي يستخدمها الشاعر في نسج وصياغة البيت من الشعر ، وهل هذه الألفاظ تناسب الغرض الذي قصده الشاعر ؟ إذ إنَّ من المعلوم أنَّ لكلِّ غرضٍ من الأغراض ألفاظ تلائمه ، ولغة تليق به .

ولمَّا كانت القصيدة تتألَّف من أبيات ، ويتكوَّن البيت من ألفاظ ، فلا بأس أن نتتبع بناء القصيدة بداية بألفاظها ، ثم مناقشة وحدة البيت ، ومن ثَمَّ وحدة القصيدة وسوف نناقشهما في المبحث الثاني والذي خصَّصناه لمضمون القصيدة .

وإذا نظرت إلى قصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ في الرّثاء ، وجدته يستخدم ألفاظاً تدُلُّ على الحزن ، والفجيعة ، والألم مثل : العزاء ، البكاء ، الكرب ، النواح ، الثكل ، الصبر ، الخطب ، الدَّمع ، المُصاب ، الويل ، الهلاك ، النوائب ، الرَّدى ، الحسرة ، الجراح ، الخمش ، للّطم ، الرزِيَّة ، الكدر ، الفراق ، النعي ، الرّزء . ونجد بعض هذه الألفاظ في مثل قوله في الأبيات التالية :

جراحُ قلبي عليك تدمي ** لم يدرِ آس لها علاجَا
جلَّ مصابي وعزَّ صبري ** ولم تجدْ كُربتي انفراجَا (٣)

---

(١) الوساطة بين المتنبىء وخصومه ، القاضي الجرجاني ، ص ٤٨.
(٢) الصِّناعتين ، أبي هلال العسكري ، ص ٤٩٣.
(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٦١.

ومثله :

خمشت ثُكلاً عليه وجْنَةً ** لطمت منها صباحاً وشفَقْ (١)

ولمَّا كانت الألفاظ التي تناسب الغزل رقيقة سهلة ، فإليك نماذج لبعض هذه الألفاظ التي استخدمها الشاعر مثل :

الأزهار ، النرجس ، البنفسج ، التذلُّل ، الهوى ، الغزال ، الرُّضاب الدُّر ،الخفقان ، التِّبر ، الصبابة ، المسك ، النسيم ، الورد . فهذه الألفاظ وغيرها من الألفاظ التي استخدمها الشاعر لها علاقة بالغزل أو النسيب ، ونجد أنَّ الشعراء قدامَى ، ومحدثين يوردونها في تشبيهاتهم ، ووصفهم للمرأة ، وحديثهم عن الغزل .

ومن أبيات الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ التي ضمَّنها بعض هذه الألفاظ مايلي :

ضواحكُ أزهارٍ وأعينُ نرجسٍ ** أشارت بألحاظٍ إليَّ مراضِ

ضحى ورد خدَّيهِ يعود بنفسجاً ** إذا ما اجتناه عاشق بعضاضِ (٢)

ومثله قوله :

براني هوى الظبيِ الغريرِ وقادني ** ذليلاً وكم راض الهوى جامحاً صعبا (٣)

أمّا المدح فمن الألفاظ التي تغلب في استخدام الشاعر لها بعض الألفاظ الدالة على الوصف بصفات حميدة مثل : الهِمَّة ، الشجاعة ، الكرم ،العفاف ، العدل ، العلم ، العطاء ... الخ ومن ذلك قوله :

قد كان الشيخُ أخا كرمٍ ** ينهلُّ على من يقصدُهُ (٤)

ومثله :

العفُّ الطاهرُ مئزرُهُ ** والحُرُّ الطيِّبُ مولدُهُ (٥)

وإذا عرفنا أنَّ القصيدة : (هي في عرف النقاد القدماء ما تألَّف من عشرة أبيات فأكثر أو سبعة فأكثر ، ومادون ذلك فهو القطعة والمقطوعة) (٦)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٤١١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٣.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٧.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٤.

(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،الدكتور عبدالله الطيب ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، الكويت (١٩٨٩م ــ ١٤٠٩هــ)، دار الآثار الإسلامية ، ص ٩ .

فإنَّ ذلك يجعلنا نصنِّف أو نقسِّم قصائد أبي الحسن الحُصْريّ إلى ثلاثة أقسام أساسية :
القسم الأوّل : قصائد تتألَّف كل قصيدة منها من عشرة أبيات وموضوعها الغــزل وهــي تسع وعشرون قصيدة .
القسم الثَّاني : قصائد تتألَّف كل قصيدة منها من خمسة عشر بيتاً وموضــوعها الرّثــاء ، وهي تسع وعشرون قصيدة أيضاً .
القسم الثَّالث : قصائد تختلف في عدد أبياتها وأغلبها طويلة ، وتتعدَّد فــي موضــوعاتها وأكثرها " رثاء " لأنَّ منها ديوانه " اقتراح القريح " في الرّثاء . وبعضها مــدح ، وقليــل منها غزل .

مطالع قصائده ومقدِّماتها :ــ

فالقسمان الأوّل والثَّاني ، وهما تلك القصائد المحدودة العدد ، المتَّحدَة الموضــوع لا تكاد تتبيَّن فيها أيَّ أبيات القصيدة مقدِّمة وليس فيها تخلُّص إذ لا يوجــد موضــوع آخــر يتخلَّص إليه ،لأنَّها كما ذكرنا موضوعها واحدٌ إمّا غزل أو رثاء . وأحسَبُ أنَّهــا مــن (القصائد اللاتي يكافحنَ أغراضهنَّ من المطلع ويستغنين بذلك عن أن يكون لهنَّ خــروج وليست نهاياتهنَّ سوى انتهاء ما الشاعر بصدده من وصية أو مدح أو رثاء)(١)

وقد عزا الباحث عدم وضوح الرؤية في هذا النوع من القصائد للأسباب التالية :
أولاً : إنَّ موضوع " المعشَّرات " هو الغزل ، وبما أنّ المقدِّمات المشهورة إمَّا غزلية ، أو طللية ، وأحيانا تكون خمرية ، فإنَّني لمَّا نظرت إلى جميع معشَّراته ، لم أجد فيها مقدِّمــة طللية ولا خمرية ، إذاً فقد امتزجت مقدِّمة القصيدة الغزلية بموضوعاتها واختلطت أبيــات المقدِّمة بأبيات اللبِّ ،فصعب تحديد أبيات بعينها لتعيينها كمقدِّمة لتلك القصائد .
ثانياً : لعلَّ قلَّة عدد أبيات القصيدة (عشرة أبيات) وهو الحدُّ الأدنى للقصائد لم يمكِّن مــن تقسيم أبياتها إلى أبيات للمقدِّمة ، وأبيات للبِّ الموضوع ، وأبيات للخاتمة .
ثالثاً : يبدو أنَّ هذه القصائد محدَّدة العدد تقوم على وحدة البيت واســتقلاله إذ يمكنــك أن تختار أيَّ بيت سواء من أوّل القصيدة ، أو وسطها، أو آخرها فتراه يصلح أن يكون فــي موضع غير موضعه ، ولا يؤثِّر انتقاله على المعنى العام .

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،الدكتور عبدالله الطيب ، الجزء الثالث، ص١١١.

أمّا مطلع القصيدة وهو أوّل بيت فيها فقد (عُنِيَ نقاد العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة فطالبوا الشعراء بأن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه) (١)

ويرى الباحث أنّ في قصائد أبي الحسن الحُصْريّ عدداً لابأس به من المطالع الجيِّدة ، وسبب جودتها واستحسانها أنَّني رأيتها تناسب الغرض الذي يرمي إليه الشـــاعر ، وأنّ ألفاظها واضحة لاتعقيد فيها ، وأنَّ وقعها على الأذن ــ باعتبارها أوائل أبيـــات القصـــائد التي تقرعُ الأسماع ــ موقع حسن . ومن هذه المطالع المستحسنة ، في شـــعر الشـــاعر قوله في مطلع إحدى معشَّراته الغزلية :

سلامُ على الأحبابِ تفتقُهُ الصِّـــبا ** كما فتق المسكُ الزكيُّ التنفسِ (٢)

وقوله في مطلع غزلية أخرى :

طباعي أبت إلَّا التذلُّل في الهوى ** ولازال خَدِّي للحبيبِ بِسَاطَا (٣)

وقد أورد بعض النقاد (٤) نماذجاً لأحسن المطالع ، أو الابتداءات في الجاهلية ومنها قول النابغة :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ** وليل أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

كما أوردوا قول أوس بن حُجر على أنّه أحسن مرثية جاهلية ابتداء حيث يقول :

أيَّتُها النَّفسُ أجملي جزعاً ** إنَّ الذي تحذرينَ قد وَقَعَا

وأحسن مرثية إسلامية قول أبي تمام (٥)

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا ** وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ويرى الباحث أنَّ ثمَّة ملاحظة على هذه المطالع المستحسنة وهي أنَّها كلّها مصرَّعة ، وهذا دأب الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ في عددٍ كبير من مطالع قصائده ، ومن مطالعـــه في الرّثاء قوله :

يا زمان اتئد إلى كم ترزِّي ** جدَّ وجدي وأنت بي متهزِّي (٦)

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور أحمد أحمد بدوى ، نهضة مصر للطباعة والنشر (بدون تـــاريخ) ، ص ٢٩٧.

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٢٢٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧.

(٤)انظر ماقاله أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين ، ص ٤٨٩.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٩١.

(٦) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٣٤.

وبجانب التصريع نجد الشاعر قد جرى على ما استحسنه أبو هلال العسكري في مفتتح المراثي من نعي الشباب ، وذمِّ الزَّمان ، والبكاء ووصف اقتفار الديار (١)

ونلاحظ أنَّ ابتداءات أبي الحسن الحُصْريّ في الرّثاء توافق غرضه إلى حدٍّ كبير وإن لم يلتزم فيها نهجاً محدَّداً فتارة يبدؤها بمعاناته ، وما لاقاه وَوَجَدَه من فراق ابنه وتصوير حاله وهو يبكيه وإليك نماذج من هذه المقدِّمات :

أتعبني بعدك البقاءُ ** وفي وفاتي لك الوفاءُ

أوديت فاستفتح المعزَّى ** أن يحسن الصبرُ والعزاء

أجلُّ خَطْب فراق حِبٍّ ** كان لسقمي هو الشفاءُ (٢)

وانظر إلى قوله في مرثية أخرى :ـ

حالفت فيك البكا كأنِّي ** ورقاء تبكي على فراخِ

خدِّي شهيد بأنَّ عيني ** عادت من البخل بالتَّساخِي

خلت شهورٌ ولم أسَلْ عن ** إهلالِ شهرٍ ولا انسلاخِ (٣)

وأحياناً تكون ابتداءاته لمراثيه استشراف للمستقبل الذي يرجوه وتطلُّع للغد الذي يأمله ، وذلك بدخول الإبن الجَنَّة ،وشفاعته لأبيه ومن ذلك قوله :

تبوَّأ الخلد مطمئناً ** واشفع غداً إذ أبوك جاثِ

ثُمَّ يرجِّيك أن تنادي ** ربِّ أبي ارحم به اكتراثِ (٤)

وهذه النماذج ليست حصراً لابتداءات ومقدِّمات أبي الحسن الحُصْريّ في قصائده ، ولكنَّها تبيِّن تنوُّعها تنوُّعاً لا يخرج عن الغرض الذي ينظم فيه .

والجدير بالذكر أنَّ أطول مقدِّمة غزلية في قصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين بيتاً ثم تخلَّص إلى غرضه وهو المدح ، وقد أوردنا هذه المقدِّمة الغزلية بل خصَّصنا لها مبحثاً كاملاً وهو المبحث الثَّاني من الفصل الثَّاني (الغزل) في الباب الثَّاني .

---

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص ٤٨٩.

(٢) ابو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٤٥٧.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٣.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٠.

الخُرُوج والتخلُّص :ـ

لابن رشيق رأي يخالف فيه بعض النَّقاد ويفرِّق بين الخروج والتخلُّص (ومن النَّاس مــن يُسَمِّى الخروج تخلُّصــاً وتوصّلاً) (١)

فهو يرى أنّ الخُرُوج يكون مثلاً من نسيب إلى مدح ، أمَّا التخلُّص أن تخرج من معنــى إلــى معنى آخر ثم تعود إلى الأوّل وهكذا والفرق الذي يراهُ على حدِّ قوله : (وأولى الشــعر بــأن يسمَّى تخلُّصاً ما تخلَّص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأوّل وأخذ في غيره ثُمَّ رجع إلى ماكان فيه) (٢)

ونراه يبيِّن الخروج بقوله : (الخروج إنِّما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح ، أو غيره بلطفِ تخيُّلٍ ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه) (٣)

وحقيقة الأمر أنَّني ـ أحياناً ـ أعوِّل على آراء ابن رشيق القيرواني فهو بجانب منزلتــه في النقد والأدب قد كان معاصراً للشاعر أبي الحسن الحُصْريّ فإذا سلَّمنا بأنَّ تاريخ وفاة ابــن رشيق سنة ٤٥٦ هـــ ، فإنَّ عمر صاحبنا أبي الحسن الحصري يكون ستة وثلاثين عامــاً ، أمَّا على الرأي القائل بأنَّ وفاته سنة ٤٦٣هـــ فإنَّ عمر أبي الحسن الحُصْريّ حينذاك يكــون ثلاثة وأربعين عاماً . ولكن رغماً عن ذلك فإنَّ الباحث لايرى اختلافاً بين التخلُّص والخروج ، لأنَّ الشاعر إذا تخلَّص من موضوعه الذي يتحدث عنه إلى موضوع آخر ، فقد خرج عنه .

أضف إلى ذلك اشتراكهما في النسبة إلى القيروان ، وإن كان إبن رشيق لم يوُلد بها وإنَّما أتاها طفلاً صغيراً .ويزعم الباحث أنَّ آراء ابن رشيق تصوِّر واقع الشعر والأدب فــي تلــك الفترة (فترة عصر الشاعر) وماقبلها من فترات أو عصور.

وإذا نظرنا إلى قصائد أبي الحسن الحُصْريّ الطوال فنجد في بعضها تخلُّصات مستحسنة لأنَّ النُّقاد كما اهتموا بمطالع ومقدِّمات القصائد (فقد حرصوا حرصاً شديداُ علــى الاهتمــام بالشكل ، والدِّقة في الخروج من جزء إلى جزء خروجاً يُشْعِر بالتحــام الأجــزاء وتماســكها ، لابوجود حواجز واضحة بينها . ومن هنا جاءت العناية بالتخلُّص من المقدِّمــة إلــى الغــرض الرئيسي واشتراط الدِّقة فيه) (٤)

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لإبن رشيق ج١ ،ص ٣٧٥.

(٢) المرجع السابق ، الجزء نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص ٣٧٢.

(٤) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، الدكتور يوسف حســين بكــار ، دار الأنــدلس للطباعة والنشر والتوزيع ـ لبنان (بدون تاريخ) . ص ٢٢١.

ومن تخلُّصات الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ التي أعجبتني قوله في القصيدة التي يمـــدحُ فيها أبا العباس النحويِّ البلنسيِّ :

أهوى بلنسيةً وما سببُ الهوى ** إلَّا أبو العباس أنُس غريبِها (١)

ثم شرع في مدحه :

أأخي المعين على العدوِّ بمِسْلق ** أزرى بوائلِ في ذكاء خطيبِها

إذ قامت الهيجا ولولا نصـــــره ** ماكان يعُرف ليثُها من ذيبِها (٢)

فإنَّ البيت الذي تخلَّص في شطره الثَّاني إلى ذكر الممدوح ربط فيه بين سبب هواه وحبِّـــه لبلدة الممدوح " بلنسية " وبين حبِّه للمدوح نفسه بل جعل الممدوح سبباً لإعجابـــه وحبـــه للبلدة .

وكذلك تخلُّصه في إحدى مراثيه :

ثم يقول النبيُّ حقَّاً ** أغــثه ياخير مستِغاث

ثلاثة قد أصيب فيهم ** ووعدي الحقّ في انبعاثِ (٣)

فإنَّه لمَّا ذكر النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو يرجو إغاثته وشفاعته أتى بما يناسب تخلُّصه إلى رثاء أبنائه ولاسيَّما ابنه عبد الغني بذكر عددهم الوارد في حديث الرسول صـــلَّى الله وسلَّم والذي ذكرناه في المبحث الثَّاني من الفصل الأوَّل في الباب الثَّاني ومضمونه وعد مَن مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحُلُم بالجنَّة ومثل هذه التخلُّصات متعدِّدة في شعره ، وكذلك تخلُّصه في رائعته " ياليل الصب " التي يمدح فيها الأمير عبدالرحمن محمد بـــن طاهر أمير " مرسية " فقد تخلَّص بعد مقدّمة غزلية طويلة بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشـــرين بيتاً تخلص إلى غرضه وهو المدح بقوله :

الحُبُّ أعفُّ ذويه أنا ** غيري بالباطلِ يفسدُهُ

كالدَّهر أجلُّ بنيه أبو ** عبدالرحمن محمَّدُهُ (٤)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص١١٦.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٠.

(٤) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٤٤.

ثم شرع في مدحه بقوله :

العــفُّ الطاهــرُ مــئزرُهُ ** والحرُّ الطيِّب مولدُهُ

شفــعت في الأصل وزارته ** وزكا فتفوَّق سؤددُهُ

كسب الشرف السَّامي فغدا ** فوق الجوزاء يشيِّدُهُ (١)

وهاك نموذجاً أخيراً لتخلُّصه في أحدى مطوَّلات مراثيه :

فكيف الصَّبرُ أم كيف التَّعزِّي ** ومن عرنينه ولدي ذبيــحُ

رقيت رعــافه فأبى رقوءاً ** ودام ومزجه دمي السَّفوحُ

وجــرَّح كلَّ جارحة بجسمي ** مفضَّضُه ومُذْهبُه الجريحُ

فلما مات مُتُّ أســـى عليه ** كأنِّي كنت جسماً وهو روحُ (٢)

فإنَّه لمَّا ذَكَر الصَّبر ذكر السبب الذي جعله لا يحتمله ، وهو رؤية الدَّم يسيل في وجه ابنه الصغير ثم جعل ذلك بيانا للعلَّة التي كانت سبباً في وفاة ابنه وهى الرُّعاف .

إذاً فإنَّ خلاصة القول هي : إنّ حسن التخلُّص جماله في أنَّك تجد أنّ الشــاعر قــد انتقل بك دون أن تحسَّ بذلك من المقدِّمة إلى الموضوع ، مع رابط يصل ســابق الكــلام بلاحقه .

مقطع القصيدة أو خاتمتها :

وكما فرَّق ابن رشيق بين الخُرُوج والتخلُّص نجده يتحفَّظ على إطلاق المقطع علــى آخر القصيدة ، كما تحفَّظ على إطلاق المطلع على أوَّلها (ومن النّــاس مــن يــزعم أنّ المطلع والمقطع أوَّل القصيدة وآخرها وليس ذلك بشيء ، لأنَّا نجد في كلام جهابذة النُّقــاد إذا وصفوا قصيدة قالوا : حسنة المقاطع جيِّدة المطالع ، ولا يقولون المقطــع والمطلــع . وفي هذا دليل واضح لأنَّ القصيدة لها أوَّلٌ واحد ، وآخر واحد ولا يكــون لهــا أوائــل وأواخر) (٣)

لذا نجده يفضِّــل إطلاق لفظ النهاية أو الانتهاء على خاتمة القصيدة بدلاُ عن أن يقول : المقطع ، كما استحسن أن يُطْلَق على أوَّل القصيدة المبدأ بدلاً عن المطلع .

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لإبن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ٣٤٧.

ويبدو أنّ بعض النقاد والأدباء والدارسين لم يحفل بآراء ابن رشيق في قضية المطالع والمقاطع ، ولم يعر اهتماماً للفروق التى وضعَها فقد ذكر الدكتور يوسف حسين بكار في سياق حديثه عن عناية النقاد بخاتمة القصيدة مانصّه (لقد اطلقوا على الخاتمة اصطلاح " المقطع " ونظروا إليه من الزاوية نفسها التي نظروا من خلالها إلى المطلع ، ومن حيث الاهتمام بالسَّامع والمخاطب) (١)

وإذا كانت بعض ابتداءات أبي الحسن الحُصْريّ وتخلُّصاته قد أعجبتني فإنِّي قد لاحظت أنَّ عدداً من انتهاءاته ، وخواتيم قصائده لا تنطبق عليها الأوصاف والشروط التي وضعها النُّقاد .

فهل لك أن تتخيل أنَّه يختم مدحه لعلي بن مجاهد العامري بمثل قوله :

همامُ إذا ما هام بالأمر فامتطى ** عزيمته ناءَت بر ضوى ويذبُلِ (٢)

فإنَّ الأذن تتهيَّأ إلى بقيَّة أوصاف هذا الممدوح وأنَّه سوف يستمرُّ في تعداد أوصافه . كما أنَّ حُداء الإبل ، وحثَّها لتصل إلى الممدوح قد استخدمه بعض الشعراء في التخلُّص إلى غرض المدح ، فيفاجأنا بأن يجعل ذلك ختاماً لقصيدته إذ يقول :

غذا عيسنا بالبيد شدوُ حداتنا ** بذكرك فاستغنت عن الماءِ والحمضِ (٣)

وحقيقة فقد بدأت أشكُّ في أنّ هذه القصائد غير مكتملة ، وأنّ مثل هذه الأبيات ليست نهاياتها ، خاصة وأنّ محقِّقي الديوان نقلا بعض القصائد عن الذخيرة لإبن بسَّام والذي بالرغم من أنَّه قد عاصر الشاعر واعترف بذلك بقوله : (وأبو الحسن هذا ممَّن لحقته أيضاً بعمري ، وأنشدني شعره غير واحد من أهل عصري) (٤)

إلَّا أنَّني لمَّا رجعت إلى ذخيرته رايت كثيراً من قصائد الشاعر لا يوردها كاملة ويكتفي باستخدام لفظ " ومنها ".

وبالرغم من ذلك لم يخلُ شعر أبي الحسن الحُصْريّ من القصائد التي تنتهي نهاية حسنة لموافقتها قول إبن رشيق : (وأمّا الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً لاتمكن الزيادة عليه ، ولايأتي بعده أحسن منه ،

---

(١) بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، يوسف حسين بكار ، ص ٢٢٩.

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص١١٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٤) الذخيرة ، لابن بسّام ، ج٧ ، ص ٢٤٥.

وإذا كان أوَّل الشِّعر مفتاحاً له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه) (١)

ولعلّ من ذلك البيت الأخير من قصيدة أبي الحسن الحُصْريّ والذي يختم به رثاءه وندبه لمدينة القيروان ببيت أقرب إلىالحكمة إذ يقول :

وما أرى الموت إلَّا باسطاً يده ** من قبل أن يمكنَ المأسورَ إفلاتُ (٢)

وانتهاؤه بالدعاء في إحدى مراثيه إذ يقول في آخر بيتين :

رُدَّ رقادي ، ونـجَّ إنِّى ** غرقت في الأدمع الغزارِ

رقَّت وكادت تذوب نفسي ** فقوِّ عزمي بالاصطبارِ (٣)

ومثله :

وكنت كمثل الزَّرع أخرج شطأه ** فآزره لكن أصـاب الرَّدى الزَّرعا

عليك سـلامُ الله من متفجِّـع ** مع الورق يبكى كلّما هتفت سجْعا (٤)

وممَّا يجدر ذكره والتنويه بشأنه ، أنَّ ممَّن تحدَّث حديثاً طيَّباً عن هيكل القصيدة وأجزائها صاحب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " ، فقد أعجبتني أوصافه للمطالع والمقاطع ، وكنت أحاول استصحاب أقواله ، وتطبيقها على قصائد أبي الحسن الحُصْريّ .

وممَّا قاله في وصف المقاطع أو خاتمة القصيدة وما يجب أن يتوفَّر فيها : (فأمَّا ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهو أواخر القصائد فأن يتحرَّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسنِ ما اندرج في حشو القصيدة ، وأن يتحرَّز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه ، أو معنى منفِّر للنفس عمَّا قصدت إمالتها إليه ، أو مميل لها إلى ما قصدت تنفِّرها عنه وكذلك يتحفَّظ في أوَّل البيت الواقع مقطعاً للقصيدة من كلِّ ما يُكره) (٥)

---

(١) العمدة لابن رشيق ، ج٢ ، ص ٣٧٨.

(٢) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٩.

(٥) منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجنى (المتوفى بتونس ٦٨٤هـ) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، (بدون تاريخ) ص ٢٨٥.

ونختم هذا المبحث بأنَّ الشاعر وُفِّقَ في عدد من قصائده من حيث الاستهلال والتخلُّص ، ساعده على ذلك أنَّه نظم في أغراض محدَّدة هي : الرّثاء ، والغـزل ، والمدح كما كانت عدد أبيات قصائده محَدَّدة في معشَّراته الغزلية ، وذيل ديوانه في الرّثاء . وربما لم يُوَفَّق في عدد من مقاطع أو نهايات قصائده وحتى لا نظلم الشاعر ذكرنا أنّه قد يكون من أسباب ذلك أنَّ بعض قصائده غير مكتملة وهو احتمال وارد ، ولا أظنُّ أنَّ ذلك يقلِّل من مكانة الشاعر لأنَّ النُّقاد السابقين ، والأدباء المحدثين ، قد أشادوا ببعض قصائد الفحول من الشعراء في العصور المختلفة ، وقدحوا في بعضها وذمُّوهُ ، وتجد ذلك في الحديث عن الابتداءات المستحسنة ، والمستقبحة وكذلك الحال في الحديث عن التخلُّص الحسن ، والقبيح ، والخاتمة الموفُّقة وغير الموفُّقة .ولعلَّ بعض القصائد عند أبي الحسن الحُصْريّ خاصة معشَّراته في الغزل وعدد من مراثيه يهجم فيها الشاعر على غرضه هجوماً كغيره من الشعراء الذين (يكافحون أغراض القول كفاحاً من دون تقديم شيء بين يديها) (١)

ولأهميَّة ما ذكره النقاد والبلاغيون عن أجزاء القصيدة أرى لزاماً على كلِّ باحث يتعلَّق بحثه بالشِّعر أن يعقد مبحثاً أو فصلاً لبناء القصيدة . ليرى مطابقة أو عدم مطابقة الأوصاف التى وضعها النُّقاد لشعر الشاعر الذي يتحدّث عنه . ويمكن أن يربط الباحث بين النهج الذي يتَّبعه الشاعر في بناء قصائده ، والنهج المتَّبع عند شعراء عصره .

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د.عبدالله الطيب ، الطبعة الثانية ، الكويت ١٩٨٩م – ١٤٠٩هـ ، الجزء الثالث ، ص ١٠٩.

المبحث الثَّاني :ــ مضمونُ القصيدة من حيث وحدة البيت ووحدة الموضوع.

هنالك تشابه في رأي الباحث بين بناء القصيدة ، وقضية اللفظ والمعنى ، وهذا التشابه يبدو في عِدَّة وجوه منها :

عند تناول موضوع بناء القصيدة فإنَّنا نتحدَّث عن الشَّكل ،والمضمون ، أو المخبر والمظهر ، أو فلنقل حتى المبنى والمعنى ، وفي رأي الباحث أنّ الشكل أو المظهر أو المبنى تمثِّله الألفاظ ، بينما تمثِّل المعانى المضمون أوالمخبر وإن كان بعض الحُذَّاق من النُّقاد لايجوِّزن فصل المعنى عن اللفظ ويرون أنَّه بمنزلة الروح من الجسد.

هذه واحدة أمّا الثانية : فإنَّ الاهتمام والجدل الذي وجدته قضية اللفظ والمعنى عند النُّقاد السّابقين قد يوازى اختلاف النقاد وتعَدُّد آرائهم حول بناء القصيدة لاسيَّما وحدتها.

يقول الدكتور محمد زكي العشماوي متحدِّثاً عن قضية الشَّكل والمضمون ، وعلاقته بالأدب : (وهي قضية شغلت المشتغلين بالدِّراسات الأدبية والنقدية على مرِّ العصور ، لا في الآداب الأوروبية وحدها ، ولكن في أدبنا العربي كذلك . وخطورة هذه القضية إنِّما تنشأ من ارتباطها الوثيق بتقدير قيمة العمل الأدبي وتبيُّن تأثيره). (١)

وحتى لانطلق الكلام على عواهنه ، ويكون حديثنا مبنياً على أسس ، نضرب مثلاً لهذا الاختلاف في ما نحن بصدد الحديث عنه ، " وحدة القصيدة " ، إذا إنّ ما أثارته قضية اللفظ والمعنى بين النُّقاد أمره معلوم .

فقد أورد صاحب كتاب فصول في الشعر عدداً من المسمَّيات التي أطلقها النُّقاد المحدثون أو حتى المعاصرون على الوحدة العضوية مثل : الوحدة الحيوية ، الوحدة الفنية ، التصميم الهندسي ، الوحدة العضوية ... الخ.

يقول : (هذه بعض آراء نقادنا في تعريف الوحدة العضوية وتحديد معناها ويتَّضح أنَّهم لم يتَّفقوا كلَّ الاتِّفاق لأنَّ كلَّ واحد منهم انطلق من وجهة معيَّنة ومن هنا جاء الاختلاف. وكما اختلفوا في تحديد معناها اختلفوا في تسميتها) (٢)

ويعزو الباحث هذا الاختلاف وهو اختلاف طبيعي إلى أنَّ النُّقاد المعاصرين لم يجدوا

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم الحديث ، الدكتور محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) ، (لم يذكر رقم الطبعة) ، ص ٢١٩.

(٢) فصول في الشعر ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي (١٤٢٠ هـ ـــ ١٩٩٩م) ، ص ٢١٠ (بدون تاريخ).

أساساً متيناً يبنوا عليه في قضيَّة وحدة القصيدة أو مهما كانت تسميتها . كما وُجِد هذا الأساس في موضوع شكل القصيدة ، وأعني بالأساس المتين أنَّ النُّقاد السابقين ، لم نجد لهم رؤية واضحة أو حديثاً مفصَّلاً حتى إنَّ بعضهم لم يطلق تسمية الوحدة العضوية أو غيرها من التسميات التي سبق ذكرها . ولربما تناول بعضهم الحديث عن وحدة البيت ، أو اقترانه بغيره لكن في نهاية الأمر يمكننا القول أنّ الحديث عن الوحدة الموضوعية في القصيدة أفدنا فيه من نقادنا المعاصرين أكثر من النُّقاد القدامى ولربما يرجع ذلك إلى انتشار وسائل الثقافة في عصرنا والانفتاح على الآداب الأخرى ، والإفادة من آراء النُّقاد الغربيين. إذ إنَّهم تحدَّثوا ، بل قد يكون بعضهم انتقد القصيدة الجاهلية وهو يعيب عليها تفرُّق موضوعاتها وتعدُّدها .

وبعد ما سبق من تسليط الضوء على موضوع الوحدة العضوية فإنَّه حسب فهمي للوحدة أنَّها ليست فقط وحدة الموضوع في القصيدة فقد تكون هنالك وحدة في الأسلوب ، أضف إلى ذلك وحدة الوزن ووحدة القافية ، ووحدة الفكرة ، بمعنى أن تكون القصيدة تعبيراً عن فكر واحد ورأي واحد هو رأي الشاعر ولا يبدي في قصيدته آراء أخرى أو حواراً أو غير ذلك .

ولعلَّ هنالك نص للدكتور محمد غنيمى هلال يقوم دليلاً على ما قدَّمناه (ولابدَّ أن تكون الصِّلة بين أجزاء القصيدة محكمة ، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ،ووحدة الفكرة فيه، ووحدة المشاعر التى تنبعث منه أي أنَّها صلة تقضي بها طبيعة الموضوع ، ووحدة الأثر الناتج عنه) (١)

والجدير بالذكر أنّ هذا المبحث أو الفصل كلّه من الموضوعات التى تحتاج لمزيد من الجهد والبحث لأنَّني وجدت صعوبة في أن أحصل على كتب تحدَّثت مباشره عن بناء القصيدة ووحدتها ، فلم أحظ إلا بكتابين أو ثلاثة ، ممّا اضطرني للاستعانة في جمع مادة هذا المبحث بمن ضمَّنوا هذه القضية تضميناً في كتاباتهم فخصُّوها بمبحث أو فصل . مثل الدكتور محمد زكي العشماوي (٢) وغيره.

---

(١) النقد الأدبي الحديث ، الدكتور محمد غنيمى هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ص٣٧٤. (بدون تاريخ)

(٢)انظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، الدكتور محمد زكي العشماوي ، من صفحة ١٢١ إلى صفحة ٢٤٠.

وأنا أكتب هذا المبحث الأخير في اطروحتي هذه راودتني بعض الأفكار عمَّا أصف به الشاعر أبا الحسن الحُصْريّ هل هو شاعر الرثاء ؟ أم شاعر البديع ؟ أم شاعر الوحدة الموضوعية ؟ فالصفتان الأولى ، والثانية قد اتَّضحتا في الأبواب السابقة أمّا النعت الأخير فهو الذي يحتاج لبيان .

لأنَّ مظاهر الوحدة قد تعدَّدت في شعر أبي الحسن الحُصْريّ وأسلوبه وإليك بيانها :ـ

أوَّلاً : نظم أبو الحسن الحُصْريّ في غرضي الرّثاء والغزل فتبيَّنت وحدة الموضوع في هذين الغرضين أكثر من غيرهما .

ثانياً : لم يكتف بوحدة الموضوع في مراثيه ، وغزليَّاته فأضاف إلى ذلك وحدة البحر فنظم معشَّراته الغزلية كلَّها على بحرواحد هو بحر الطويل كما نظم ذيل ديوان مراثيه ، على بحر واحد أيضاً وهو مُـخَـلَّع البسيط كما تقدَّم الحديث عن ذلك .

ثالثاً : ظهرت عنايته بالوحدة في عدد الأبيات فحدَّدها بعشرة أبيات في الغزل ، وبخمسة عشر بيتاً في ذيل ديوان الرّثاء .

رابعاً : تمثَّلت الوحدة أيضاً في وحدة البيت إذ نجد كثيراً من أبياته لها معنى تستقلٌّ به ولا تحتاج إلى غيرها. إذ يمكنك أن تقدِّم أو تؤخِّر مثل هذه الأبيات دون إخلال بالمعنى .

خامساً : رأينا الوحدة أيضاً في ابتداء عدد كبير من أبيات قصائده بحرف واحد وانتهائها بالحرف نفسه .

سادساً : بدت الوحدة أيضاً في أسلوبه الذي ينتهجه لتوصيل فكرته وقد بدأ ذلك في أسلوب العاطفة الحزينة المتفجِّعة المتألِّمة في الرّثاء الممزوج بالشكوى من الغربة ، والأعداء والشامتين .

بَقِيَ أن نقدِّم بعض النماذج التى تدُلُّ على الوحدة العضوية في قصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ حيث يتبيَّن (التحام القصيدة وارتباط أجزائها ارتباطاً عضوياً) (١)

وإليك هذه الجزئية من قصيدته التي يربط فيها بين ندبه لمدينة القيروان وحديثه عن أحبَّته بها:

---

(١) فصول في الشعر ، الدكتور أحمد مطلوب ، ص ٢٠٠.

أصبحت في غربتي لولا مكاتمتي ** بكتني الأرض فيها والســـماواتُ

كانّني لم أذُقْ بالقـــيــروان جنىً ** ولم أقلْ ها لأحبابي ولا هاتُوا

ولم تشقني الخدود الحُمْرُ في يَقَقٍ ** ولا العيونُ المـــراضُ البابلياتُ

أبعد أيَّامِنا البيضِ التي سَـــلَفَــتْ ** تروقُنِي غدواتُ ُ أو عشـــــياتُ

أمُرُّ بالبــحـــرِ مـــرتاحاً إلى بلدٍ ** تموتُ نفســـي وفيها منه حاجاتُ

وأسألُ السُّفْنَ عن أخبارِهِ طــمعاً ** وأنثني وبقــلبي مــنه لــوعاتُ

هـــل من رسالة حبٍّ استعين بها ** على سقامي فقد تشفي الرسالاتُ (١)

فالنموذج السَّابق ، وما بعده من أبيات تبدو لك فيها مظاهر الوحدة العضوية فهو يشـــكو من الغربة ، ويحِنُّ في ذات الوقت إلى مسقط رأسه القيروان ، متذكراً أيَّامه التي خلـــت ، وأحبابه الذين فارقهم ولا ينسى حين يمرُّ بالبحر أن يسأل السَّفن عن أخبارهم لعلّهـــم قـــد أرسلوا له رسائل تشفى سقمه .

ولعلّ قصيدته التي يمدح بها أحمد بن سليمان بن هود ويصف فتحه لدانية ، تمثّل نموذجاً أيضاً لارتباط أجزاء الموضوع الواحد في القصيدة إذ نجد جُلَّ أبياتهـــا وصـــفاً للمـــدوح وجيشه وقوّته ومنها قوله :

هديتَ العسكرَ الجرَّار ليلاً ** فأهديتَ الظباةَ إلـــى الهوادِي

ملأتَ به الفضاءَ فضاءَ ليلٍ ** محت فيه الظُّبي شكلَ السوادِ

وما أقبلــتَ إلَّا بعــدما قــد ** سقيت الثَّغر من ثغر الأعادِي

وكان مـــرام دانـــية عزيزاً ** فـــهان على المُسَوَّمَةِ الجيادِ

فآثرتَ العوالي في المعـــالي ** وآثرتَ الصَّـــلادمَ في الصِّلادِ

كأنَّ سيوفَكَ الأقدارَ تجـــري ** بما شاءَ إلالهُ عـــلى العبادِ (٢)

وإليك نموذج أخير من الرّثاء يعدِّد صفات إبنه المُتوفَّى :

حبيِّب النفس لو أُعطيتُ سؤلتها ** أصاب نحري وأخطا نحرك الرامي

كانَّـــني لم أكـــلِّم منـــك نابغــةً ** ولا رأيتُك مــلء العــينِ قــدَّامِي

ولاسمعتك تتلو الذِّكر في سَحَرٍ ** بصـــوت داوود في إفــصاحِ همّامِ

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ١٢٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

مخايل فيك راقتني محاسنها ** سرَّت ببدءٍ ولم تسرُر بإتمامِ (١)

ومن النُّقاد السَّابقين الذين تحدَّثوا عن أهميَّة وحدة الأجزاء وترابطها وفضَّلوا اتِّساق الأبيات وملاءمتها لبعضها في معانيها ابن طبا طبا العلوي إذ يقول : (وينبغي للشاعر أن يتأمَّل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتَّصل كلامه فيها)(٢)

لذلك ذكرنا أنّ النقاد السابقين قد أشاروا إشارات إلى وحدة القصيدة ، وإن لم يعرِفُوا المصطلح الحديث الوحدة العضوية ، أو الفنيَّة ، أوغير ذلك . وحبَّذا

لو توفَّر باحث لوضع أُسس ، ومفاهيم وحقائق بتناوله لموضوع وحدة القصيدة ، أو بناء القصيدة عموماً عند النقاد القدامى والمعاصرين . ومن المحاولات التي أفادتني في حديثي عن بناء القصيدة ، ماكتبه وفصَّل القول فيه عن مُقدِّمات القصائد الدكتور حسين عطوان (٣)

كما راقني نص الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة فقد وافق منِّى هوىً إذ يقول : (الوحدة الفنية في القصيدة العربية قضية نقدية ، وقد كانت هذه القضية ــ ومازالت ــ مطروحة للمناقشة والخلاف فيها على أشدِّه) (٤)

ومهما يكن من أمر فإنَّا قد لمسنا ، وأحسسنا بوحدة الموضوع في القصيدة من عِدَّة أوجه عند شاعرنا أبي الحسن الحُصْريّ حتى قبل أن نقرأ عن بناء القصيدة بشقَّيه من حيث الشَّكل والمضمون . فقد وجدنا في شعره البيت المستقلّ ، والقصيدة ذات الموضوع الواحد ، أما حديثه عن موضوعات مختلفة تماماً في قصيدة واحدة ، فلم

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني، ص ٣٦٥.

(٢) عيار الشعر محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (المتوفى سنة ٣٢٢هـــ) شرح وتحقيق عباس عبدالساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، الطبعة الثانية (١٤٢٦هــ ــ ٢٠٠٥م) دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، ص ١٢٩.

(٣) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ــ الدكتور حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هــ ــ ١٩٨٧م) من صفحة ٣٣ ـــ ١٠٢.

(٤) النقد الأدبي في المغرب العربي ، دكتور عبدالعزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧م (لم يذكر رقم الطبعة) ص ٣٧١.

ألحظه في قراءتي لشعره ، وإن كان يذكر البيت أو البيتين ــ مفتخراً أو مادحاً ــ في مراثيه ، ولكنَّ هذا لانعدُّه تعدُّداً في الموضوعات لأنَّه في قصائد قليلة جدًّا إن لم تكن نادرة ، ولأنَّه يأتي في سياق وصفه لابنه المتوفَّى بأنَّه من أصل كريم ومعدن طيِّب . وأحسبه أقرب إلى تعداد مآثر الميِّت من الفخر أو المدح .

كذلك قد تجد أبيات قليلة في بعض مراثيه يتحدَّث فيها عن فراق زوجته ، وأنَّها لوكانت تعلم ما يحِلُّ به لما فارقته وهو يقول في ذلك :

لو علمت أمُّك ألَّا ترى ** وجهك ما أزمعت السُّخطَا

تزوَّدَت منك لتعليلها ** ذؤابة عطَّرت المشْطَا

بل ابتغتْ غيرك وُلداً فلا ** عوَّضهُ الله ولا أنطَى

أجازت البحرَ ولو عوقبتْ ** بذنبِها لم تبلغِ الشَّطَّا

والبربرَ اختارت على عُربِها وسوف تهوى الرُّوم والقِبْطَا**

كأنَّها من سبإٍ بُدِّلت ** بجنَّتيها الأثل والخمطَا (١)

ولعلَّ ذلك يطابق ما ورد في التوجيه الأدبي إذ يقول : (حتى الرّثاء نفسه كثيراً ما كان يتناول موضوعات أخرى غير صفات المرثى ومناقبه) (٢) ولكنِّي اتحفَّظ على كلمة " موضوعات " هذه إن قُصِد بها الأغراض الأخرى في شعر أبي الحسن الحُصْريّ لأنَّ الموضوعات التي يتناولها ليست ببعيدة عن غرضه الرئيس وهو " الرثاء "

وكما أوردنا نماذج للقصائد ذات الوحدة الموضوعية ، فإليك بعض النماذج للأبيات التي يستقلُّ كلُّ بيت فيها بمعناه وهى في عِدَّة أغراض مثل الغزل حيث يقول :

كتبتُ إليهِ بالدموعِ رسالةً ** فجاوبني أنتَ القتيلُ بلاشكِّ (٣)

ومثله :

لقد ضقتُ ذرعاً بالهوى ثم بالنَّوى ** ولاذنب لى لكنَّنى أتجمَّلُ (٤)

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي والجيلاني ، ص ٣٤١.

(٢) التوجيه الأدبي ، الدكتور طه حسين وآخرون ، (بدون تاريخ) ، ص ١٥١.

(٣) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي و الجيلاني ، ص ٢٣٣.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤.

وكذلك قوله :

زعمتم بأنَّ الحبَّ فيه تذلُّل ** صدقتم وفيه للملاحِ تعزُّزُ (١)

ومن الأبيات التامة المعنى في مدائحه قوله :

لقد أربت سيوفك يومِ سُلَّت ** على قسٍّ بن ساعدة الإيادِي (٢)

ومثله :

شهدت عقولُ العالمينَ بفضلِهِ ** فسواءُ الأعداءُ والاشياعُ (٣)

وكذلك قوله في الرثاء :

مضيت فما للأرض بعدك لم تمدْ ** وما لسماءِ المجدِ لم تتفطَّرِ (٤)

والأبيات التى تستقلًّ بمعناها كثيرة في شعره لسنا بصدد إحصائها وقد وُجِد عدد من النُّقاد القدامى والمعاصرين ومنهم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ــ يؤيِّد استقلال البيت بمعناه (لأنَّ كلَّ بيت وحدة قائمة بذاتها ، وكثيراً ما تكون كلَّ بيت مستقلاً عمَّا قبله وما بعده ، ومن المكروه في الشعر العربي أن تكون في بيت كلمة مرتبطة ارتباطاً نحوياً بكلمة أخرى من بيت سابق أو لاحق) (٥)

وإن كان الباحث يرى ألَّا يكون الحديث عن استقلال البيت قيداً يُقَيَّد به الشاعر فإنَّ لم يكتمل له المعنى في بيت فلا غبار عليه إن أردفه بالثَّاني ، وإن اضطرَّ إلى إكمال بيت بأخيه وإن كان مرتبطاً به نحوياً فليفعل.

فإذا كان هذا التقليد متَّبعاً عند القدماء ، فليس لزاماً على الشعراء المعاصرين مجاراتهم في ذلك.

وإذا رجعت إلى ديوان الشاعر أبي الحسن الحُصْريّ لن يكلِّفك الحصول على الأبيات التي تستقلُّ بمعناها طول فكر ولا كبير عناء .

وفي ختام هذا المبحث فإنَّ مجمل القصائد عند أبي الحسن الحُصْريّ نوعان :

أوَّلاً : نوع تتحقَّق فيه وحدة الموضوع في القصيدة كاملة فلا ترى فيه خروجاً واضحاً

---

(١) أبو الحسن الحُصْريّ القيرواني ، المرزوقي و الجيلاني ، ص ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٧.

(٣) المرجع السابق ، ١٢٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٨.

(٥) التوجيه الأدبي ، الدكتور طه حسين وآخرون ، ص ١٥١.

عن المعنى الذي قصده . وهذا النوع هو الغالب في شعره لدرجة جعلتنا ننعتــه بشــاعر الوحدة الموضوعية والتي سبق أن ذكرنا أنّ لها عِدَّة أوجه وقد فصَّلنا القول فيها .

ثانياً : قصائد تتحقَّق فيها وحدة القصيدة من حيث اتحاد الموضوع أيضاً ، ولكن قد تجــد فيها أكثر من فكرة ، ويتَّضح ذلك في قصائد الرّثاء أكثر من غيرها ولا غرابة في ذلك (فإنَّ المرثيات المشهورة قد تتناول موضوعات أخرى مثل الزُّهد وذمِّ الدُّنيا وشيء مــن فلسفة الحياة والموت)(١)

وإذا عقدنا مقارنة بين قصائد الشاعر أبي الحسن الحُصْــريّ والقصــائد فــي الشعر الجاهلي من حيث وحدة القصيدة نجد الاختلاف في أنّ عدداً كبيراً من قصائد شعراء الجاهلية قد تعدَّدت موضوعاتها ، مع التحفُّظ على قول من قال : (أمّا عن وحدة الموضوع فمنتفية في القصيدة الجاهلية) (٢) فقد تجد في قصيدة واحدة مــن قصائد العصر الجاهلي غزلاً ، ووصفاً ، ومدحاً ، وفخراً ...الخ ، ولكنَّ هذا لايعنى أنَّه ليس هناك قصائد ذات وحدة موضوعية (فهنالك قصائد كثيرة التزم أصــحابها موضوعاً واحداً . فأشعار عمر بن أبي ربيعة ، والعباس بن الأحنف جلُّها أو كلُّهــا في النسيب) (٣)

ويتبيَّن لنا من هذه المقارنة مايلي :

أنَّ الشائع في قصائد العصر الجاهليّ تعدُّد الموضوعات ، أمّا الشائع عند شــاعرنا فهــو وحدة القصيدة من حيث الموضوع ، والجوِّ النفسي وإن لم تخلُ بعض قصائده مــن بعض الأفكار ولكنَّه تعدُّد لايبعده عن موضوعه ، أو غرضه كما أسلفنا .

وخلاصة القول : إنَّ أبا الحسن الحُصْريّ شاعر تقليدي لم يخرج عن تقاليد القصيدة العربية القديمة سواء من حيث بناء القصيدة المتعدِّدة الموضوعات أو القصــيدة ذات الموضوع الواحد وأنَّ قصيدته تقوم على وحدة البيــت ولا تتمثَّــل عنــده الوحــدة العضوية إلّا من حيث وحدة الأثر النفسي ، رثاء ، أو غزلاً ، أو غير ذلك .

---

(١) التوجيه الأدبي ، طه حسين وآخرون ، ص ١٥٣.

(٢) ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربي بين القديم والحديث ، دكتور سامي منير ، الطبعة الأولــى ١٩٧٩م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٣٠.

(٣) التوجيه الأدبي ، طه حسين وآخرون ، ص ١٥٣.

الخاتمة

أمّا خلاصة هذه الدِّراسة أو زبدتها فتبيِّنها النتائج التي توصَّــل الباحث إليهــا وهي :ــ

- لم تظهر بعض ملامح التجديد في الشعر الأندلسيِّ عنــد الشــاعر أبــي الحسـن الحُصْريِّ مثل وصف الطبيعة ، والموشَّحات ، وغير ذلك ، وربما تكون في شعر الشاعر المفقود أو الذي لم يُجْـمَع في ديوانه .
- إذاً يمكننا القول أنّ الشاعر أبا الحسن الحُصْري شاعر تقليديّ ، في شــكل معظــم قصائده ومضمونها ، وقد تأثَّر ببعض شعراء المشرق العربي أمثال أبي العــلاء ، وأبي تمام ،و ابن الروميِّ ، بل وبعض شعراء الجاهلية خاصة في مراثيه مثل أبي ذؤيب الهذلي والخنساء وغيرهم .
- إنّ شعر أبي الحسن الحُصْري الذي جمعه المرزوقي والجيلانــي ينحصــر فــي أغراض ثلاثة هي : الرّثاء ، والغزل ، والمدح إضافة إلى موضوعات أخــرى قليلة ومتفرِّقة منها الشكوى والحنين ، ومنها غير ذلك .
- تجربة الرّثاء عند الشاعر أبي الحسن الحُصْري ، تجربة مميَّزة من حيث صــدق عاطفتها ، وأساليبها ، وغزارة مادتها ، حيث شكَّلت مراثيه ديواناً كاملاً في الرّثاء وقد أجاد الشاعر في العديد من تلك المراثي .وقد كان الرّثــاء أبــرز أغراضــه الشعرية .
- مَدَح الشاعر أبو الحسن الحُصْري بعض الملوك والأمراء ، والقضــاة والعلمــاء ، وعدداً من الأصدقاء مدحاً صادقاً لالمصلحة يرجوها ، أو منفعة يقصدها ، و لكــنَّ عاهة العمى ، وظروفه ومعاناته ألجأته لأن يستجدي بــبعض مدائحــه الملــوك ، والأمراء، والوزراء ، وهي مدائح ذات هدف محدَّد ولايَهُمُّ إن اتَّصف الممــدوح بالصفات التي مُدح بها ، أم لم تنطبق عليه تلك الصِّــفات ، فالشاعر يريد الجوائِز والصِّلات ، والمال الذي يعينه على نوائب الحياة ، وعضِّ الدَّهر ، وقــد اعتــرف الشاعر نفسه بذلك .
- وجد الباحث أنّ معظم قصائد أبي الحسن الحُصْري ، تتوفَّر فيها وحدة الموضــوع إن كانت في الغزل ، أو في الرّثاء ، وقد يتناول في بعض قصائده أفكار ذات صلة

بموضوعه ولاتبعده عن غرضه الرئيس. كما أنَّ وحدة البيت الشِّعريِّ تتوفَّر بكثرة في شعره .

- رغماَ عن الموضوعات والأغراض المحدَّدة في شعر أبي الحسن الحُصْري فإنَّ أوزانه التي استخدمها متعدِّدة ، ومتنوِّعة ، إذ استخدم ثلاثة عشر بحراً من بحور الشِّعر العربيِّ منها التام ، ومنها المجزوء ، ومنها المُخَلَّع . وقد دلَّ ذلك على ملكة وتمكُّن ، كما وجدناه يستخدم جميع حروف الهجاء منوِّعاً في قوافيه .
- ظاهرة البديع ولاسيَّما الجناس ، تعدُّ سمة واضحة في شعر أبي الحسن الحُصْريّ وأسلوباً من الأساليب المميِّزة له ، وقد زيَّنت ألفاظه ومعانيه في عددٍ من قصائده ، وبَدَت الصِّنعة والتكلُّف في بعضها الآخر .
- اتَّسم شعر أبي الحسن الحُصْري بخصائص قلَّما نجدها عند غيره من الشعراء ، منها تحديد عدد أبيات قصائده في غرضي الغزل ، والرثاء وقد اتَّضح لنا ذلك في معشَّراته الغزلية ، وذيل دايونه " اقتراح القريح واجتراح الجريح " كما لاحظنا القيود التى قيَّد بها نفسه في معشَّراته وذيل ديوانه ، وقصيده المخمَّس متأثِّراً في التزامه مالايلزم بأبي العلاء المعرِّي .
- معظم ألفاظ الشاعر سهلة لاغريب فيها إلَّا القليل ، وقد انتبه الباحث إلى أنَّ ألفاظه تناسب معانيه ، وموضوعاته إلى حدٍّ كبير ، فالشاعر يستخدم الألفاظ الرقيقة الجاذبة في غزله والفاظ الوصف بصفات حميدة في مدائحه ، والألفاظ التى تدُلُّ على الحزن ، والفجيعة ، والألم في مراثيه .
- الثقافة الدينية والأدبية للشاعر أبي الحسن الحُصْري التي ذكرها من ترجموا له ، بدت لنا واضحة في شعره ، خاصة الاقتباس من القرآن الكريم وبعض معاني الأحاديث النبوية ، وبعض قضايا الفكر الإسلاميِّ ، أضف إلى ذلك منظومته في القراءات .
- لازال بعض شعر أبي الحسن الحُصْري ، مفقوداً خاصة مدائحه التي نظمها في بنى عبَّاد لاسيَّما المعتمد ، وقصائده في الهجاء ، وأغراض أخرى وقد عزا الباحث ضياع شعره أو فقدانه لعِدَّة احتمالات منها إهمال الشاعر شعره ، فلم يُعنَ بتقييده ، وعاهة العمى التي لم تمكِّنه من الكتابة ، وربما لم يجد من يكتب له ، فاعتمد على الذاكرة التي لم تستوعب كلَّ شعره ، إضافة إلى احداث عصره التي تسبَّبت في

ضياع وإتلاف تراث علميٍّ وأدبيٍّ للشاعر أو لغيره من الأدباء والعلمـــاء وعامـــة المؤلفين .

مُقْــتَرحات وتَوْصِيات :

*حبَّذا لو توفَّر باحث لدراسة الأساليب البلاغية في شعر أبـــي الحســـن الحُصْـــري، فيفصِّـــل كثيراً ممَّا أجملناه ، ويوضِّح ما قد نكون غفلنا عنه ، خاصة وأنّ البديع فـــي شعر أبي الحسن الحُصْريّ وحده يمكن أن يكون موضوع دراسة ، ومشروع بحـــث . ولكن يرى الباحث أنَّ الأفضل أن يُدْرَس دراسةً بلاغيةً شاملةً .

*غرض الرّثاء أيضاً يمكن أن يكون مشروع بحث عنوانه : الرّثاء فـــي شـــعر أبـــي الحسن الحُصْري فإن كان الموضوع السَّابق قد عُنِيَ بالبلاغة ، فإنَّ هذا الموضـــوع يدرس غرض الرّثاء دراسة تفصيلية لتوفُّـــر مادته في شعر أبي الحسن الحُصْري ، وتفرُّد تجربته ، وتعدُّد أنواع الرّثاء من رثاء للأبناء ، ورثاء للمدن ، ورثـــاء للملـــوك والأمراء ، وغير ذلك .

* ديوان الشاعر أبي الحسن الحُصْري في رثاء إبنه عبدالغني جعلني أفِّكر فـــي موضـــوع يكون عنوانه : الرّثاء في الشِّعر العربيِّ نشأته وأطواره ، أتتبّع فيه نشأة الرّثاء منذ العصر الجاهليِّ ، وحتى سقوط الخلافة الإسلامية في الأندلس ويقر الباحث بأنّه مشـــروع ضـــخم ولكنه مفيد أيَّما إفادة .كما أنَّه يمكن أن يُدرَس الرّثاء بأنواعه في المغرب العربيِّ والأندلس دراسة منفصلة .

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم .**

(١) ابن رشيق القيرواني ، عبدالرؤوف مخلوف ، دار المعارف بمصر القاهرة ،(بدون تاريخ) .

(٢) ابن رشيق القيروانيّ وآراؤه البيانية والنقدية ، محمد سلامة يوسف رحمة ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٢م .

(٣) أبو الحسن الحُصْري القيروانيّ ، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، مطبعة المنار تونس ١٩٦٣م.

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة ، لذي الوزارتين لسان الدّين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، المجلّد الثاني ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

(٥) الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الدكتور أحمد هيكل ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٦م دار المعارف ، القاهرة ـ مصر .

(٦) الأدب العربيِّ في الأندلس ، الدكتور عبدالعزيز عتيق ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٦هـ ١٩٧٦م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان .

(٧) أسرار البلاغة ، للشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجانيِّ ، تحقيق هـ .ريتر ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤م ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنَّى ببغداد ، لصاحبها قاسم محمد الرَّجب ، طبعة ثانية منقَّحة (١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م) .

(٨) الأسس الجمالية في النقد العربيِّ ، عرض وتفسير ومقارنة ، عزالدين إسماعيل ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م ، دار الفكر العربيِّ ، مصر.

(٩) أسس النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ).

(١٠) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ١٩٦٦م .

(١١) الأعلام ،خير الدِّين الزّركلى ، الجزء الرابع ، الطبعة السادسة عشرة ، كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥م ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان .

(١٢) الإيضاح في علوم البلاغة ، للإمام محمد بن عبدالرحمن بن عمر جلال الدّين الخطيب المعروف بالقزويني (٦٦٦هـ ــ ٧٣٩هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيِّد ، المكتبة التوفيقية ــ مصر (بدون تاريخ) .

(١٣) البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م) ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرّياض ــ السعودية .

(١٤) البلاغة الواضحة ، علي الجارم ومصطفى أمين ، دار المعارف ، القاهرة، (بدون تاريخ) .

(١٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، الدكتور يوسف حسين بكَّار ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ــ لبنان ، (بدون تاريخ) .

(١٦) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،إبن عذاري المراكشيّ ، الجزء الأوَّل ، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان ١٩٤٨م .

(١٧) البيان والتبيين ، للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، المتَوفَّى (سنة ٢٥٥هـ /٨٦٨م) قدَّم لها وبوَّبها وشرحها الدكتور علي أبو ملجم ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان ، ٢٠٠٢م ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(١٨) تاريخ الأدب الأندلسيّ ، أ . د مصطفى السيوفىّ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(١٩) تاريخ الأدب العربيِّ ، الدكتور عمر فرّوخ ، الجزء الرابع ، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الرابعة ، يونيو ١٩٩٧م .

(٢٠) تاريخ الأدب العربيِّ ، العصر الجاهليّ ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الرابعة والعشرون ، دار المعارف القاهرة ، (لم يذكر تاريخ الطبعة).

(٢١) تاريخ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ ــ ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ١٩٦٣م ، الجزء الخامس .

(٢٢) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربيّ إلى سقوط الخلافة ، أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبدالله الأزدي المتوفَّي سنة (٤٨٨هـ) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٢٣) التوجيه الأدبي ، طه حسين وآخرون (بدون تاريخ).
(٢٤) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، أحمد الهاشميّ ، الجزء الأوّل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثلاثون ، (لم يذكر تاريخ الطبعة).
(٢٥) الحُصْريّ حياته وأدبه ، والنقد في كتابه زهر الآداب ، د. محمد بن سعيد الشويعر ، الجزء الأوّل ، الطبعة الثانية ، دار عبدالرحمن الناصر للنشر والتوزيع ، (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) ، الرياض ــ السعودية ، شركة الطباعة العربية السعودية.
(٢٦) الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، محمد بن محمد الأندلسيّ الوزير السَّرَّاج (ت : ١١٤٩ هـ) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الأوّل ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م .
(٢٧) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الأمير شكيب أرسلان ، الجزء الأوّل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ــ لبنان (بدون تاريخ) .
(٢٨) حياة القيروان وموقف إبن رشيق منها ، الدكتور عبدالرحمن باغي ، دار الثقافة بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٦١م .
(٢٩) دار الطراز في عمل الموشَّحات ، للقاضي السيِّد أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ، تحقيق الدكتورجودت الركابي ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة (١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م) .
(٣٠) دراسات أدبية في الشعر الأندلسيّ ، الدكتور إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .
(٣١) دراسات في الأدب الأندلسيّ ، د. محمد سعيد محمد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، منشورات جامعة سبها ، سبها ــ ليبيا .
(٣٢) دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسيّ ، الدكتور عبدالمجيد عابدين ، الدار السودانية للكتب طباعة ، نشر ، توزيع ــ الخرطوم ، (بدون تاريخ)
(٣٣) دلائل الإعجاز للإمام اللُّغويّ عبدالقاهر الجرجانيّ ، مكتبة سعد الدّين ، دمشق ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧ م) ، حقَّقه وقدَّم له الدكتور محمد رضوان الدَّاية والدكتور فائز الدَّاية .

(٣٤) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطيِّ ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة لأولى (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م) ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٣٥) ديوان ابن رشيق القيروانيّ ، جمعه ورتَّبه الدكتور عبدالرحمن باغي ، (بدون

(٣٦) ديوان ابن الروميِّ ، شرح فاروق أسلم ، المجلّد الثاني ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) .

(٣٧) ديوان ابن زيدون ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، الطبعة الأولى ، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) دار الكتاب العربيِّ ، بيروت ـ لبنان .

(٣٨) ديوان ابن شرف القيروانيّ ، محمد بن سعيد (ت : ٤٦٠هـ) ، تحقيق حسن ذكرى حسن ، (بدون تاريخ).

(٣٩) ديوان ابن شهيد ، جمعه وحقَّقه يعقوب زكي ، راجعه الدكتور محمود علي مكي دار الكتاب العربيِّ للطباعة والنشر، بالقاهرة ، (بدون تاريخ)

(٤٠) ديوان ابن المعتز ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) ، (لم يذكر رقم الطبعة).

(٤١) ديوان أبي تمَّام . تقديم وشرح الدكتور محيي الدين صبحى ، المجلَّد الثاني ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٤٢) ديوان أبي فراس الحمدانى ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

(٤٣) ديوان بشَّار بن بُرد ، شرح حسين حموي ، المجلّد الثاني ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

(٤٤) ديوان الجارم ، على الجارم بك ، الجزء الثاني ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (بدون تاريخ) .

(٤٥) ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، المجلَّد الأوَّل ، دار المعارف بمصر ، (بدون تاريخ) .

(٤٦) ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو (ت: ٢٤هـ) ، بيروت ـ دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ، (لم يذكر رقم الطبعة).

(٤٧) ديوان المفضَّليات ، اختيار أبو العباس المفضَّل بــن محمــد الضَّــبي المتــوفَّى (١٧٨هـــ) ، شرح أبو محمد القاسم بن محمد بــن بشَّــار الأنبــاري المتــوفَّى (٣٠٤هـــ) ، تحقيق وشرح د. نبيل الطريفى ، دار صادر بيــروت ، الطبعــة الأوّلى (١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م) .

(٤٨) ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضياب الذبياني ، كنيته أبو أمامــة ، ولقبه النابغة ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٣م .

(٤٩) الذخيرة في محاسن الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسَّام الشنتريني (٥٤٢هـــ) ، تحقيق الدكتورإحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ـــ لبنان ، الجزء السابع ، (١٣٩٩هـــ ـــ ١٩٧٩م) .

(٥٠) رثاء النفس في الشعر الأندلسيّ ، الدكتور مقــداد رحــيم ، الطبعــة الأولــى ، (١٤٢٧هـــ ـــ ٢٠٠٧م) ، جهنية للنشر والتوزيع عمان ـــ الأردن .

(٥١) الرّثاء ، شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، (بدون تاريخ) .

(٥٢) رحلة الأندلس ، محمد لبيب البنتوني ، الطبعة الأولــى ، مطبعــة الكشــكول ، ١٩٢٧م .

(٥٣) رياض الأدب في مراثي شواعر العرب ، لويس شيخو اليسوعي ، الجزء الأوّل ، في شعراء الجاهلية ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٧م .

(٥٤) سقط الزند ، أبي العلاء المعرِّي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥م .

(٥٥) سير أعلام النبلاء ، شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمــان الــذهبيِّ المتــوفَّى (٧٤٨هـــ) ، الجزء التاسع عشر ، الطبعة السابعة ، بيروت ، مؤسَّسة الرســالة (١٤١٠هـــ ـــ ١٩٩٠م) .

(٥٦) شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السَّكري ، حقَّقه عبدالستَّار أحمد فرّاج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقــاهرة ، (بــدون تاريخ) .

(٥٧) شرح ديوان حماسة أبي تمام ، المنسوب لأبي العلاء المعرِّي ، دراسة وتحقيــق الدكتور حسين محمد نقشة ، دار الغرب الإسلاميِّ ، بيروت ـــ لبنان ، (١٩٩١م ١٤١١هـــ) ، (لم يذكر رقم الطبعة)

(٥٨) شرح ديوان المتبنيء ، وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، (١٣٥٧هـ ــ ٨٣ ١٩م) ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٥٩) الشعر الجاهليّ خصائصه وفنونه ، الدكتور يحيى الجبوري ، الطبعة الرابعة (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م) مؤسَّسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان .

(٦٠) الشعر الجاهليّ منهج في دراسته وتقويمه ، الدكتور النويهيّ ، الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

(٦١) الشعر والشعراء لإبن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٦٢) الشوقيات ، أحمد شوقي ، الجزء الثاني ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٧٠م (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٦٣) الصِّحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، أبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريِّ المتوفَّى سنة (٣٩٣هـ) ، تحقيق الدكتور أميل بديع يعقوب والدكتور نبيل الطريفي ، الجزء السادس دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م).

(٦٤) صحيح البخاري ، جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصِّحاح والسُّنَن والمسانيد ، جمعية الكنز الإسلامي ،١٤٢١هـ .

(٦٥) الصِّلة ، لإبن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبدالملك ، ٤٩٤هـ ــ ٥٧٨هـ) ، القسم الثاني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٦٦) الصناعتين الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ،حقَّقه وضبط نصَّه الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العربية ، بيروت ــ لبنان (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م) ، الطبعة الثانية .

(٦٧) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلَّام الجُمحيِّ (١٣٩هـ ــ ٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، الناشر دار المدني بجدَّة ، (بدون تاريخ) .

(٦٨) علم العروض والقافية ، الدكتور عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م) ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٦٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزديِّ (٣٩٠هـ ــ ٤٥٦هـ) من الهجرة ، حقَّقه ، وفصَّله ، وعلَّق على هوامشه ، محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م ، الجزء الأوّل .
(٧٠) عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (المتوفَّى سنة ٣٢٢هـ) ، شرح وتحقيق عباس عبدالساتر مراجعة نعيم زرزور ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م) دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان .
(٧١) غاية النهاية في طبقات القرّاء ، لشمس الدّين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفَّى سنة (٨٣٣هـ) ، الطبعة الأولى ،(١٣١٥هـ ــ ١٩٣٢م) ، مكتبة الخانجي بمصر .
(٧٢) فصول في الشعر ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي (١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م) ، (بدون تاريخ).
(٧٣) فصول في الشعر ونقده ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، (بدون تاريخ).
(٧٤) الفنُّ ومذاهبه في الشعر العربيّ ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، مصر (بدون تاريخ) .
(٧٥) القافية والأصوات اللغوية ، الأستاذ الدكتور محمد عوني عبدالرؤوف ، مكتبة دار المعرفة ، الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م) ، القاهرة ــ مصر .
(٧٦) قراءات في الشعر الأندلسيّ ، الأستاذ الدكتور صلاح جرّار ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٧م ــ ١٤٢٧هـ) ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عَمَّان ــ الأردن .
(٧٧) قَّصة الأدب في الأندلس ، محمد عبدالمنعم خفاجة ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢م .
(٧٨) قصيدة الرّثاء جذور وأطوار دراسة تحليلية في مراثى الجاهليه وصدر الإسلام ، الدكتور حسين جمعه ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ــ سوريا . دار معد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ــ سوريا .

(٧٩) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، الدكتور محمد زكي العشماويّ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(٨٠) الكامل في اللغة والأدب ، للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد النحويِّ المتوفَّى سنة (٢٨٥هـ) ،الجزء الأوّل ، مؤسَّسة المعارف ، بيروت (بدون تاريخ).

(٨١) الكليات معجم في الاصطلاحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء ، أيوب بن موسى الحسنيِّ الكوفيِّ مؤسَّسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م) .

(٨٢) لزوم مالايلزم (للزوميات) ، أبو العلاء المعرِّي ، دار صادر بيروت ، (بدون تاريخ) .

(٨٣) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقيّ المصريّ ، المجلَّد السادس ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٨٤) المدخل إلى علم العروض ، د. عبدالله محمد أحمد ،(بدون تاريخ)

(٨٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، الدكتور عبدالله الطيِّب ، الجزء الأوّل ، الطبعة الرابعة ، الخرطوم ،١٩٩١م ، مطبعة جامعة الخرطوم .

(٨٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيُّوميِّ ، المتوفَّى عام (٧٧٠هـ)، تحقيق الدّكتور عبدالعظيم الشِّناوي ، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٧٧م .

(٨٧) المطرب في أشعار أهل المغرب ، إبن دحيّة ، تحقيق الأستاذ مصطفى عوض الكريم ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ، الخرطوم ، سنة ١٩٥٤م .

(٨٨) المعتمد بن عبَّاد الملك الجواد الشُّجاع الشَّاعر المرزَّأ . الدكتور عبدالوهاب عزَّام ، دار المعارف ، بمصر (بدون تاريخ) .

(٨٩) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبدالواحد المراكشيّ (ت : ٦٤٧هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، الكتاب الثالث ، القاهرة (١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م).

(٩٠) معجم الأدباء ، ياقوت الحمويّ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع عشر ، (بدون تاريخ).
(٩١) المُعْجَم الأدبي ، جبّور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .
(٩٢) معجم البلدان ، ياقوت الحمويّ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزء الرابع عشر . (بدون تاريخ) .
(٩٣) معجم المؤلِّفين . عمر رضا كحالة ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م) مؤسَّسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع .
(٩٤) المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة (لم يذكر تاريخ الطبعة).
(٩٥) مقالات في الشعر الجاهليّ ، يوسف اليوسف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٥م ، دار الحقائق ، بيروت ــ لبنان .
(٩٦) مقدِّمة القصيدة العربية في العصر الأُمويِّ ، الدكتور حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م).
(٩٧) ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربيِّ بين القديم والحديث ، دكتور سامي منير ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٩٨) منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجنِّي ، المتوفَّى بتونس (٦٨٤هـ) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، (بدون تاريخ).
(٩٩) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، (بدون تاريخ) .
(١٠٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تُوفِّي
عام (١٠٤هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبة الأولى ، (١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩م) مطبعة السعادة ، مصر .
(٩٨) النقد الأدبي الحديث ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر، (بدون تاريخ) .
(٩٩) النقد الأدبيِّ في المغرب العربيِّ ، دكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧م ، (لم يذكر رقم الطبعة) .

(١٠٠) نقد الشِّعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة ، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م) ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، القاهرة .

(١٠١) نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ، المطبعة الجمالية بمصر (١٣٢٩هـ ١٩١١م) ، (لم يذكر رقم الطبعة).

(١٠٢)الوافي بالوفيات ، صلاح الدّين بن خليل بن ايبك الصّفديّ (ت : ٧٦٤ هـــــ) ، الجزء الحادي والعشرون ، دار إحياء التراث العربيِّ للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـــ ـــ ٢٠٠٠م) ، بيروت ــ لبنان .

(١٠٣) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية ، حسن حسني عبدالوهاب ، القسم الثاني ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٦م .

(١٠٤)الوساطة بين المتنبيء وخصومه ، للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجانيِّ ، تحقيق وشرح محمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، طبع بمطبعة عيسى الحلبي البابي وشركاه (بدون تاريخ) .

(١٠٥)الوفيات ، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ، الشهير بابن فنفد القسنطيني ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت ــ لبنان .

(١٠٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان المتوفَّى سنة (٦٨١هـ) الجزء الأوّل ، دار الكتب العربية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م) .

الرسائل الجامعية :

(١) الاتجاهات الشعرية في القرن الخامس الهجريِّ في المغرب العربيِّ ، إعداد / الضو إبراهيم الضو ، إشراف الدكتور/ فاروق الطيِّب البشير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات الأدبية والنقدية ، (١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م) ، دكتوراة .

(٢) الأساليب البلاغية في الحماسة للبحتري دراسة (بلاغية نقدية) ، إعداد/علي علي محمد قلي ، إشراف الدكتور/ فاروق الطيب بشير والدكتور بشير عباس بشير ،

جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنقد ، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).دكتوراه .
(٣) التشبيه عند الأعميين بشَّار بن برد وأبي العلاء المعرِّيّ ، إعداد/ تاج السِّر محمد فضل الله التوم ، إشراف الدكتور/ بابكر البدوي دشين ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنّقد ، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٩م) ، ماجستير.
(٤) التصوير البياني في شعر مسلم بن الوليد الأنصاري ، إعداد / محمد أحمد حامد إسماعيل حدربى ، إشراف الدكتور/ بابكر البدوي دشين ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنقد ، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م) ، دكتوراه .
(٥) الشعر الأندلسيّ في عصر الطوائف اتجاهاته وخصائصه الفنية (٤٠٠ هـ ـ ٣١٥هـ ، ١٠١٩م ـ ١١٤١م) ، إعداد /نميري تاج السر أحمد لقمان ، إشراف الدكتور/ صالح آدم بيلو ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ،قسم الدِّراسات الأدبية والنقدية ،(١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) دكتوراه.
(٦) رثاء المدُن في الشعر الأندلسي (٤٠٠هـ ـ ٩٠٠هـ) ، إعداد /عبدالرحمن بله علي ، إشراف الدكتور /، الحبر يوسف نور الدائم ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، العام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) ، دكتوراة .
(٧) صورة المجتمع في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، إعداد/ سليمان إبراهيم الغليان ، اشراف الدكتور /بشير عباس بشير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنقد ، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) ، دكتوراة .
(٨) ملامح التجديد في الشعر الأندلسيّ في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، إعداد / يوسف علي محمد علي ، إشراف الدكتور / محمد مهدي أحمد (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) ، جامعة الخرطوم ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، ماجستير.

الدوريات والمجلات :ـ

(١) كتاب العربيّ ، الكتاب الثامن والخمسون " الأندلس صفحات مشرقة " ، بقلم نخبة من الكُتَّاب ، الطبعة الأولى ، ١٥/أكتوبر ٢٠٠٤م .
(٢) كتاب العربيّ ، الكتاب الخامس والثلاثون " أسبانيا أصوات وأصداء عربية " د. سلمى الحفار الكزبري وآخرون ، الطبعة الأولى ، ١٥/يناير ١٩٩٩م .
(٣) مجلَّة العرب ، الجزء الخامس والسادس ، السنة السابعة والثلاثون ، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٢هـ ، (فبراير/مارس) سنة ٢٠٠٢م ، الرياض ـ السعودية .
(٤) مجلَّة حوليات الجامعة التونسية ، الجزء السابع والثامن ، العدد السابع ، ١٩٧٠م ، تونس .
(٥) مجلَّة دراسات أندلسية ، العدد السادس والثلاثون ، جمادي الثانية / ذو الحجة ١٤٢٧هـ ، جويلية / ديسمبر ٢٠٠٦م ، الطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار ، تونس ، ٢٠٠٦م .

المواقع الإلكترونية :

***WWW.Google.Com**

Ar.wikipedia . org /wiki ١٢٩.
WWW . arabic book . com.
WWW.Islam on line . net .
WWW . Islam Way . Com.
WWW . Yahoo . Com.
WWW . Alfalag . net .
WWW. diwan alarab. Com.
WWW. Fikr . Com .
(C Ds + cassette)